



الدكتور البخاري حمانة

فلسفة الثورة الجزائرية

ابن النديم للنشر والتوزيع
دار الروافد الثقافية - ناشرون

الدكتور البخاري حمانة

مفكر وأكاديمي من الجزائر .

من مؤلفاته:

له العديد من المؤلفات.

هذا الكتاب

إن هذه الدراسة إذ تقدم هذا العمل، إنما تفعل ذلك انطلاقاً من قناعتها الراسخة أنه قد آن الأوان لإخراج الدراسات التي تدور حول ثورة تشرين الثاني / نوفمبر، من مجالي السرد والترديد، ما دفع بكل تناول جاد لهذه الثورة يكاد يكون منحصراً بأعداء الأمس فحسب، في أفاق البحث الموضوعي؛ وهذا غير قادر وحده على ترسيخ مكانة هذه الثورة في عقول وضمائر الأجيال الجزائرية والعربية الحاضرة والمقبلة، وذلك من خلال تمكينهم من مقاربتها وفقاً لرؤيتهم الفكرية والثقافية التي لا نشك في أنها ستكون أكثر تنوعاً وجدة ونقدية من رؤيتنا اليوم.

ISBN 978-9931-9025-2-2

9 789931 902522 >

ابن النديم للنشر والتوزيع

وهران 51 – شارع نهار بلعيد قويدر

ص.ب: 357 السانيا زرباني محمد

تلفاكس: 88 - 97 - 35 41 213+

موبايل: 89 39 71 550 213+

E.mail:cd.nadim@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون

هاتف: 204180 (96171)

ص.ب: 6058 – 113 الحمراء

بيروت – لبنان

email: rw.culture@yahoo.com

فلسفة
الثورة الجزائرية

ابن النديم للنشر والتوزيع   دار الروافد الثقافية ـ ناشرون

فلسفة الثورة الجزائرية

البخاري حمانه

طبعة مزيدة ومنقحة

الكتاب
فلسفة الثورة الجزائرية

المؤلف
البخاري حمانه

الطبعة
الأولى، 2012
عدد الصفحات: 348
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي
ISBN: 978-9931-9025-2-2

الناشر

ابن النديم للنشر والتوزيع
51 وهران شارع نهار بلعيد قويدر
ص. ب: 357 السانيا زرباني محمد
الجزائر ـ حي رابية الطاهر ـ باب الزوار
تلفاكس: 29 97 68 24 21 213+
هاتف نقال (موبايل): 05 65 90 771 213+ - 03 76 20 661 213+
Email: ibnadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون
هاتف: 204180 (96171)
ص. ب: 6058 ـ 113 الحمراء
بيروت ـ لبنان
Email: Rw.culture@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(*)

(*) القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 5.

الإهــــداء

إلى كل الشهداء الذين سقطوا من أجل حرية وعزة وكرامة الجزائر . . تخليداً وإكباراً.

إلى والدّي: خديجة بوهلال وعلي شادلي حمانه . . تكريماً واحتراماً.

إلى زوجتي آمنة عرفاناً وامتناناً.

المحتويـــات

القسم الثاني
نوفمبر: إبداعية الفكرة ومحدودية تأويلاته

القسم الثالث

مقدمـــة

لا أحد يشك في أن الجزائر المعاصرة مقترنة اليوم، وجوداً وأرضاً، بناءً وتحديثاً، حاضراً ومستقبلاً، بثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية.

فقد استطاعت هذه الثورة، أن تحرر، في بضع سنوات، الفرد الجزائري من واحد من أبشع وأعتى أنواع الاستعمار الاستيطاني الذي عرفته الإنسانية في العصر الحديث، وأن تدك، وإلى الأبد، قواعده وحصونه لا في الجزائر فحسب، بل وفي العديد من البلدان العربية والأفريقية.

كما استطاعت هذه الثورة أن تنتشل الفرد الجزائري من براثن قرون من التخلف والجهل والفقر والمرض، وأن تصالحه، مع نفسه أولاً، ومع عصره بعد ذلك، متجاوزة به تلك الهوّة النفسية والحضارية المهولة التي ظنّ المستعمر أنه قد حاصره فيها إلى الأبد، لتوصله من جديد ومن خلال تلك الحرية السياسية التي استعادتها له، بطلائع أمته العربية والإسلامية.. وبمسيرة عصره في الوقت نفسه.

ولا أحد يشك أيضاً، في أن فرنسا المعاصرة مقترنة اليوم ـ بدورها كذلك ـ بثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية، تلك الثورة التي لا تزال آثارها، وبخاصة السياسية والنفسية والأخلاقية، فاعلة اليوم، وبعمق فيها، هذا على الرغم من كل المحاولات اليائسة والبائسة «لتجاهلها وطمس كل ما يذكر بها»[1].

(1) B.w.sigg: le silence et la honte: Névroses de la guerre d'Algérie, compte rendu in quotidien El- Moudjahid, Alger, 1/11/93.

فلا تزال ثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية (1954 ـ 1962)، ـ وهي التي تهمنا في هذه الدراسة ـ وبعد ما يزيد على خمسين سنة من انتهاء لهيبها، «موضوعاً محرّماً» بالنسبة إلى فرنسا، وكابوساً معربداً في ذاكرتها، وشبحاً يطارد أحلامها، وذكرى مؤلمة لمصير مجهض ما كان أحد يتصور أن تدفعها هذه الثورة برجالها الحفاة، العراة إليه[2].

إن قصة علاقة فرنسا بالجزائر لم تكتب بعد،» لقد كان اليوم الذي انفجرت فيه الثورة الجزائرية، بالنسبة إلى العصر واحداً من أخطر الأحداث، ومن أكثرها تأثيراً بالنسبة إلى المصير الفرنسي»[3]؛ «والجمهورية الرابعة (1946 ـ 1958)، إنما ماتت بسبب هذه الحرب (الثورة) التي كشفت عن مدى عجزها عن دفع الأطراف الفرنسية المتنازعة في ما بينها إلى القبول بضياع الجزائر، وعن تغطيتها لتلك الحقيقة الأخرى المتولدة عن الأولى والتي تؤكد أن فرنسا لم تعد بالتالي قوة كبرى»[4].

من هنا سرّ استمرار ذلك الارتباط العميق لكل من الجزائر وفرنسا اليوم بثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية، ذلك الارتباط الذي لا يجب البحث عنه فقط، في ما نعتقد، في الأحداث المادية لهذه الثورة، لسبب بسيط وهو أن كلاً من الجزائر وفرنسا عرفتا قبل هذه الثورة، وطيلة التواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر بخاصة، العديد من الانتفاضات والثورات الوطنية التي زادت عن مائة انتفاضة وثورة[5] والتي، لا تختلف أحداثها، المادية بخاصة، كثيراً عن الأحداث التي عرفتها ثورة تشرين الثاني/نوفمبر.

كما إن ذلك الارتباط لكل من الجزائر وفرنسا بثورة تشرين الثاني/نوفمبر، لا يجب البحث عنه كذلك في النتائج العملية التي انتهت إليها هذه الثورة بالذات فحسب، دون غيرها من كل تلك الانتفاضات والثورات الوطنية الأخرى، التي

---

(2) Pièrre Vidal Naquet: les crimes de l'armée française, Maspéro, Paris, 1959, introd.

(3) y -Courrière : les fils de la Toursaint, Fayard, paris, 1968, Préface de joseph Kessel.

(4) la Guerre d'Algérie, Dossier et Témoignages réunie par P. Eveno et J. planchais, édit la phomic, Alger, 1990, p,9.

(5) Ibid.

سبقتها، وهي النتائج التي تمثلت بالنسبة إلى فرنسا، من بين ما تمثلت، في إسقاطها للجمهورية الرابعة (1946 ـ 1958)، وبالنسبة إلى الشعب الجزائري في استعادته لاستقلاله السياسي المغتصب، لسبب بسيط وهو أن سقوط تلك الجمهورية يظل على الرغم من دلالته الكبرى، نتيجة من بين النتائج العملية لهذه الثورة، تماماً كما إن الشعوب التي استعادت استقلالها السياسي من فرنسا بثورات مسلحة (فيتنام) أو بمقاومات مسلحة (تونس1953) (المغرب 1954)، أو بالسياسة، (العديد من الدول الأفريقية 1960)، كثيرة ولكن ارتباطها اليوم بفرنسا مختلف نوعياً عن الارتباط الذي يربط اليوم الجزائر وفرنسا.

إن ذلك يعني كدالك أن سرّ ذلك الارتباط يكمن في شيء أكبر من تلك الأحداث المادية والنتائج المعلنة لهذه الثورة... ذلك السرّ الذي ليس شيئاً آخر، في ما نعتقد، سوى الفكرة التي كانت وراء تلك الأحداث وتلك النتائج... ووراء تلك الصفة التاريخية التي أخذتها هذه الثورة. ذلك أن الحدث ـ وبخاصة حينما يكون تاريخياً، كـ الحدث الذي شكلته ثورة تشرين الثاني/نوفمبر، وهذا بشهادة أعدائها قبل أصدقائها ـ لا يمكن أن يتم تلقائياً، لسبب بسيط وهو أن الوقائع التي تحمل صفة التاريخية، لا يمكن أن تتحقق دون قصد... أو عقل، بل لا بد أن تكون من ورائها فكرة كما يؤكد كولينغوود[6]. ولأن الفكرة، ثورية كانت أو غير ثورية، وليدة العقل والضمير تماماً كما إن الفعل، أي الحدث المتولد عنها، وليد الحرية والإرادة، فإننا نقول مع «ديلتي»[7] إن التاريخ يمثل أعلى صور العقل.

ولأن العقول والحريات والإرادات متفاوتة، وبخاصة على مستوى التوظيف، بين بني البشر، فإن الحجم التاريخي للأحداث المتولدة عنها، والمتمثل في الثورات، وهي التي تهمنا هنا، متفاوتة بدورها كذلك، كماً وكيفاً.

---

(6) cf, R.G. Collingwood: Idea of history, édit T.M Knox,O.U.P,Oxford, Nd, New - york, 1946.

(7) W. Dilthey : L'esprit et le Monde, 2V, trad française, 1947, Introduction.

R. Aron : Introduction à la philosophie de l'histoire, Gallimard, paris, 1981, pp. 58-59.

من هنا فإنه إذا كان صحيحاً أن كل ثورة وليدة فكرة، فذلك يعني أنه لا ثورة من دون نظرية ثورية كما يلاحظ «لينين»(8) فإن العكس غير صحيح... حيث إن كل فكرة لا تقود بالضرورة إلى الثورة... بل قد تؤدي إلى ثورة مضادة أو إلى الاستسلام... أمام الواقع المزري والتصالح معه بدلاً من تقويضه وتجاوزه نحو واقع أفضل، كما هو الحال بالنسبة إلى الثورة.

ولأن مثل ذلك التجاوز لا يجب أن يبقى في مستوى التأمل والنظر فحسب، بل يجب أن يتجسّد كذلك من خلال الجهد والعمل... فإننا نقول كذلك إنه إذا كان صحيحاً أنه لا ثورة من دون فكرة ثورية، فإنه أصح منه كذلك أنه لا فكرة ثورية من دون عمل مجسد لها... حيث إن العلاقة بين الفكرة الثورية وتطبيقها هو التطبيق كما لاحظ ذلك ماوتسي تونغ(9).

وإذا كانت الثورة الحقيقية فكرة هادفة وعاملة على تجاوز الواقع، فإن مثل ذلك التجاوز لا يتحقق، ولا سيما حينما يكون ذلك الواقع استعمارياً، كالواقع الاستعماري الفرنسي الذي عرفته الجزائر، إلا بعد تمثله، تمثلاً كفيلاً بتمكينها من اختراق معطياته الظاهرية، وصولاً إلى النفاد إلى الأسس الفكرية والنفسية والمادية التي يستند إليها ويستمد رسوخه واستمراره، لتقويضها ودحرها. وليس ذلك التمثل النقدي للواقع الاستعماري، سوى ما نسميه بـ الفلسفة الثورية(10)... وليس ذلك العمل الهادف لتجاوزه عملياً... سوى تطبيقها العملي.

بذلك نتبين مدى عمق الارتباط في كل مشروع ثوري بين الفكر وبين الواقع ذلك الارتباط الذي لا يجعل الفكر يتوقف عند واقعه المرفوض، ويتمثل بعمق معطياته إلا لكي يخرج بقطيعة نهائية وموضوعية معه، وبوسائل كفيلة بتجسيد تلك القطيعة كذلك في الوقت نفسه.

إن ذلك الارتباط هو الذي يجعل الثورة، لا ترفض كل ما في الواقع إلا

(8) cf, V.I.O Lénine: Oeuvres, édit, russe, Moscou, 1962.

(9) Mao -Tsé -Toung: le problème Stratégique de la guerre révolutionnaire en chine, édit, des langues étrangères. Pekin, 1961, pp. 4-8.

(10) Max. Horkheimer: The Social function of philosophy, Vol, 3, Winter, 1972, p. 12.

لكي تستند إلى البعض من معطياته في الوصول إلى الواقع الجديد الذي تنشده، ولا تحتفظ إزاءه بنوع من الاستمرارية، وبخاصة في ما يتعلق بقيمه، إلا لكي تحقق انطلاقاً منها تلك القطيعة المرجوة معه.

من هنا ذلك التشاؤم والتفاؤل، القطيعة والاستمرارية، المحافظة والتجديد، والهدم والبناء في كل ثورة. نظراً إلى أن علاقة الفكر الثوري بالواقع الاستعماري مرهونة قبل كل شيء بتمثل الثورة له بعمق وبتمكين الجماهير من تمثله كذلك، كشرط لتحديد طبيعة الكفاح الذي عليها أن تقوده معها (الجماهير) لتجاوزه نحو ذلك الواقع الجديد الذي تريد استبداله به.

إن معنى ذلك أن الثورة، التحريرية بخاصة، لا تحقق بمجرد رفض الواقع (الاستعماري)، تماماً كما إنها لا تُحقق كذلك بعيداً عن الجماهير. ولأن الثورة ليست مجرد تمثل للواقع الذي لا يتأسس بوصفه مفهوماً وإمكانية في وعي المنظرين لها، أي الثورة، إلا في اللحظة التي يتوقفون فيها عن النظر إلى التاريخ، وكأنه، وكما توهم توسديد[11]، مجرد أحداث تتداعى بالمصادفة وباستمرار. . . ليبدأوا في البحث عن الأفكار والقوانين الموضوعية الكامنة وراء تلك الأحداث.

لكل ذلك كانت الثورة، صداماً وصراعاً بين العقول والأفكار والإرادات، قبل أن تكون قتالاً بالأسلحة وبين الجيوش.

ولأن الثورة لا تتحقق إلا بالجماهير الواعية بواقعها (الاستعماري) وبالواقع الجديد الذي تنشده وتريد استبداله به. . . وبالوسائل الكفيلة بذلك، فإن فلسفة الثورة تعد من بين أهم فروع الفلسفة التي تعكس بصورة مباشرة الخصائص النفسية والفكرية والوجودية للشعب النابعة منه، تماماً كما تعد كذلك السبيل الأمثل للوقوف على إبداعاته السياسية والفكرية والثقافية. . . وعلى القيم والمبادئ التي حركت مسيرته عبر التاريخ، والأهداف والإرادات والجهود التي كانت وراء تلك المسيرة.

من هنا فإن دراسة أي ثورة، أو أي حدث تاريخي، من دون الاهتمام،

---

(11) cf - J. De Romilly: Histoire et Raison chez Thucydide, Paris, 1950.

وكما يريد الوضعيون، بالفكرة أو بالأفكار القابعة وراء أحداثها، تصبح دراسة غير مجدية. . . لأنها لا تعكس ما تنطوي عليه تلك الأحداث من إحساس وقصد. . وإرادة وعواطف. . . تلك الأحاسيس والإرادات والعواطف التي كانت وراء تميز الأحداث ووراء تميز الثورة المجسدة لها.

لكل ذلك، فإن أي تاريخ وأي محاولة لفلسفته، إما أن يكون تاريخاً وفلسفة للفكر. . . أو لا يكون كما لاحظ ذلك كولينغوود.

ولذلك أيضاً كانت الفلسفة هي التاريخ ذاته الذي ليس سوى صورة من بين صور عديدة عليا أخرى للمعرفة، كما يؤكد أوكيشوت (Ockishott) ذلك. من هنا فإن دراسة أي ثورة، دون العثور على الفكرة التي كانت من ورائها، تتحول ـ أدركت ذلك أم لم تدرك ـ إلى دراسة جامدة، وخالية من تلك الأبعاد الفكرية والنفسية التي كانت وراء تميز الأحداث المجسدة لها.

وحين نعرض، على ضوء هذه الحقائق، لثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية، فإننا سنرى من خلال فصول هذه الدراسة، أن هذه الثورة، التي وصفها باحث أوروبي آخر «بأنها أعطت، ومن خلال إعادة ربطها للشعب الجزائري بدينامية كفاحه الماضي[12]، حياة للأساطير بدلاً من الواقع، وشلت الأمة (الفرنسية)، وجمدت هياكلها، وعرقلت قدر فرنسا في أفريقيا، وشوّهت حضارة الحرية التي ظلت تشكل حتى الآن الصورة المضيئة لها»[13]، ما كان يمكنها أن تأخذ مثل هذا البعد الذي يعرفه لها اليوم العالم كله، لو لم تكن من ورائها فكرة. . . وفلسفة استطاعت بفضل تمثل الجماهير الجزائرية لها، أن تحول أحداثها إلى وقائع غير عادية وأن تضفي عليها بالتالي تلك الصفة التاريخية المتميزة.

إن تلك الفكرة، وتلك الفلسفة التي يبدو أنها غابت ـ أو غيبت ـ عن العديد من الدراسات، حتى لا نقول كلها، التي تناولت، ولا تزال تتناول، ثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية، هي ما ستحاول هذه الدراسة استكشاف ملامحها الجوهرية.

---

(12) R.Malek :Tradition et Révolution, édit, Bouchéne, Alger, 1991, pp. 120 - 143

(13) Ch. Henri Favrod : la Révolution Algérienne, Plon, paris, 1959.

وآية ذلك أن جزءاً كبيراً من تلك الدراسات، وبخاصة الفرنسية منها، وهي كثيرة، لا تتناول هذه الثورة، إلا من خلال أيديولوجيا الحقد والمرارة[14].

ولا يغير من هذه الحقيقة، دعوات بعض المثقفين الفرنسيين اليوم إلى مقاربة موضوعية لهذه الثورة، وذلك بهدف وضع حدّ لإفرازاتها السياسية، المعنوية والمادية، التي لا تزال فاعلة وبعنف في الفكر والوجدان الفرنسيين[15].

ولأننا أول من يدرك مدى مرارة وقسوة تلك الإفرازات العاطفية والنفسية والأخلاقية التي لا تزال تنخر الفكر والوعي الفرنسيين، فإننا أول من يعتقد كذلك أن الزمن وحده كفيل بتبديدها... وفي تخليص الأجيال الفرنسية، خاصة الجيل الذي دفع إلى مقاتلة هذه الثورة وإلى العمل على قمعها، بكل الوسائل.. من عقدة هذه الثورة، التي تشكل، وكما سبق أن أشرنا جزءاً لا يتجزأ من تاريخ فرنسا المعاصر.. وصولاً إلى قراءة أكثر موضوعية لها.

وإلى جانب هذه الدراسات، هناك دراسات أخرى[*]، وطنية وعربية، وهي كثيرة كذلك، لا يتناول معظمها هذه الثورة إلا من خلال أيديولوجيا الحماس والعاطفة والبطولات، وكأن هذه الثورة مجرد سلسلة من الانتصارات والأحداث المتولدة بعضها عن بعض.

ولأن الحقيقة التاريخية لا تتوقف في النهاية على الواقع فحسب، بل على المهمة التي نذر الإنسان نفسه لها تجاه ذلك الواقع[16]، فإننا نقول لمثل تلك الدراسات، التي لا نشك في صدق نواياها الوطنية والقومية أو في تعاطفها العميق مع هذه الثورة، أن هذه الأخيرة كانت أكبر من مجرد بطولات وانتصارات، وأعمق من مجرد ارتباط بين أسباب ونتائج.

---

(14) cf - A. Mahiou et Jean - Claude Vatin : En guise d'introduction : Histoires et histoire, Revue, Algérienne des S.J.E Vol, XI, N, 4 Décembre, 1972.

(15) W. S. Sigg : le Silence et la honte.

(*) أنظر دراسات: م. بسام العسلي (سوريا) وكثير من الدراسات الوطنية والعربية الأخرى.

(16) R. Aron. Introduction à la philosophie de l'histoire, p. 338.

لقد كانت ثورة تشرين الثاني/نوفمبر قبل كل شيء فكراً وفلسفة، نعتقد أنه قد آن الأوان للبحث عنهما وعن أسسهما وصولاً إلى إخراج هذه الثورة من دائرة ذلك التناول الحماسي والعاطفي المحض لها إلى مجالات البحث الموضوعي لها ولإيجابياتها وسلبياتها على حد السواء، وهو البحث الذي لا تخشاه اليوم هذه الثورة بعد أن ترسخت، وبعمق، في العقول وفي الأفئدة الوطنية والعربية، فضلاً عن أنه يمثل الطريق الوحيد لتوطيد تلك المكانة العربية والدولية التي أصبحت لها اليوم.

وآية ذلك أن مثل هذا التفسير لثورة تشرين الثاني/نوفمبر، وبخاصة ذلك الذي يركز على الترابط الآلي بين الأسباب والنتائج، سيجعلنا عاجزين من دون شك عن فهم الأسباب التي جعلت عوامل استعمارية متشابهة لا تؤدي إلى نتائج ثورية، وطنية وقومية، متشابهة. كما سيجعلنا عاجزين كذلك عن الوقوف على السرّ، أو الأسرار، التي جعلت أكثر من ثورة تحريرية معاصرة في العالم الثالث بصورة خاصة، منبعثة من الظروف الاستعمارية نفسها التي انبعثت منها ثورة تشرين الثاني/نوفمبر . . . تتوصل إلى نتائج مختلفة عن تلك التي توصلت إليها هذه الأخيرة، حيث لم تفضِ البعض من تلك الثورات إلا إلى مجرد تغييرات شكلية في نظام الحكم وفي بنية المجتمع، في حين توصل البعض الآخر منها، وفي مقدمتها ثورة تشرين الثاني/نوفمبر، إلى تغييرات جذرية لمسار ولمصير شعوبها.

إن ذلك يعني، من بين ما يعني، أن الثورة عامة، والثورة التحريرية بخاصة، التي هي في أبسط تعريف لها تغيير جذري وسريع للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي، للشعب[17]، لا تتم فضلاً عن أن تنجح، نتيجة للموقف أو الواقع الاستعماري وحده، مهما بلغت قسوة ذلك الواقع، بل إنها تتم وتكتمل قبل كل شيء، وكما سبق أن أشرنا، بنظرة جديدة وأصلية له، تجعل استمرار تقبله من طرف الشعب أمراً مستحيلاً.

ذلك أنه في غياب مثل تلك النظرة النقدية والأصيلة للواقع الاستعماري الذي يتخبط فيه الشعب، وفي غياب ذلك المشروع الثوري الذي لا يمكن إلا

(17) Encyclopédia Universalis, Vol, 14, paris, 1972, pp. 206 - 207.

أن يتولد عنها، فإن أي وضعية استعمارية يمكن أن تأول من طرف البعض تأويلاً زائفاً وتحل بالتالي حلولاً وهمية لا تزيد تلك الوضعية في النهاية إلا رسوخاً واستفحالا . . كأن تعزى مثلاً إلى المقادير، أو إلى استحقاق الشعب لها، بسبب غضب الله عليه، لانتهاكه حرمة قيم ما كان يجب أن تنتهك . . . أو لارتكابه جرائم ما كان يجب أن ترتكب.

كما إن قسوة أي وضعية استعمارية يمكن أن تؤدي، في غياب مثل تلك النظرة النقدية والأصيلة لها، دور صمام الأمان بالنسبة إلى المستعمر الذي لا يوهم الشعب أنه قد بدأ يخفف منها، كلما تصاعدت درجتها، إلا بهدف إحكام قبضته عليه بصورة أقسى وأكبر[18].

من هنا يتضح أن ما نقصده بالنظرية الثورية ليس المراهقة الثورية أو أحلام اليقظة الثورية فحسب، كما قد يعتقد البعض، بل تلك النظرة النقدية والأصلية للواقع الاستعماري، وما تحمله من رفض كلي له. . . ومن قطيعة شاملة معه، ومع كل مشاريعه. . . ومن مشروع عملي كذلك لاستبداله، تلك النظرة التي ليست شيئاً أخر، وكما سبق أن أشرنا، سوى ما نطلق عليه الفلسفة.

فهل شذّت ثورة تشرين الثاني/نوفمبر التحريرية، وكما يذهب البعض[19]، عن هذه القاعدة أم أكدتها؟ بمعنى آخر، هل انعدمت فيها مثل تلك النظرة الأصلية والنقدية للواقع الجزائري الذي كان سائداً عشية اندلاعها، أم أن تلك النظرة قد تبلورت بعمق من خلالها؟

لمحاولة الإجابة عن مثل هذه الأسئلة وغيرها، والتي نسارع إلى القول إنها لن تكون إلا إيجابية، فإن هذه الدراسة ستلجأ إلى التحليل النقدي للنصوص السياسية لثورة تشرين الثاني/نوفمبر ممثلة بصورة خاصة، في بيان أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954، وفي مؤتمر الصومام (عام 1956)، ومؤتمر طرابلس (عام 1962) وبيان 18 آذار/مارس، مروراً بكل الأحداث الفكرية

---

(18) A. Mahsas : le mouvement révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale à 1954, édit, l'Harmattan, paris, 1970, p. 326.

(19) Y. Courrière :les Fils de la Toussaint, édit, Fayard, paris, 1968, p. 178.

والسياسية والثقافية التي شكلت هذه الثورة. . . وصولاً إلى النفاذ إلى الفكرة. . . وإلى الفلسفة التي كانت وراء ذلك الحدث التاريخي الكبير الذي جسّدته في النهاية.

على أن ذلك لا يجب أن يعني أن هذه الدراسة تدّعي الكشف عن نظرية أو فلسفة جديدة لهذه الثورة، بل إنها تؤكد فقط فلسفة موجودة وتدعو إلى محاولة الإمساك بها من خلال أحداث هذه الثورة ورجالاتها في مواقعهم ومواقفهم، في أفعالهم وانفعالاتهم، في جهادهم واجتهادهم. . . وفي كل الطاقات المعنوية والمادية التي حشدوها فوق أرض الواقع الوطني والقومي والعالمي، من أجل تجسيد تلك الفلسفة، وذلك الحدث التاريخي الكبير. . . الحاملة له.

وانطلاقاً من ذلك، فإن هذه الدراسة سوف لن تحصر نفسها في الجانب العسكري أو السياسي على الرغم من أهميتهما، لأن انشغالها ليس بالمعارك فحسب، عسكرية كانت أو سياسية، بل بالفكر والمجتمع الذي كان وراءها، بعيداً عن الانتصارات والانتكاسات التي تظل بالرغم من كل أهميتها بمثابة النتيجة لا السبب.

وسوف تكشف لنا مثل هذه المقاربة أن الفكرة الوطنية، والفلسفة الثورية المتضمنة لها، كانت متواجدة دوماً داخل فكر ووعي الشعب الجزائري، منذ فجر تاريخه الطويل بصورة عامة ومنذ التواجد الاستعماري الفرنسي بصورة خاصة. وأن تلك الفكرة إذا كانت قد ظلت حتى ثورة تشرين الثاني/نوفمبر مبعثرة وغير مؤثرة بالتالي في الواقع الوطني، فإنها قد أصبحت بعدها حيّة ومجسّدة لتطلعات ولآمال، وظلت أجيال وأجيال جزائرية تقدم حياتها قرباناً من أجل تحققها.

لذلك كانت هذه الثورة وكما سنرى من خلال فصول هذه الدراسة، قطعية واستمرارية في الوقت نفسه مع الفكرة الوطنية. . . كما سوف تكشف لنا مثل تلك المقاربة كذلك أن تجسيد تلك الآمال والتطلعات، إذا كانت قد تحققت في النهاية على يد الشعب الجزائري عامة وعلى يد قطاعاته البسيطة بصورة خاصة، فإنها قد تحقق كذلك وفي الوقت نفسه على يد أفراد كانوا بمثابة الطليعة له. . . وللحدث الكبير الذي تولد عنه في النهاية.

من هنا فإن التوقف عند دور هؤلاء الأفراد لا يعني ـ وكما يتوهم البعض، أو يوهمون ـ التقليل من دور الشعب، بل إنه يعني فقط، أنه قد آن الأوان بالنسبة إلى كل باحث في هذه الثورة التوقف عن طمس جهودهم[20] باسم شعارات شعوبية وديماغوجية ضالة ومضللة، لسبب بسيط، وهو أن المؤرخ، فضلاً عن أن فيلسوف التاريخ لا يهتم إلا بالأفراد وليس بالنماذج كما يفعل البيولوجي ولأنه ليس بإمكانه الحديث عن أي تاريخ كان، فضلاً عَن فلسفته ـ لا يصل إلى تحديد صانعيه.

ولسوف يكشف لنا مثل ذلك التوقف عند الدور الذي أداه أولئك الرجال، [من أمثال الأمير عبد القادر. . . والأمير خالد ومصالي الحاج، وعبد الحميد بن باديس وفرحات عباس، وعبان رمضان وديدوش مراد، وزيغود يوسف وعمار أوزغان، وفانون، وغيرهم كثيرون، خاصة في التمهيد وفي التنظير، وفي التجسيد لهذا الحدث العظيم، وسط أجواء وطنية وجهوية وقومية ودولية أقل ما يقال عنها إنها كانت صعبة، إن هذه الثورة لم تعدم وكما يدعي أعداؤها مفكرين أو منظرين.

إن مثل ذلك التنظير أو الفلسفة، هو ما ستحاول هذه الدراسة الكشف عنه وتوضيحه، وذلك من خلال متابعتها لفكرة تشرين الثاني/نوفمبر في منابعها الأولى، ولتجلياتها العملية فوق أرض الواقع الوطني. . . كذلك. . . وللقوى المعنوية والمادية التي كانت وراء كل ذلك. . . ولأن تلك العملية التي ليست، وكما سبق أن أشرنا، شيئا آخر سوى ما نطلق عليه بفلسفة التاريخ، التي هي في أبسط تعريف لها «بحث في التطور التاريخي وفي مبادئه وقوانينه واتجاهاته وتجلياته وقواه المحركة»[21] فإن التداخل بين هذه الفلسفة وفلسفة الثورة من ناحية، وبينها وبين الفلسفة السياسية من ناحية أخرى، كبير.

وإذا كان سبب ذلك التداخل بين فلسفة الثورة وفلسفة التاريخ يعود أساساً إلى أن فلسفة الثورة قد تكون تارة سبباً لفلسفة التاريخ، نظرا إلى أنه

---

(20) M.Harbi : 1954 la guerre commence en Algérie, édit Complexe, Bruxelles, 1984, p. 5.

(21) P. Foulquié : Dictionnaire de la philosophie, PUF, 1978, p. 320.

وأنظر أيضاً: الفلسفة وتاريخ الفلسفة: تأليف، ب. ث غريفوريان، ترجمة، د. هيثم طه، دار الفارابي، بيروت 1986، ص 6.

لا تصور لتاريخ من دون ثورة، (بالمعنى الواسع لهذه الكلمة)، كما إنها قد تكون تارة أخرى بمثابة النتيجة لها، حيث إنه لا تصور لثورة خارج التاريخ، فإن سبب التداخل بين فلسفة الثورة والفلسفة السياسية، من جهة أخرى، يتضح حينما نتذكر أن كل ثورة، مهما بلغت درجة راديكاليتها العسكرية لا تخلو من السياسة، تماماً كما إن أي سياسة مهما بلغت درجة محافظتها لا تخلو من الثورة.

وإدراكاً من هذه الدراسة، بأن القضايا المطروحة من طرف التاريخ لا يمكن حلها بالوسائل التاريخية وحدها[22]، وباستحالة المقاربة الموضوعية الكاملة لكل من الثورة والسياسة والتاريخ، نظراً إلى الجيشان، أو الفوران، الذي يتميز به الحدث الثوري... ولذاتية معطيات السياسة... وعدم قابلية وقائع التاريخ للتكرار داخل المخبر، وهذا عكس الوقائع العلمية، فإنها ستلجأ تباعاً في مقاربتها لثورة تشرين الثاني/ نوفمبر للمنهج التاريخي التفهمي[23] الذي يقوم، على تركيب النتيجة العامة لمختلف أوجه النشاط الإنساني، انطلاقاً من المعنى أو الفكرة العامة التي تربط الأحداث المتولدة عنه، وتعبر عن صورتها الكلية وصولاً إلى النفاد إلى الفكرة العامة التي تكمن وراء تلك الأحداث.

إن ميزة هذا المنهج تتعدى التركيز على العلاقات السببية بين الأحداث، إلى المعنى أو الدلالة العامة لها، المستمدة من الواقع كما تصوره أو عاشه، ليس فقط أولئك الذين تحملوا مسؤولية تغييره، بل وكما عاشه وتصوره من جاء بعدهم ممّن تصدوا له بعد ذلك بالبحث والتحليل[24] ذلك أن ما نهدف إليه هنا هو الوصول إلى فهم المؤسسات وأفعال الرجال، الذين لم يعد معظمهم معنا اليوم، فهما منطلقاً لا من منظور علاقة سبب ونتيجة، بل من منظور تركيبي منطلق أساساً من الحدس ومن الفهم.

---

(22) V.Langlois et ch.Seignobos :Introduction aux études historiques, Paris Hach.,1898.

(23) L.V. Ranke : Une époque de l'histoire moderne (1 ére conférence) trad, p, quillet, p. foulquié. Dictionnaire, p. 545.

(24) R. Aron : Introduction à la philo. de l'histoire, pp. 59 - 87 - 117 - 126-138
- Max Weber: le savant et le politicien, trad, française, paris, plon,1959.
- Essais sur la théorie de la science, trad, française, J. Frund, paris, plon, 1965.
- G, gusdorf : Introduction aux sciences humaines, Belles - lettres - paris, 1960.

إن ذلك يعني أن هذه الدراسة سوف تستعين كذلك وبالتالي، وكلما اقتضت الضرورة، ببعض المناهج التاريخية الأخرى، وخاصة المنهج التوسمي الذي سبق لشبنغلر(*)، ولغيره، أن بيّن البعض من مزاياه.

على أن ذلك لا يجب أن لا يعني أن هذه الدراسة المدركة للترابط الوثيق بين الأوضاع الفكرية للإنسان وبين البنية الاجتماعية، سوف لن تلجأ بالتالي، وكلما اقتضت الضرورة ذلك، إلى المنهج النقدي.

كذلك فإن هذه الدراسة، إذا كانت أول من يدرك طبيعة الفلسفة السياسية التي كانت وراء التاريخ الوطني أثناء الفترة الاستعمارية، وهي الفلسفة، التي استهدفت أساساً مضادة التاريخ الاستعماري وطروحاته الهادفة إلى الطمس النهائي لهوية الشعب الجزائري، وأول من يدرك كذلك أن ما أن ستتوصل إليه، من خلال هذا المنهج، من نتائج حول هذه الثورة، قد تثير خلخلة لبعض القناعات، وقد تهز تلك الصورة المثالية والأسطورية التي ظلت حتى الآن ترسم لهذه الثورة. فإنها أول من يؤكد كذلك أن كل ذلك لن يجعلها تحيد قيد أنملة عن منهجها هذا، إيماناً منها... أن الحقيقة التاريخية هي التي تظل اليوم وغداً كذلك، وأن الشعوب التاريخية العظمى هي تلك القادرة على تأسيس علم لصيرورتها في الزمان، وفي التاريخ كما يقول هيغل[25].

وهذه الدراسة إذ تفعل ذلك، إنما تفعله انطلاقاً من قناعتها الراسخة بأنه قد آن الأوان لإخراج الدراسات حول ثورة تشرين الثاني/نوفمبر من مجالات السرّد والترديد اللذان جعلا كل تناول جاد لهذه الثورة، يكاد يكون من طرف أعداء الأمس إلى آفاق البحث الموضوعي، القادر وحده على ترسيخ مكانة هذه الثورة في عقول وضمائر الأجيال الجزائرية الحاضرة والمقبلة... وذلك من خلال تمكينهم من مقاربتها وفقاً لرؤيتهم الفكرية والثقافية التي لا نشك في أنها ستكون أكثر تنوعاً وجدّة ونقدية من رؤيتنا اليوم.

تلك هي، في ما نعتقد، الخدمة الحقيقية التي يمكن، ويجب، أن تقدم لهذه الثورة اليوم، وللشعب الذي أنجزها... لأنها وحدها القادرة على

(*) O. Spengler.

(25) Hegel: in R. Aron : Introduction à la philo de l'histoire, p. 52.

تمكين أجياله المقبلة من توظيف الفكرة والفلسفة التي كانت وراء بطولاتها وإنجازاتها الماضية في حل أزمات الحاضر ومواجهة تحديدات المستقبل. ولسوف تكتشف تلك الأجيال من بين ما ستكتشف أن ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر كانت لها، مثل كل الثورات الأخرى التي سبقتها وتلتها، إيجابياتها وسلبياتها، لحظات قوتها ولحظات ضعفها.

فقد عرفت العديد من مظاهر شجاعة الرجال وقوتهم. . وطهارتهم وإخلاصهم كما عرفت كذلك العديد من لحظات ضعفهم وتنازعهم ونزواتهم وتجاوزاتهم، وما أفرزه كل ذلك من أحقاد وضغائن، بل ومن ضحايا ومن سفك لدماء بريئة.

ولسوف تكتشف تلك الأجيال كذلك أن تلك الثورة، التي لم تكن الوحيدة في مثل تلك السلبيات[26]، قد استطاعت على الرغم من كل ذلك، أن تصل بالشعب الجزائري إلى هدفه المنشود. . . وأن تستعيد له استقلاله السياسي المغتصب.

وإذا كنا لا نشك في أن الأجيال اللاحقة ستجد في كل تلك الإيجابيات مصدر عزة وعظمة متجددين، فإننا لا نشك في أنها ستجد كذلك في كل تلك السلبيات مصدر عظة وعبرة كبيرتين لتصحيح مسارها.

إن مثل تلك العظة وتلك العبرة هي ما تعتقد هذه الدراسة أن الشعب الجزائري الذي تعصف به اليوم دوّامة العنف والإرهاب والدّمار، التي تهدده، وجوداً وأرضاً، حاضراً ومستقبلاً، في أشد الحاجة إليها اليوم، حيث إن عهود النكبات كما يلاحظ «بريديف» كانت دائماً حافزاً للشعوب للتفكير في الماضي وفي المصير[27].

على أن هذه الدراسة هي أول من يقرّ كذلك أن اتباعها لهذا المنهج لن يجعلها على الرغم من ذلك تقف من هذه الثورة موقف الفيزيائي في مخبره أمام المادة التي يدرسها فذلك صعب، حتى لا نقول مستحيل، وبخاصة

---

(26) سنعرض لها بشيء من التفصيل في فصول هذا الكتاب.

(27) CF N. A. Berdaiev: The Meaning of History, London, Bless,1954.

حينما يكون صاحبها (أي الدراسة) من ضمن أولئك الملايين الذين ولدوا وقضوا طفولتهم وسط ظلم وظلام الاستعمار. . . والذين لم يجدوا منهما مخرجاً إلا بفضل تلك الثورة.

وعلى الرغم من كل ذلك، فإن هذه الدراسة لا تعني بذلك أنها ستطلق العنان لذاتية صاحبها، فلو كان ذلك هدفها لكانت قد اكتفت بالعديد من الدراسات الوطنية والقومية المماثلة والمتواجدة قبلها، بل إن ذلك يعني فقط، الاعتراف بأن الفكرة الوطنية قد سكنت منذ حقب طويلة من الزمن، الفكر والوجدان الجزائريين. . . إلى درجة. . . لم تعد فيه المقاربة الموضوعية الكاملة لهذه الثورة ممكنة.

ولكل ذلك فإن هذه الدراسة هي أول من يسلّم بأنها لم تسلم ـ وعلى الرغم من كل حرصها على مثل تلك الموضوعية ـ من قدر كبير من الذاتية.

من هنا إقرارها بعدم نجاحها بالقدر الذي كانت تأمل في تعمق وتحليل العديد من الجوانب الفكرية والفلسفية لهذه الثورة. . . فضلاً عن العديد من أحداثها.

وإيماناً من هذه الدراسة أن كل جيل، إنما يرى الماضي بعيون الحاضر، حاضره، وبأن كل تاريخ إنما هو تاريخ معاصر، بالتالي، وعلى حد تعبير الفيلسوف الإيطالي «بينيديتو كروتشه»[28]، فإن عزاءها أمام مثل ذلك الفشل النسبي في تعمق كل جوانب هذه الثورة، هو أنها حاولت التنبيه إلى الأهمية القصوى للمنظور الجديد الذي يجب أن يحكم منذ الآن أي مقاربة، وطنية خاصة، لهذه الثورة التي لا نشك في أن دراسات أخرى مقبلة أكثر عمقاً، وموضوعية، سوف تتناولها من خلاله، وصولاً، لا إلى التاريخ التاريخي، بل إلى التاريخ الفلسفي الذي لا تصور لفهم حقيقة أي ثورة في غيابه.

لقد كانت ثورة تشرين الثاني/نوفمبر 1954، أولاً وقبل كل شيء فكرة وطنية وإنسانية مقتحمة ومخترقة للفكرة الاستعمارية، قبل أن تكون قتالاً مسلحاً ضد رموز هذه الأخيرة.

---

(28) cf: Benedetto Crooce, Théorie et histoire de l'historiographie, édit, Droz,1968.

وهذه الفكرة مثل الثورة التي جسدتها وتجسدت بدورها من خلالها. . . لم تظهر وكما سنرى من خلال فصول هذه الدراسة، فجأة وكأنها منقطعة عما كان يعتمل لدى الأجيال الجزائرية الماضية أو عمّا كان يتفاعل في الجيل الذي فجّرها، بل كانت وليدة مخاض وطني طويل وعسير. . . جاءت متوجة، بصورة حاسمة، له ومؤذنة بنهايته. . . وببداية جديدة لمسيرة الجزائر في التاريخ ولمصيرها فيه.

ولأن فكرة تشرين الثاني/نوفمبر كذلك، قد شكلت بدورها وبالتالي، ومثل كل الثورات الكبرى التي عرفتها الإنسانية، بالنسبة إلى وعيها التاريخي بخاصة ولوعي الإنسانية المضطهدة عامة، ارتقاءً بالمفاهيم الثورية من محدودية الجزئيات إلى شمولية الكلّيات وانتقالاً بالفكر الوطني والإنساني من مستوى التعبير عن الواقع الاستعماري المحتضر إلى آفاق الواقع الوطني الجديد الذي يولد[29]، والذي ما لبثت دوائر تأثيره المتسارعة والمتسعة بسرعة واستمرار، أن تجاوزت حدود الجزائر. . . لتمتد إلى ضمائر وعقول كل الشعوب المستعمرة ولتدفعها إلى العمل بدورها على بلورة مثل ذلك الواقع الجديد وتجسيده فوق أنقاض واقعها الاستعماري الأليم.

«لقد شكلت ثورة تشرين الثاني/نوفمبر 1954 التحريرية ـ بفضل تلك الفلسفة التي كانت من ورائها ـ مكسباً للشعب الجزائري، ومنبعاً ستظل أجياله تستلهم منه، جيلاً بعد جيل، مبدأ بقائها وتطورها. . . بالقدر الذي ستظل تستلهم منه كذلك المعنى العميق لتاريخها باعتباره إنجازاً ذاتياً من طرفها. . »؛ «فكصورة بطولية شكلت تلك الثورة، وتلك الفلسفة التي كانت من ورائها، تطابق شعب مع الحرية؛ وكقفزة نوعية على مستوى التاريخ فإنها قد شكلت الحاضن الأيديولوجي والروحي للمجتمع الجزائري الجديد.» و«لكل ذلك أصبحت تلك الثورة، وتلك الفلسفة التي كانت من ورائها، بمثابة الممر الإجباري لكل محاولة لفهم أو لبناء أي شيء في الجزائر اليوم»[30].

---

(29) أنظر في هذا الصدد، وجيه كوثراني : الوعي التاريخي في النظرة القرآنية، مجلة الحوار، العدد، 3، السنة الأولى، خريف1986، باريس، 1986.

(30) R. Malek : Tradition et Révolution, p. 136.

القسم الأول

عن الواقع وعن إشكالية مقاربته

تمهيد

تتميز الفكرة الثورية عن غيرها من الأفكار العادية الأخرى ـ لا بنفيها النظري للواقع جملة وتفصيلاً، كما يفعل بعض المثاليين والحالمين، أو بارتباطها السلبي معه ومع معطياته، بل ـ بمقاربتها الأصيلة والموضوعية له من حيث كونها تمثل الهدف الذي يحكم الحدث، ويؤسس له، فلدى كل فكرة ثورية مفاهيم معرفية تكون حقيقتها التاريخية، وذلك انطلاقاً من قيم الماضي وتحديات الحاضر والمستقبل، تلك المقاربة التي تمكنها من التفاعل الإيجابي معه.

إن مثل ذلك التفاعل هو الذي يكشف لها في النهاية، ولغيرها من تلك الأفكار الأخرى، عن خصوصيات ذلك الواقع، ويجعل مقاربتها له بالتالي مقاربة أصيلة ومتميزة.

ولأن الخصوصية التي تجعل الواقع متميزاً بالنسبة إلى الفكرة الثورية هي ذاتها التي تجعل نظرتها له أصيلة، وبخاصة حينما يكون ذلك الواقع استعمارياً، فإن ما يميز مقاربتها له عن غيرها من المقاربات الأخرى ليس مدى رفضها لذالك الواقع أو مدى ارتباطها السلبي به. . فضلاً عن تعاليها النظري عنه، بل مدى القدرة على الاتصال به والانفصال عنه، القبول له والرفض، التمثيل له واللفظ وصولاً إلى تجاوزه عملياً نحو ذلك الواقع الجديد الذي لا يلبث أن تكشف عنه مثل هذه العملية والذي ليس شيئاً آخر سوى ما نسميه بـ الواقع الثوري.

الفصل الأول

الفلسفة والثورة

تمهيد

موضوع هذه الدراسة هو الأسس الفلسفية للثورة التحريرية الجزائرية (1954 ـ 1962). ولكي نبيّن بوضوح الأسس الفلسفية للثورة التحريرية، التي سنرى من خلال فصول هذه الدراسة أنها كانت، وعلى العكس مما يدعيه البعض، الذين نفوا كل بعد فلسفي عنها[1]، بمثابة السند الأول لها. . . فإننا نعتقد أنه لا بد أولاً من تحديد كل من مفهومي الفلسفة والثورة وصولاً إلى تمييز الثورة عن غيرها من كل الأشكال الأخرى الرافضة للواقع، والفلسفة عن غيرها من أنواع التأمل، غير الفاعل فيه.

أولاً: الفلسفة[*]

إذا كانت الفلسفة تعني اصطلاحاً «محبة الحكمة»[2] كما ذهب «فيتاغور» (تـ 370 ق م)، فإن الفلسفة كمعنى، تعني المعرفة العقلية بالمعنى الواسع لهذه الكلمة[3].

وإذا كان «أفلاطون» (تـ 427 ق م) قد عرّف الفلسفة بأنها «تأمل

---

(1) Y. Courrière: les fils de la toussaint, Fayard, Paris, 1971, p. 17.
P. Merle: Ahmed Ben Bella. Gallimard, 1965, p. 135.

(*) La philosophie

(2) Pythagore: in E. Bréhier: Histoire de la philosophie, PUF, 1948, T, I, P P: 50-53

(3) A. Lalande: Vocabulaire thechnique et critique de la philosophie, PUF, 1951, p. 774

الموت»[4]، وديكارت (تـ 1650) بأنها « البحث المجرد عن العلل والأسباب الأولى للمعرفة»[5]، فإن الفلسفة التي نقصدها هنا شيء أكبر من ذلك وأعمق.

إنها تلك النظرة المتميزة[6] والنقدية للعالم أي للواقع، والهادفة بالتالي لا إلى مجرد تأمله فحسب، بل إلى إعادة صنعه من جديد.

ولكي تحقق الفلسفة مثل تلك النظرة النقدية والأصيلة للواقع، الكفيلة وحدها بتمكينها من إعادة صنعه، فإنه يجب أن تبلغ درجة من العمق في تمثلها له يجعلها قادرة في النهاية على إحداث هزة عنيفة فيه.

إن تلك الهزة هي التي تحول الحياة الإنسانية من حياة أو وجود من أجل الموت، كما ذهب «هيدغر»، إلى وجود من أجل تحقيق الذات نظراً إلى أن الإنسان هو وحده الكائن المدرك وبأن هدف المغامرة الوجودية ليس الموت... بل تحقيق ذاته... كما يلاحظ ريمون آرون[7].

كما إن تلك الهزة هي التي لا تلبث آثارها أن تنعكس على علاقة الإنسان بواقعه لتجعله يدرك في النهاية اغترابه في ذلك الواقع، الاستعماري بخاصة، وفقدانه لاتساقه، الفكري والنفسي، ولأهدافه فيه.

كما إنها هي التي تكشف له كذلك عن ذاته وعن ضرورة إعادة تجديدها انطلاقاً مما هي كائنة ومما تريد أن تكون... وصولاً إلى تلك الجدلية المتجددة التي تلتقي فيها المعرفة الباطنية (للذات) والاختيار الموضوعي، القبول بالواقع والجهد من أجل تجاوزه في الوقت ذاته. بمثل ذلك يتحوّل التشاؤم السّلبي للفرد وللجماعة على حدّ سواء، أمام الواقع الاستعماري إلى تشاؤم إيجابي لا يلبث أن يولد لديه شعوراً بضرورة العمل على تجاوزه وعلى إعادة اتساقه وتوازنه أمام ذلك الواقع الذي يتحول لديه، إلى ما يشبه الكابوس الذي عليه الخروج منه بأقصى سرعة.

إن مثل هذا العمل الهادف لتجاوز الواقع ولإعادة التوازن إلى الذات، هو

---

(4) Platon: Timée, le Banquet, (Diverses ditions)

(5) R. Descartes: Principes, préface, IX, B5, (Diverses éditions)

(6) H. Gouhier: la philosophie et son histoire, Vrin, Paris, 1948, p. 12-13.

(7) R. Aron: Introduction à la philosophie de l'Histoire, p.52.

الذي لا يلبث، من خلال كشفه للفرد وللجماعة على حد السواء، عن حاجات جديدة وعن إمكانيات جديدة لتحقيقها، عن مدى دقة الخيط الذي يربط بين رفض الواقع وبين العمل على تغييره. . . ذلك الخيط الذي عليه الإمساك والتمسك به بقوة حتى لا يقع المشروع الثوري الحامل له في دوائر التمرد والانقلاب.

بذلك تدرك الثورة طبيعة المسافة التي عليها أن تعرف كيف تتجاوزها حتى لا تقع في حدود تلك الدوائر.

وليس ذلك الخيط الرفيع سوى الفكر الذي بلغ درجة من العمق ومن الأصالة في تمثله للواقع الاستعماري، تجعله قادراً على تحديد الصورة المثلى التي يريد استبداله بها وللأسباب الموضوعية التي مكّنت له من الوجود ومن الاستمرار.

كما إن تلك المسافة ليست بدورها سوى ذلك العمل الثوري النوعي الكفيل بتجسيد ذلك الواقع البديل.

لكلّ ذلك كانت الفلسفة الثورية الحقيقية فلسفة مستبقة للمستقبل وذلك من خلال تجاوزها للحاضر وللواقع المجسّد له.

ولكل ذلك كان السؤال الملح والأول الذي يواجه كل مشروع ثوري هو: كيف يمكن له أن يجعل الوعي الفردي والجماعي ينفذ إلى الواقع الاستعماري ويتمثل بعمق معطياته، كشرط للخروج بمفاهيم جديدة عنه، تلك المفاهيم التي لا تلبث أن تبدأ في التفاعل داخل ذلك الوعي الفردي والجماعي محدثة بذلك تلك الهزة العنيفة، التي لا تلبث أن تمتد في دوائر متتالية ومتسارعة من الذات، الفردية إلى الذات الجماعية، معلنة عن ميلاد الثورة؟

وأمام مثل هذا السؤال الملح، فإن الثورة الحقيقية لا تجد له من جواب سوى الإسراع في تكوين وعي الجماهير بواقعها الاستعماري وبالأسس والركائز التي مكنت لذلك الواقع من التواجد. ومن الاستمرار. . . وصولاً إلى تحطيمها. . . وفي تلك المواجهة الحتمية بين الفكرة الثورية والفكرة الاستعمارية (أو الاستبدادية)، تتبين الجماهير أن الفكر الثوري ليس الفكر المتشبع بالثورة أو المبشر بها فحسب، بل إنه كذلك الفكر العامل على تجسيدها فوق أرض الواقع والمتحمل لكل نتائجها المتوقعة وغير المتوقعة.

بمثل ذلك، تخلق الثورة دينامياتها الذاتية، المتجاوزة للفرد وللجماعة على حد سواء، تلك الدينامية التي يتحول فيها النظر إلى مكمل للعمل، اكتمالاً يجعل العمل لا يتحدد إلا من خلال النظر. وهذا الأخير لا يتجسد كقيمة إلا من خلال العمل لكي تنسجم الغاية مع الوسيلة انسجاماً يجعل الوسيلة لا تتحدد إلاّ تبعاً للغاية التي تنشدها، بقدر ما يجعل الغاية لا تتبلور، بدورها إلاّ من خلال الوسيلة التي تجسدها.

بذلك تبدأ الشعارات والأفكار والآمال الثورية التي كانت تبدو قبل ذلك، بالنسبة إلى الفرد والجماعة على حد السواء، مستحيلة، في التجسد التدريجي على أرض الواقع، تجسداً لا يزيد في النهاية الفرد والجماعة، سوى التحاماً حولها.

وبذلك يرتبط مفهوم الحرية والاستقلال بالجماهير وتتحول الثورة بالتالي إلى ظاهرة ديمقراطية، تتجاوز الرفض الفردي، الفوضوي وغير الفاعل، للواقع الاستعماري القائم، نحو الرفض الجماعي الفاعل والمنظّم، وإلى مصدر وحيد، بالتالي لتلك السلطة الجديدة المتولدة عن مثل ذلك الرفض.

وبذلك أيضاً تنأى الثورة بنفسها عن دوائر كل تلك الأشكال غير الثورية الرافضة للواقع، وعن كل أشكال المراهقة الثورية كذلك لترتبط نهائياً بالجماهير التي لا تلبث باحتضانها الكلي والتلقائي لها، أن تؤكد لأعدائها ولأصدقائها على حد سواء، أن الثورة ليست أحلاماً فحسب، بل إنها امتلاك كذلك وفي الوقت نفسه لنواصي تلك الأحلام.

وإن التاريخ ليحدثنا عن العديد من دعاة الثورة الذين بدأوا ثواراً وانتهوا أمام ترددهم أو هروبهم أمام نتائج مشاريعهم الثورية تلك، مستسلمين لذلك الواقع الذي أرادوا الثورة عليه. . . بل وإلى مضادين لمبدأ للثورة ذاته.

لكل ذلك كانت الثورة الحقيقية عبارة عن انتقال نوعي وكلي بالوعي الفردي والجماعي على حد سواء، من الواقع الاستعماري، (أو الاستبدادي) الكائن إلى الواقع الثوري الوطني، الذي يمكن ويجب أن يكون، ودفن للقديم في الجديد، وليس مجرد تركيب لهما كما ذهب هيغل.

ولكل ذلك أيضاً كانت عهود الثورات الفكرية دوماً متقدمة عن غيرها من

القرارات السياسية والاجتماعية، وانتقالاً بالشعوب من مرحلة التقبل السلبي للواقع المزري إلى مرحلة العمل على تغيره بواقع أفضل. . . ومن مرحلة الاحتمال السلبي له إلى مرحلة التحمل الإيجابي له، وذلك ما أدركته كل النظم الاستعمارية (أو الاستبدادية) التي رأت بالتالي في كل يقظة فكرية للشعوب الرازحة، تحت سيطرتها تهديداً مباشراً لها، يجب العمل على قمعه وإجهاضه قبل أن يؤدي بالجماهير إلى الثورة.

هكذا تخرج الفلسفة، من خلال الثورة، من ذلك الموقف اللامبالي وغير الفاعل الذي توهمه لها البعض اتجاه الواقع، لترتبط به وبالتاريخ المتجسد من خلاله، ارتباطاً يجعلها بالتالي، وكما يلاحظ «كروشه»[8] لا في بداية ذلك التاريخ أو في نهايته أو خارجه، بل في كل فترة من فتراته، بقدر ما يضفي على التاريخ بدوره وعلى أحداثه، ذلك الطابع المنطقي والفلسفي، الذي بفضله يأخذ صفة المعقولية ويبتعد عن العشوائية.

إنّ مثل هذه العلاقة الجديدة للفكر والوعي بالواقع الاستعماري بخاصّة، هي التي تنتقل في النهاية بالسّلوك الفردي والجماعي من مرحلة السّلبية واللاوعي، إلى ذلك المنظور الفكري والعلمي الجديد، والذي ليس شيئاً آخر سوى ما نسمّيه بـ الأيديولوجيا.

كما إنّها هي التي تجعل كلّ فلسفة للتاريخ لا تتطوّر إلاّ من خلال حركية متجدّدة ومتنقّلة باستمرار من الحياة إلى الوعي ومن الوعي إلى الفكر، ومن الفكر إلى الإرادة، ومن الإرادة إلى العمل المجسّد لها.

ولأن الأيديولوجيا وطنية كانت أو استعمارية، أكبر من مجرد علاقات وهمية، للأفراد مع ظروف حياتهم[9] بل إنها نظام من التصورات والمفاهيم والصور والممارسات الواعية بواقعها[10]، فإن كل فلسفة بالتالي، حتى تلك الرافضة للواقع، متضمنة للأيديولوجيا. . . أدركت ذلك أم لم تدرك.

---

(8) B. Crooce: la logique comme Science du concept pur, in «B. Crooce», P,olivier, édit.Seghers paris 1975, pp. 143-151.

(9) L. Althusser: Revue, la pensée, paris, juin 1990
L.Althhusser: pour marx, Mapéro, paris, 1966.

(10) M. Vovelle: Idéologie et Mentalités, édit la découverte, paris 1985, P, 6

من هذا المنظور كانت فلسفة أفلاطون مثلاً متضمنة ومن خلال رفضها للواقع، باسم عالم المثل، ومن خلال تحديدها بالتالي لسلوكات وممارسات معينة تجاه ذلك الواقع، للأيديولوجيا، تماماً مثل فلسفة أرسطو وجان بول سارتر (تـ 1980).

نعود إلى الفلسفة وإلى الثورة لنقول إن الفلسفة الثورية، ليست بالتالي تلك الهادفة إلى استبدال الواقع بالخيال كما فعل ويفعل المثاليون، القدماء منهم والمحدثون، فلو كانت الفلسفة الثورية كذلك لتحول الطوباويون والحالمون إلى أكبر الثوار في التاريخ.

كما إن الفلسفة الثورية ليست تلك الهادفة من وراء تأملها الروحي والفكري للواقع، إلى الخلاص الفردي منه، كما هو الحال عند العديد من المتصوفة، فلو كانت الفلسفة كذلك لتحولت الثورة إلى قضية فردية. . . ولما كانت ثورة بالتالي.

وأخيراً، وليس آخراً، فإن الفلسفة الثورية لو كانت مجرد مطابقة اعتباطية[11] للواقع ومعطياته مع العقل، كما ذهب إلى ذلك هيغل (تـ 1834)، بحجة أن كل ما هو واقعي عقلي، لما برزت لامعقولية ذلك الواقع أصلاً أو ضرورة الثورة عليه بالتالي. . . ولاستحال بالتالي تصور الثورة ذاتها.

ولا يغير من هذه الحقيقة كثيراً قول البعض من الوضعيين إن الثورة ومشروعها تعد واحدة من معطيات الواقع، وهي معقولة بدورها كذلك[12]، لسبب بسيط وهو أن ذلك الواقع يشترك فيه كل من المستعمِر (بكسر الميم) والمستعمَر(بفتحها)، لكن الأول يرضى عنه، والثاني يرفضه. إضافة إلى أن الثورة مشروع أولاً يجب أن يتجسد بعد ذلك ضد ذلك الواقع وعلى أنقاضه، حتى يتحول إلى حقيقة.

لكل ذلك نقول، مرة أخرى إن الفلسفة التي تريد هذه الدراسة وتقصد،

---

(11) G. W. F. Hegel: la Raison dans l'Histoire, Introduction à la philosophie de l'histoire trad:française K. P- papionnou, co 1/10/18, paris, 1965, PP, 45/53.

(12) هـ. ماركيزوز: هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية ترجمة د.فؤاد زكريا الهيئة العامة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة 1970 ص 14.

هي تلك المتمثلة نقدياً وبعمق للواقع، والعاملة في الوقت نفسه على تغييره بواقع أفضل.

إن تبني هذه الدراسة لهذا المفهوم للفلسفة الثورية، يجد مبرراته في تلك الحقيقة التاريخية التي تؤكد أن عهود ازدهار الأمم والشعوب هي ذاتها عهود ازدهار الفلسفة فيها.

ذلك ما تؤكده ـ على أي حال ـ علاقة فلسفة طاليس (624 ق م) وفيتاغور (610 ق م) وأناكسيماندر (547ق م) وهراقليطس (840 ق م) وغيرهم بالنهضة، التي شهدتها اليونان في القرن السادس والخامس

قبل الميلاد وعلاقة النهضة، النسبية، كذلك، التي شهدتها أثينا بعد هزيمتها أمام سبطرة (405 ق م) بفلسفة كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو.

وذلك ما تؤكده كذلك العلاقة بين الفلسفة وبين النهضة النسبية أيضاً، التي شهدتها الأمة العربية والإسلامية في القرنين الرابع والخامس للهجرة بصورة خاصة، ثم في القرن الماضي (القرن 13هـ ـ 19 م) بعد ذلك، وذلك ما تؤكده أخيراً وليس آخراً، العلاقة بين التقدم الأوروبي الغربي منه خاصة اليوم، وبين الفلسفة الرأسمالية على وجه التحديد، والتي أصبحت بعد التعثر الذي انتهت إليه التجربة الاشتراكية، الفلسفة السياسية والاجتماعية والأيديولوجية الوحيدة، تقريباً، لكل الإنسانية اليوم.

إن مثل هذه الحقائق وغيرها، حول العلاقة بين الفلسفة وبين تقدم الأمم والشعوب، تؤكد أن الفلسفة الحقيقية، ليست ـ وكما لا يزال يعتقد البعض في العالم العربي والإسلامي وخارجه ـ ترفاً فكرياً، بل إنها شيء أكبر من ذلك وأخطر.

فلم يسجل التاريخ أن أمة واحدة من الأمم استطاعت أن تحقق تقدمها العلمي أو الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي، قبل أن تحقق تقدمها الفلسفي.

إن أثينا عرفت سقراط قبل أرخميدس؛ والعرب والمسلمون عامة، عرفوا الكندي والفارابي وابن رشد، قبل أن يعرفوا ابن الهيثم والخوارزمي والبيروني؛

وأوروبا عرفت ديكارت وبيكون، وكانط، قبل أن تعرف نيوتن. . . ولابلاس. . . وفارادي؛ والاتحاد السوفياتي، سابقاً، عرف كارل ماركس قبل أن يعرف «ميغ»؛ والشعوب التي لم تعرف الفلسفة، لم تحقق على الرغم من ذلك أي تقدم علمي يذكر.

وما الدّور الذي أدته فلسفة «فيخته» (تـ 1814) في إذكاء كفاح الشعب الألماني ضد الاجتياح النابليوني لأراضيه، وفلسفة «غاندي» في مقاومة الاحتلال البريطاني للهند، وفلسفة النهضة العربية الإسلامية في التمهيد للثورة التحريرية التي قادها العالم العربي والإسلامي ضد الاستعمار الأوروبي، والفلسفة الغربية في النهضة العلمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي تعرفها أوروبا اليوم، إلاّ دليل على دور الفلسفة في الحياة الإنسانية.

بذلك نفهم سبب تأكيد جمال الدين الأفغاني (تـ 1315هـ ـ 1898) «على استحالة تقدم العالم الإسلامي من دون فلسفة»[13]. على أنه يجب أن نلاحظ، مرة أخرى، أن الفلسفة التي نقصدها، ليست وكما سبق أن أشرنا، فلسفة من أجل التفلسف، دون ما تفاعل يذكر مع الواقع المعاش وتحدياته المتعددة والمتجددة، بل إن الفلسفة التي نريد ونقصد هي تلك الفلسفة النابعة من أعماقنا والقادرة على التعبير عن آمالنا وآلامنا، عن أصالتنا وتفتحنا في الوقت نفسه، وذلك من خلال عملها على وصلنا بكل معطيات عصرنا، وبكل إيجابية ماضينا كذلك في الوقت نفسه. وإذا كانت تلك هي علاقة الفلسفة بتقدم الأمم والشعوب، فإن علاقتها بالثورة بصورة خاصة ـ التي تشكل، وكما نعلم محرك كل تقدم وكل تاريخ ـ تتجلى بصورة أكبر حينما نذكّر بمقولة « لينين» التي سبقت الإشارة إليها والتي تؤكد استحالة الثورة من دون نظرية ثورية.

بعد أن عرّفنا الفلسفة عامة/ والفلسفة الثورية بخاصة ودورها في تقدم الأمم والشعوب. . . وفي دفع عجلة حياتها دوماً إلى الأمام. . . نعرض الآن للثورة ولدورها في ذلك التقدم. يرى البعض من الباحثين أن مصطلح الثورة لم يصبح شائعاً ومتداولاً إلى بعد الثورة الفرنسية (عام 1789).

---

(13) D. Al. Afghani: Conférence, Albert Hall, Calcutta (Inde), 8, Novembre, 1872-

(*) من أمثال: «روبسبيار» «وريفارول» Rivarol و«وليتري» و«فاليري»

وإذا كان البعض من الباحثين(*) الآخرين قد يتردد في التسليم بهذا الرأي، فإن الحقيقة التي لا يجادل فيها أحد اليوم هي أن كلمة الثورة قد انتشرت في عصرنا الحاضر نتيجة لعدة عوامل، لا مجال للتوقف عندها هنا، إلى حد أصبحت تتردد على كل الألسنة ومتواجدة في كل القواميس السياسية وغير السياسية، ولكل الأنظمة والهيئات الرسمية وغير الرسمية على اختلاف نزعاتها السياسية، وتباين انشغالاتها العملية.

أما بالنسبة إلى العالم العربي والإسلامي بخاصة، وفي مقدمته الجزائر، والعالم الثالث عامة، فإن كلمة «الثورة» قد أخذت ولا تزال تأخذ سحراً ورنيناً خاصين نظراً إلى ارتباطها بحروب التحرير وبمختلف أشكال المقاومة ـ المسلحة وغير المسلحة ـ الأخرى التي قادها بنجاح متفاوت، ضد المستعمر واستعاد من خلالها استقلاله السياسي.

ثانياً: تعريف الثورة

تعني الثورة اصطلاحاً خاصة في اللغات الأجنبية الغربية منها، ومن ضمنها الفرنسية والإنكليزية والألمانية، العودة إلى الذات... كما تعني كذلك الإعادة(*) لما كان من قبل. إن ربط الثورة بعودة ما كان، لا يعني السلب أو النكوص، بل التطور العائد في حركة دورانية ومكررة لنفسها، مثل حركة الطبيعة. من هذا المنظور الإصلاحي توصف التحولات الكونية والطبيعية بالثورة.

وذلك ما فعله أفلاطون حين تحدث في كتابه **طيماوس**[14] (Timaeus) عن ضرورة عودة الإنسانية، من خلال العمل على خلاصها، الروحي لا الجسدي، إلى عهدها الأول الذي كان لها وكان فيه الناس سعداء، لأنهم لم يعرفوا فيه الشرور أو الحروب أو النزاعات، ذلك العهد الذي توارى، وكأنه الفردوس المفقود، نتيجة لانقلاب كوني، لا يوضح (أفلاطون) سببه أو أسبابه.

وذلك ما فعله أيضاً القديس «أوغسطيس» الذي تبنى في كتابه **مدينة الرب**

(*) Réitération.

(14) Encyclopédia Universalis, Paris, 1972, Vol, 14, pp. 206-208

المصطلح نفسه واعتبر بدوره الثورة بمثابة القطيعة مع رموز الشرك، وصولاً إلى العودة إلى الإيمان الأول[15].

أما في اللغة العربية، فإن كلمة «ثورة»، إذا كانت تعني اصطلاحاً الهيجان والغضب والنهوض[16] فإنها تعني أيضاً العودة إلى ما كان من قبل.

من هذا المنظور اعتبر الإسلام، الذي نعرف جميعاً مدى تأثر ثورة نوفمبر التحريرية والشعب المجسد لها به، الثورة التي جاء حاملاً لها، بمثابة الدعوة للعودة إلى دين إبراهيم (ﷺ). وذلك من خلال مطالبته بدوره، بالقطيعة مع كل رموز الشرك.

ومن هذا المنظور كذلك قال الرسول (ﷺ): «من أراد العلم فليتنور القرآن، ولينظر في مدلولاته وليتأمل معانيه». وإذا كان القرآن لا يستعمل كلمة «ثورة» ويكتفي بكلمة «تغيير» فإن ذلك راجع لأسباب لعل أهمها:

ـ أن كلمة الثورة لم تكن مستعمله كثيراً وبخاصة في الكتب السماوية التي سبقت القرآن، أو في ما بقي منها بعد التحريف الذي تعرضت له، بدليل أننا لا نجد هذا اللفظ في التوراة وفي الإنجيل إلا في ثلاث مناسبات[17].

ـ أن التغيير[*] الذي لا يختلف في جوهره وفي أهدافه عن الثورة كما سنرى، حقيقة نفسية وذاتية بإمكان الإنسان أن يلمسها ويدركها في ذاته وتغير حالاتها من الصغر إلى الكبر ومن السرور إلى الكدر ومن الحياة إلى الموت، كما يستطيع أن يلاحظها كذلك في الكون الذي يعيش فيه وتعاقب أيامه وتقلب لياليه وتباين فصوله واختلاف سنيه.

ـ أن التغيير يحتوي على عنصر تربوي ونفسي مهم يتمثل في طابعه المتدرج الذي يجنب الإنسان عنصر المفاجأة ويتيح له الفرصة للتوقع والفهم

---

(15) St. Augustin: la cité de Dieu, (diverses éditions), livre, IX, 15

(16) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، باب الراء، مادة: ثورة، ص، 108

(17) كتاب الملوك الأولى (التوراة) 12 ـ 16.

(*) إنجيل متى 11 ـ 45 ـ 48

ـ إنجيل لوقاء 9 ـ 21

بالتالي، ويجعله نتيجة لذلك أكثر فهماً لما يجري وأقل معارضة ورفضاً له بالتالي. . . وهذا هو المنهج الحديث في التربية اليوم كما هو معلوم.

ـ أن التغيير بحكم طابعه الاستمراري أدوم من الثورة التي كثيراً ما تنتهي بالسرعة نفسها التي اندلعت بها تاركة من ورائها إما توقفاً وفشلاً نهائيين كما هو الشأن في حركة «سبارتاكوس» (سنة71 ق م) ضد روما، وثورة «الزنج» (سنة 247هـ) ضد الخلافة العباسية في بغداد (في عهد المعتمد ابن المتوكل)، والثورة الإسبانية (سنة 1936)؛ أو جموداً وعقماً كالجمود الذي عرفته الثورة الفرنسية في (سنتي 1795م ـ 1796م)، والثورة الروسية في الفترة ما بين (سنة 1921م ـ 1927م) في ما عرف بـ «بفترة السياسة الاقتصادية الجديدة»، والثورة الصينية (سنة 1955م ـ 1956م) في ما أطلق عليه بـ «فترة المائية زهرة» و(سنة 1966م) في ما عرف بفترة «الثورة الثقافية» و(سنة 1981م) «عصابة الأربعة»، والثورة البولندية في ما سمي بـ «أكتوبر البولندي» (1956م)، الثورة الكوبية في ما عرف بـ «خلاف كاسترو» و«تشي غيفارا» حول «الاستمرارية الثورية» (سنة 1967م).

وفي كل من الحالتين (الفشل التام أو الجمود) تفتح مجالات غير محدودة للتصفيات الجسدية للكثير من الأبرياء والوطنيين المخلصين باسم «مقاومة الثورة المضادة» تارة، وباسم «مطاردة عملاء القوى الأجنبية» تارة أخرى.

ولقد حدث ذلك في الثورة الفرنسية على يد «روبسبيير»[*]، وفي الثورة الروسية (سنة 1936م) (المحاكمات الستالينية)، وفي الثورة الصينية (سنة 1966م) و(1981م)، وفي الثورة الكوبية (1968م).

ـ إن التغيير لا يحصر الثورة أو يقيدها بمخططات نظرية غير واقعية وجامدة لا تقبل نقاشاً أو نقداً، بل يجعل منها عملية مرنة قابلة لتعديل أخطائها دونما تأثير يذكر على مسيرتها العامة. . . ودونما تعنت أو إرهاب أو عنف في الوقت نفسه.

وإن ـ التغيير ـ كما سبق أن أشرنا ـ هو الهدف النهائي لكل ثورة[18]،

(*) Robespierre.

(18) Encyclopédia universalis, Vol. 14

ومن ثمة فإن الخلاف بين التغيير وبين الثورة خلاف في الوسائل وفي مدى التحقيق الفعلي للأهداف.

وإذا كانت تلك هي «الثورة» اصطلاحاً، فإن «الثورة» كمعنى تعني «التبديل السريع والعنيف، في الغالب، في السياسة وفي نظام الحكم، ذلك التبدل الذي يشكل انفصاماً في التاريخ، وحداً فاصلاً يقسم الأزمنة والأفكار والعادات والمعتقدات والقوانين، ومواضيع الاهتمام وأساليب التفكير والتعبير والسلوك والممارسات»[19]، إلى ما قبل وإلى ما بعد، ذلك التبدل الذي لا تصور له من دون جماهير شعبية.

ولأن «الثورة» معنى، كذلك، فإنها تشكل قطيعة في صيرورة المجتمع، تريد أن تكون جذرية وشاملة لتجعل ما قبلها مختلفاً عما بعدها، وذلك من خلال ارتقائها بالوعي، الفردي والجماعي، ارتقاءً لا يحول الواقع لديه إلى واقع شاذ ومرفوض إلا لكي يدفعه بعد ذلك إلى العمل على تغييره وتجاوزه.

غير أن الثورة في سعيها هذا إلى تقويض ما هو كائن، باسم ما يجب ويمكن أن يكون، لا تلبث أن تصطدم بالعديد من حقائق ذاك الواقع المرفوض، تلك الحقائق التي عليها تمثلها أولاً، وبعمق، كشرط لتجاوزها ولتجاوز الواقع المستند إليه.

بذلك تبدو الثورة بذلك الطابع الازدواجي المتناقض ظاهرياً فحسب، والذي يجعل منها دعوة للمستقبل وعودة في الوقت نفسه.

وبذلك أيضاً كانت القطيعة الثورية مع كل من الحاضر ومن الماضي نسبية وليست مطلقة أو شاملة كما يتوهم البعض من الثوريين والفلاسفة بخاصة، وهذا ابتداء من أفلاطون ودعوته لمواطني أثينا إلى تحطيم قلاع الطغيان الثلاث: الأسرة والدستور والحكم الاستبدادي، والعودة من خلال المدينة الفاضلة، إلى عهدها الأول الذي توارى، كما سبق أن أشرنا، تحت وطأة تلك الخلخلة التي أصابت الكون، وانتهاء بكارل ماركس (تـ 1883م) وبثورته الداعية إلى تقويض قلاع الرأسمالية (ممثلة بصورة خاصة في الملكية الفردية) وإقامة

---

(19) Ibid

الاشتراكية العلمية التي نلاحظ أنها تحاكي الاشتراكية البدائية الأولى لأفلاطون، ومروراً بكل الثوريين الآخرين الذي عرفتم الإنسانية طيلة تاريخها الطويل.

إن الحقيقة نفسها تصدق على ثورة نوفمبر التي أعلنت في أول بيان لها للشعب الجزائري «أن هدفها هو استعادة الدولة الجزائرية ذات السيادة الديمقراطية والاجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية»[20].

إن هذا التناقض الظاهري الذي تنطوي عليه كل ثورة هو الذي قد ينعكس منذ البداية، وكما يلاحظ «فون شتاينر»[*][21] على مبادئها، ليتحكم بعد ذلك في مسيرتها، وفي المضمون الاجتماعي والسياسي والثقافي لذلك الواقع الجديد الذي نجحت في تجسيده، ليؤكد كذلك أن الثورة التحريرية إذا كانت تختار دوماً أهدافها، فإنها لا تختار دوماً الوسائل الكفيلة بتجسيدها.

كما إن عودة الثورة إلى الماضي بخاصة، لا تعني وكما يعتقد البعض، الانزواء فيه، بل إنها تعني فقط العمل على إعادة وصله بمسيرتها، وصولاً إلى ربط كل إيجابياته بالمستقبل الذي تنشده.

بذلك كانت الثورة هدماً وبناء، تطلعاً للمستقبل وارتباطاً موضوعياً بالماضي وبالحاضر في الوقت نفسه.

ولأن الثورة كذلك، فإنها تختلف عن غيرها من الحركات الأخرى الرافضة للواقع وذلك من أمثال الانقلاب والعصيان والانتفاضة والتمرد. . . وغيرهم، وهي الحركات التي سنتوقف عندها بشيء من التفصيل في ما يلي:

1 ـ الانقلاب[**]

يعرّف الانقلاب بأنه حركة رافضة وهادفة إلى الاستيلاء على السلطة السياسية بوسائل غير مشروعة[22].

---

(20) بيان أول نوفمبر 1954.

(*) Von steiner.

(21) هـ. ماركيوز: هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية، ص 413.

(**) Le comptot

(22) Encyclopédia Universalis, Vol. 8

ولأن الانقلاب كذلك، فإنه يختلف عن الثورة لأنه لا يهدف في الغالب ـ وبخاصة حينما تكون تلك السلطة التي يستهدفها شرعية وعادلة ـ إلا الاستيلاء على الحكم، بدلاً من الأقلية أو الأكثرية الممسكة به، وهذا دونما مشروع جدي لتغيير الواقع القائم.

ولا يغير من هذا التعريف كثيراً انتهاء بعض الانقلابات إلى ثورات حقيقية تماماً، كما لا يغير منه كثيراً كذلك، انتهاء بعض الثورات إلى انقلابات.

2 ـ العصيان

يعرّف العصيان(*) بأنه[23] انتفاضة مسلحة ضد السلطة القائمة دونما مشروع سياسي أو اجتماعي واضح بديل لمشروع تلك السلطة.

ولأن العصيان كذلك، فإنه يختلف بالتالي عن الثورة، لأنه يهدف مثل الانقلاب، إلى مجرد تغيير سلطة بسلطة أخرى.

إن ذلك الاختلاف بين الثورة والانقلاب هو ما عملت وتعمل كل سلطة استعمارية أو استبدادية على توظيفه لصالحها، وذلك من خلال تقديمها لكل ثورة معارضة لها للرأي العام، على أنها مجرد تمرد وانقلاب، وذلك بهدف التقليل من شأنها ومن شأن ردود الأفعال التي قد تنجم عن ضربها لها بعد ذلك.

على أن كل ذلك لا ينفي تلك الحقيقة التاريخية التي تؤكد أن العصيان كثيراً ما شكل المرحلة الأولى للثورة.

3 ـ الانتفاضة(*)

تعرّف الانتفاضة[24] بأنها حركة تمرد جماهيرية موجهة ـ في الغالب ـ ضد الظلم بمختلف أشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية. . . (انتفاضة كاتالونيا/ إسبانيا 1705)، (الانتفاضة الفلسطينية عام 1987).

(*) L'insoumission.

(23) Ibid

(*) Le soulèvement

(24) Ibid.

ولأن الانتفاضة كذلك، فإنها لا تصل في الغالب، ونظراً إلى اقتصارها على رفض الواقع القائم، إلى مستوى الثورة، بل تظل فقط بمثابة الممهّد لها. . . وهذا على الرغم من كل أنواع القمع الذي تواجهها به السلطة القائمة.

4 ـ التمرد(*)

التمرد عصيان موجه من طرف فرد أو جماعة ما ضد السلطة القائمة. ورفض عنيف أو سلمي للظروف الوجودية[25] أو الحياتية المجسدة لها، دونما مشروع واضح لتغيير تلك الظروف بظروف أفضل.

وعلى الرغم من أن التمرد، يؤدي، مثل العصيان والانتفاضة، دور الممهد للثورة. في العديد من الأحيان، ذلك الدور الذي يحوله بالتالي إلى محرك للتاريخ، كما يؤكد ذلك «هيغل»[26]، فإن الاختلاف بينه وبين الثورة يظل مع ذلك كبيراً.

وهذا الاختلاف لا يرجع إلى صغر حجم التمرد بالنسبة إلى الثورة، فالعديد من الثورات التي عرفتها الإنسانية كانت أقل حجماً من تمرد «سبارتاكوس»[27] مثلاً.

كما إن ذلك الاختلاف بين الثورة والتمرد لا يرجع إلى التفرق والتمزق الذي يطبع التمرد، فالعديد من الثورات التي عرفتها الإنسانية لم تسلم بدورها من مثل ذلك التفرق والتمزق (الثورة الفرنسية مثلاً).

وأخيراً فإن ما يميز التمرد فردياً (تمرد أنتيغون)(**)، أو جماعياً (سبارتاكوس(***) وغيره) ليس طابعه السريع أو القصير، عكس الطابع الهادئ والطويل للثورة، بل إن ما يميزه هو أن الثورة لا تكتفي برفض الواقع أو باستعمال العنف تجاهه فحسب، بل تطرح كذلك وفي الوقت نفسه ـ وكما

(*) La Révolte

(25) A Camus: l'homme révolté, Gallimard, paris, 1951, pp. 20-21.

(26) Hegel: Encyclopédia, Universalis, Vol, 14, et,8.

(27) Ibid.

(**) Antigone.

(***) Spartacus.

سبق أن أشرنا ـ مشروعاً سياسياً واجتماعياً وثقافياً بديلاً، في حين يكتفي التمرد سياسياً كان أو اجتماعياً أو فلسفياً[28] بنفيه ويقول «لا» له، من دون تقديم البديل لمثل ذلك المشروع.

بذلك تنجح الثورة من خلال توظيفها لسلبيات الواقع المرفوض في بلورة وعي الجماهير بذلك الواقع، وبالواقع الجديد الذي ترى أنه يجب ويمكن أن يكون في النهاية، في إقامة ذلك الحد الزمني العملي الواضح والفاصل بين ما كان قبلها، وبين ما أصبح بعدها، وهذا على مستوى الأفكار والمؤسسات والممارسات، في حين يبقى التمرد حتى في حالة نجاحه ـ المؤقت ـ عاجزاً عن تحقيق مثل ذلك الحد أو الفاصل.

وبذلك أيضاً يتلاشى التمرد وآثاره بالسرعة نفسها التي حدث بها، ليتحول في النهاية، وفي العديد من الأحيان، إلى داعم، عن غير قصد، لذلك الواقع الذي قام ضده، والذي لا يزداد، بعده إلا رسوخاً، وبذلك نتبين أخيراً أن التمرد ليس في النهاية سوى طاقة أو قوة مجهضة ومبددة.

ولأن التمرد كذلك فإنه لا يهيئ كثيراً، وعلى الرغم من أنه يموت ويحيا كل مرة من جديد، للثورة، بل إن دوره ينحصر فقط في الدلالة على أن احتمال الواقع السياسي أو الوجودي[29] المأساوي، أو الذي يبدو لدعاة التمرد أنه كذلك، قد تجاوز حد الاحتمال. إن ذلك الحد الذي يدل عليه التمرد، هو ذاته الحد الذي تبدأ منه الثورة مسيرتها.

5 ـ الحرب[*]

إذا كانت الحرب تعني بصورة عامة القتال المسلح بين دولتين أو أكثر، أو بين مجموعتين اجتماعيتين داخل الدولة أو الأمة الواحدة (الحرب الأهلية)، فإن الثورة في جوهرها قتال لمجموعة ما ضد دولة (دولة خارجية محتلة أو وطنية مستبدة).

(28) A. Camus: l'homme révolté, pp. 25-26.

(29) Ibid.

(*) La guerre

وإذا كانت الحرب، وبخاصة بين الدول، قد تتوقف أحياناً عند الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الإعلامي أو الثقافي، فإن الثورة، وبخاصة التحريرية، لا تأخذ الجانب العسكري، ممثلاً في حرب العصابات(*) كأساس أولي لها. . ولا تلجأ كذلك إلى كل تلك الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية، إلا بعد ذلك، لتحولها تارة إلى سند لتلك الحرب. . . ولتحول تارة أخرى تلك الحرب إلى سند لتلك الجوانب السياسية.

نلاحظ في هذا الصدد، أن مثل هذا التداخل بين الحرب وبين الثورة، هو الذي كان ولا يزال وراء حرص البعض من الباحثين على تسمية ثورات التحرير الحديثة، خاصة تلك التي قادها العالم الثالث، ومن ضمنه الجزائر، ضد الاستعمار الأوروبي وغير الأوروبي، باسم حروب التحرير، لا باسم ثورات التحرير، أو باسم الكفاح المسلح. حجتهم في ذلك أن الثورة التحريرية قد لا تكون موجهة بالضرورة ضد مستعمر خارجي، بل قد تستهدف نظاماً وطنياً داخلياً متعفناً أو مستبداً، كما هو الشأن بالنسبة إلى الثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة الصينية والثورة المصرية، وهذا عكس حروب التحرير الأمريكية والجزائرية مثلا(**)، التي كانت موجهة أساساً ضد محتل خارجي، (بريطانيا وفرنسا)، بهدف إخراجه ووضع حدّ لاحتلاله. يضاف إلى ذلك أن الكفاح المسلح لا يتضمن بالضرورة معنى القطيعة التي تشكل جوهر وهدف كل ثورة وكل حرب تحرير.

6 ـ الجهاد

يعني الجهاد في الإسلام المجاهدة للنفس أو قصد حملها على الأفضل لها ديناً ودنيا.

كما يعني كذلك التصدي، بكل الوسائل، بما فيها القتال المسلح، ضد

(*) La guerre, (Voir Encyclopédia, Univ, Vol.8.)

(**) اعترفت فرنسا في جلسة لجمعيتها الوطنية بتاريخ 10/ 06/ 1999، أن الثورة الجزائرية كانت حرباً ولم تكن تمرداً، مثلما تراجعت سنة 2006، على اعتبار استعمارها للجزائر ولغيرها من الشعوب الأخرى عملية تحضيرية لهده الأخيرة.

كل المتحرشين بالسلام عقيدة أو أمة أو أرضاً. وبكل الساعين إلى إشعال نار الفتنة بين أبناء أمته[30].

إن هذا المفهوم الإسلامي للجهاد ليؤكد أن الإسلام، عكس ما يدعيه بعض المستشرقين (مرجليوت، زويمر. . . الخ)، لم ينتصر ولم ينتشر بالسيف، فهو أول من دعا إلى المودة والتسامح حتى مع غير المسلمين[31]. ذلك ما تؤكده كل حروب الرسول(ﷺ)التي كانت كلها حروباً دفاعية[32].

إن المفهوم نفسه هو الذي سيظل للجهاد مند ذلك الوقت وحتى اليوم، حيث كان دوماً وسيلة المسلمين لرد الهجمات الصليبية ثم الاستعمارية الغربية التي استهدفتم مغرباً ومشرقاً.

من هنا فإن رفع بعض الثورات التحريرية في العالم العربي والإسلامي، ومن ضمنها الثورة الجزائرية لشعار الجهاد، إنما يمثل بالتالي روح الوطنية والتضحية والاستشهاد من أجل تخليص الوطن من الاستعمار[33]، وليس من العدوان أو التعصب أو الحرب الحتمية بين الإسلام والمسيحية كما يدعون.

7 ـ الإصلاح[*]

يعرّف الإصلاح بأنه عملية تغيير تدريجي للأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الدينية أو الثقافية، تغييراً يظل في النهاية محتفظاً في الوقت نفسه بالإطار العام الذي ولّد تلك الأوضاع، وذلك من خلال محافظته على الأسس الكبرى لها[34] (أي لتلك الأوضاع).

لذلك فإن الاصطلاح، إذا كان يشكل الطريق الثاني، بعد الثورة، للتغيير،

---

(30) القرآن الكريم، سورة2، آية 190؛ سورة 22، آية 39.

(31) محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدينة، دار الهلال القاهرة 1960، ص133 ـ 128.

(32) محمد أبو زهرة: الجهاد في الإسلام، مجلة لواء الإسلام ذي القعدة، وذي الحجة، 1379هـ

(33) El-Moudjahid, n 1,1955,pp8-9

(*) La réforme.

(34) A. Gorz: Réforme et Révolution, Col,Points, Paris, Seuil, 1996, p. 65.
El -Moudjahid? n 35, 15/01/1959.

فإن ذلك التغيير، وما قد ينتج منه، يظل في النهاية في صالح الطبقة أو السلطة أو الفئة المعتمدة في المجتمع.

وإذا كنّا نعلم جميعاً مدى أهمّية الدّور الذي يؤديه الإصلاح في تهذيب النّفوس وإيقاظ العقول، فإنّ ذلك لا يمنعنا من الملاحظة أنّ حقائق التاريخ تؤكّد كلّها أنّ التغيّرات السّياسية والاجتماعية والدينية والعلمية والاقتصادية والثقافية الكبرى، كانت في النّهاية وليدة الثّورة لا الإصلاح.

وتطبيقاً لكلّ هذه المفاهيم على ثورة نوفمبر التحريرية، نقول إنّ هذه الثّورة، ما كان يمكنها إنجاز ما أنجزت، لو لم تكن وليدة نظرة أصيلة ونقدية للواقع الوطني، تلك النّظرة التي جعلت بالتالي طلائعها الفئة الوطنية الوحيدة التي نظرت إلى ذلك الواقع المزري، الذي ظنّ المستعمر أنّه أغرق، وإلى الأبد، المجتمع الجزائري فيه، نظرة مختلفة عن نظرة كلّ الأحزاب السياسية الوطنية، فضلاً عن نظرة المستعمر إليه، كما تؤكّد ذلك هذه الفقرة من بيان أوّل نوفمبر 1954: «فنحن نعتبر، قبل كلّ شيء أنّ الحركة الوطنية، بعد مراحل من الكفاح، قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية... وأنّ الشّعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متّحد حول قضيّة الاستقلال والعمل»[35].

وحيث لم تر تلك الأحزاب السياسية الوطنية، التي لا نشكّ في إخلاصها أو نهوّن من مدى الجهود الذي بذلتها من أجل بلورة الشّعور الوطني لدى الشّعب الجزائري، من هذا الشّعب إلا ضعفه، اكتشفت تلك الطليعة، قواه الكامنة حيث لم تتبيّن إلاّ هول اندثاره تلمّست تلك الطليعة بواكير انبعاثه. وحيث أرجف كل المرجفون بفشله الحتمي في أي مواجهة مسلّحة قد يتجرّأ على القيام بها من جديد في وجه المستعمر، استشفت تلك الطليعة الثّورية نصره الحتمي.

بذلك استطاعت تلك الطليعة، وكما سنرى ذلك، أن ترتفع بتلك النّظرة الأصيلة فوق الواقع المأساوي للشّعب الجزائري لتعانق معه ذلك المستقبل الذي ما أنفك يرنو إليه والتي آمنت أنّه قادر على صنعه.

---

(35) بيان أوّل نوفمبر 1954.

وغني عن البيان، أنّ تلك الطليعة الثّورية ما كانت لتتوصل إلى مثل تلك النّظرة الأصيلة والنّقدية للواقع الوطني لو لم تكن نابعة من أعماق الشّعب الجزائري، ولو لم تولد في لهيب معاركه التحريرية التي ما انفكّ يخوضها ضدّ المستعمر منذ اليوم الأوّل لاحتلال أرضه، تلك المعارك التي جاءت ثورة نوفمبر التحريرية بمثابة التتويج النهائي والحاسم لها.

لكل ذلك كانت فلسفة نوفمبر التحريرية، بمثابة الثمرة الفريدة لعبقرية هذا الشعب، والتعبير الصادق عن آماله وآلامه، والتجسيد الحي لفاعلية قيمه الوطنية العربية الإسلامية وأصالة تقاليده النضالية.

ولأن فلسفة نوفمبر كذلك، فإن الثورة التي تولدت عنها كانت بحق ثورة تحريرية وطنية شعبية لم تزد مواجهتها بالواقع الاستعماري نسقها إلا تأكيداً وانسجاماً، ومنهجها إلا فاعلية، تماماً كما لم يزد استلهام العالم الثالث لها في كفاحه من أجل استعادة استقلاله، آفاق تحرره إلاّ اتساعاً.

بذلك لم تكن ثورة نوفمبر التحريرية، مجرد تمرد[36] أو عصيان، كما توهم المستعمر في البداية، أو حاول أن يوهم، بذلك، وهذا قبل أن ترغمه في النهاية على الاعتراف بأنها حرب تحرير وطنية.

وإدراكاً من فلسفة نوفمبر أن الثورة التحريرية الجديرة بهذا الاسم ليست مجرد حرب أو سفك للدماء غزير، بل إنها بالدرجة الأولى تغيير جذري وشامل لا يلعب فيه العنف العسكري بخاصة، سوى دور الوسيلة، أكدت هذه الثورة أكثر من مرة، أنها ليست، وكما يدعي الاستعمار الفرنسي، مجرد تمرد فوضوي، بل إنها ثورة تحريرية وطنية وأنها حتى لو سلمت بأنها تمرد، فإن ذلك التمرد، تمرد أخلاقي وعسكري ولدته حواجز الظلم التي اصطدمت بها آمال كل الأجيال الجزائرية الناشئة[37] منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وكما لم تكن ثورة نوفمبر مجرد عصيان أو تمرد، فإنها لم تكن كذلك

---

(36) El-Moudjahid. N 4 pp.66-67.(+)- Voir également:Sir Alistair Horne:A Savage War OF Peace,,New York Review Books, 1977.

(37) EL-Moudjahid N 4. p. 66

وكما ذهب بعض رموز «حزب الشعب» وفي مقدمتهم المرحوم «مصالحي الحاج» انقلاباً أو مؤامرة داخلية[38] ضد الحزب، حزب الشعب، تماماً كما لم تكن، وكما وصفها، بعض رموز جمعية العلماء[39] مغامرة.

لكل ذلك فإن ثورة نوفمبر إذا كانت قد أعلنت ونادت بضرورة المقاومة ضد المستعمر، فإنها لم تفعل ذلك للتخفيف من الواقع المأساوي المجسد له، كما فعل ذلك، ومن دون جدوى كبيرة، الشبان الجزائريون (عام 1892)، والمعلمون الأهالي (عام 1924)، والمنتخبون (عام 1934) والشيوعيون الجزائريون، بل لتجاوزه كلية.

كذلك فإن ثورة نوفمبر التحريرية، إذا كانت قد أخذت في البداية شكل المقاومة، شأن كل ثورة، فإنها رفضت أن تبقى بعد ذلك عند حدودها كما فعلت العديد من الانتفاضات الوطنية التي سبقتها، والتي لم تتوصل بالتالي، ولأسباب عدة ـ لا مجال للتوقف عندها هنا ـ لأي نتيجة مع المستعمر.

ضمن هذا المنظور كانت عملية تغيير هذه الثورة لصحيفة **المقاومة** بصحيفة **المجاهد** (عام 1956). مؤكدة بذلك أنها قد انتقلت من دائرة الانتفاضة إلى دائرة الحرب التحريرية.. وهي الحرب التي لم تستهدف منها مجرد الحرب فحسب، بل إجبار العدوّ على القبول بأهدافها السلمية وذلك انطلاقاً من قناعتها أن أهداف الحرب تظل متمثلة في النهاية في الوصول إلى مثل ذلك السلم[40].

وأخيراً فإن ثورة نوفمبر التحريرية إذا كانت قد وقفت موقفاً متحفظاً من الحركة الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي عامة، وفي الجزائر بخاصة، فإن ذلك راجع إلى قناعتها أن ذلك الإصلاح، الذي لا تشك أو تشكك في الدور المهم الذي لعبه كتيار محافظ للنهضة، في بلورة الوعي العربي والإسلامي بروح الإسلام الحقيقية، وبواقعه المزري الذي تولد عن ابتعاده عن تلك الروح، فإنها تظل مع ذلك تعيب على الإصلاح اقتصاره على الجانب

(38) M. Harbi: 1954 *la guerre commence en Algérie*, pp. 41-44.

(39) Ibid, pp. 44-45.

(40) El-Moudjahid. N 4. P, 66

التربوي في تلك التوعية، وانحصاره في دوائر النخبة والطبقات الحاكمة في البلدان العربية والإسلامية، دونما نفاد يذكر إلى الجماهير، التي تظل، من دون تحولات اجتماعية عميقة تمكنها من افتكاك حريتها، غير فاعلة في النهاية[41] وغير مهيأة عملياً للثورة.

وبذلك كانت فلسفة نوفمبر بحق ثورة تحريرية متميزة، ليس عن غيرها من كل تلك الثورات الرافضة للواقع فحسب، بل وعن غيرها من العديد من الثورات التحريرية الأخرى المعاصرة لها كذلك.

«وبذلك أيضاً كانت بمثابة الإعلان الحاسم لكل الشعوب المستعمرة في العالم عامة وفي العالم العربي والأفريقي بخاصة، وللمستعمر كذلك. لا عن استحالة ذلك التعايش مع الأيام السالفة لكل منهم»[42]، بل وعن نهاية مثل ذلك التعايش إلى الأبد.

خلاصة

نخلص من كل ما تقدم، إلى أن ما نقصده في هذه الدراسة بفلسفة الثورة الجزائرية، هو البحث في تطور المعنى الثوري الوطني الجزائري، وذلك من خلال الأفكار والمبادئ الثورية الوطنية أولاً، والعالمية بعد ذلك التي كانت متواجدة قبل هذه الثورة، وصولاً إلى توضيح كيف تحولت من خلالها من أفكار ومبادئ مجردة، إلى أفكار ومبادئ حية وفاعلة في الواقع الوطني ومجسّدة بالتالي لأمال وإرادات أولئك الرجال الذين كانوا وراء تلك الثورة، والذين لم يفعلوا في النهاية سوى تحقيق ما ظلت تطمح وتعمل إليه كل الأجيال الجزائرية التي عاشت ظلم وظلام الاستعمار.

---

(41) El Moudjahid N 35 15/01/1959

(42) Douglas Hyde: *The Roots of Gurilla*, in DAHO FECHROUR, Theory and practice (case study) University of Denvers, U.S.A May, 1984.

الفصل الثاني

الجذور الفكرية لثورة نوفمبر

أولاً: عن الفكر والواقع

يشكل التغيير، نحو الأفضل، وكما سبق أن أشرنا في الفصل السابق، الهدف الأول والأخير لكل ثورة. والتغيير وبخاصة الثوري منه، إذا كان لا تصور له إلا في الواقع، فإن لا تصور له كذلك إلا بفكر متمثل لذلك الواقع.

والواقع الذي نقصده، ليس خاصية الشيء المعطى[1] أو الموجود فحسب، بل إنه خاصية الفكر المدرك له، كذلك وفي الوقت نفسه، حيث إنه إذا كان لا تصور لوجود أي شيء في غياب فكر مدرك له، فإنه لا تصور لفكر، ثوري بخاصة، إلا متمثلاً ومدركاً للواقع المزري المتواجد فيه.

ومن هنا نتبين أن الفكر الذي نقصده ليس مجرد ملكة الفهم باعتبارها أساس الذاكرة، وأداة المعرفة والخاصية الأساسية التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان، بل الفكر المتفاعل إيجابياً مع الواقع المتواجد فيه، حيث إن الفكر الفلسفي عامة، والثوري منه بخاصة، لا يمكن أن يكون، وكما توهم البعض من الفلاسفة، وذلك من أمثال «فجنشتاين»، و«هوسرل» وغيرهم، محايداً تجاه الواقع.

ولأنه لا تصور لفكر ثوري بخاصة، إلا من خلال التفكير، ولا تصور للتفكير إلا من خلال سلسلة الأفكار المتفردة ـ التي يحاول من خلالها الفيلسوف، الجدير بهذا الاسم، التأثير في العالم، تلك الأفكار التي ليست في

---

(1) A. Lalande: Vocabulaire, p. 725.

النهاية سوى صورة الثقافة المتواجدة فيها، والمتشبعة بها، فإنه لا تصور كذلك للفكر الاستعماري إلا من خلال تلك الأيديولوجيا أو ذلك النسق المنسجم من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تتبناها وتدعو إليها مجموعة اجتماعية، داخل مجتمع مّا، باعتبارها ضرورة عقلية لتبرير مشاريعها الهادفة إلى إرضاء طموحاتها ومصالحها على حساب طموحات ومصالح ـ بل ومصير ـ مجتمع أو مجتمعات أخرى.

ومن هنا فإن العلاقة التي تربط الفكر بالواقع، وبخاصة الاستعماري، ليست كما توهم «هيغل»[2]، مجرد علاقة رفض أو سلب نظري له، كما إنها ليست كذلك علاقة تقبل آلي لمعطياته كما يعتقد بعض الوضعيين، بل إنها علاقة فعل وتفاعل مجسدين ومتجددين تجدداً أقرب إلى الصراع، الذي يتطور ضمنه كل من الفكر والواقع، منه إلى شيء آخر.

ذلك أننا بالرغم من تسليمنا بأهمية فكرة السلب وما تتضمنه نظرياً من نقد وجدل[*] في تغيير الواقع عامة، والواقع الاستعماري أو الاستبدادي بخاصة، فإننا نظل مع ذلك نعتقد أن السلب، كمفهوم فكري مجرد، لا يستطيع، وكما يؤكد ذلك فشل الفلسفة الهيغيلية في تغيير الواقع الألماني الاستبدادي الذي عاصرته، مواجهة المشكلة الاستعمارية أو الدفع بالشعوب المضطهدة نحو ذلك المسار الجديد الذي تنشده لحياتها.

إن ذلك الطابع الصراعي للعلاقة بين الفكر الثوري والواقع الاستعماري، أو الاستبدادي ـ وهو الصراع الهادف إلى اجتثاث ذلك الواقع كلية، وليس إلى تركيب مزيج منه ومن الواقع الثوري المنشود، كما ذهب هيغل ـ هو الذي يكشف في النهاية للفرد عن اغترابه في ذلك الواقع، ويجعله يخرج بمفاهيم جديدة عنه، تلك المفاهيم التي لا تلبث أن تبدأ، وكما سبق أن أشرنا، في التخمر في «الأنا» الفردي، لتمتد بعد ذلك إلى الـ «نحن» الجماعي، محدثة فيه بذلك تلك الهزة العنيفة المؤذنة، من خلال دفعها له إلى العمل على تجاوزها، بمولد الثورة.

---

(2) G. W. F. Hegel: *La Raison dans l'Histoire*, pp. 47-57.

(*) Cf -H. Marcuse.: L'homme unidimensionnel, Paris, Seuil 1970.

لكل ذلك نقول إنه إذا كان لا وجود لثورة من دون نظرية ثورية كما ذهب «لينين»، فإنه لا وجود لنظرية ثورية بدورها إلا من خلال التنظير الذي لا تصور له، وكما لاحظ «غرامشي» من دون منظرين وموجهين، أي من دون مثقفين[3].

ولكي يتحقق مثل ذلك التحول النوعي في الوعي، الفردي والجماعي تجاه الواقع المتواجد فيه، فإن الفكر الثوري، مطالب بالتالي، ليس بالتمثل الأصيل والعميق لذلك الواقع فحسب، بل وبتمكين الجماهير من تمثله كذلك، وذلك انطلاقاً من تلك الصورة المثلى التي تريد أن تكون لها والتي فيها من قيم ومثل الماضي بقدر ما فيها من معطيات الحاضر، ومن تحديات المستقبل.

إن تبلور مثل ذلك الإيمان بمثل ذلك النموذج الذاتي، أو الخاص، هو الذي يدفع الأمم إلى التسامي، أو التعالي، إلى مستواه، وإلى التجاوز العملي بالتالي للواقع الاستعماري المزري ولكل الأسس الموضوعية المستند إليها، والذي ظل حتى ذلك الوقت يحجبه عنها ويحول دونها ودون التلاحم معه.

ولأن كل أمة تحتوي، وكما يلاحظ «هردر»[4] على نموذج كمالها الخاص الذي لا يمكن لها الاستعاضة عنه بنموذج كمال أمة أخرى، فإن الثورات لا تأخذ بالتالي تلك المضامين المختلفة، التي لا تجعلها، على الرغم من تشابه أشكالها، متميزة الواحدة عن الأخرى، إلا لكي تجعل في النهاية تاريخ كل أمة متميزاً بدوره عن تاريخ غيرها من الأمم الأخرى.

بذلك تأخذ الفكرة الثورية ذلك الطابع الازدواجي الذي يجعل منها تعبيراً أو حصيلة لكل القيم والمثل الإيجابية الماضية لكفاح الجماهير، وللقيم والمثل والتحديات التي تحكم العصر والواقع المتواجدة فيه كذلك وفي الوقت نفسه.

وبذلك أيضاً تصالح الفكرة الثورية عملياً الماضي والحاضر، محيية بذلك

---

(3) A. Gramsci: In R. simon. *Gramsci 's political Thought*, 1982, pp. 93-96.

(4) J.G. Herder: Idées sur la philosophie de l'histoire de l'Humanité (1791).

قيماً ومثلاً كانت مندثرة، ومبلورة أحلاماً كانت محرمة، ومفتقة عبقريات كانت مبددة، لتشكل في النهاية من كل ذلك، تلك المسيرة الثورية للجماهير الزاحفة نحو خلاصها من ظلم وظلام ذلك الواقع الاستعماري.

وبذلك أخيراً، يأخذ الحدث المتولد عن تلك الفكرة ذلك المضمون التاريخي العقلاني الذي ينصهر فيه الماضي والحاضر والمستقبل انصهاراً يجعل في النهاية من الصعب فهم الثورة، استناداً إلى معطياتها المادية وإلى أحداثها المباشرة فقط، ومن دون ربطها بالأحداث التي سبقتها ومهدت لها، وبالأفكار التي كانت وراء تلك الأحداث.

إن ذلك يعني أن دراسة أي ثورة أو حادثة تاريخية أخرى، بعيداً عن الجذور الفكرية التي مهدت لها وكانت وراءها هي دراسة جوفاء وغير مجدية لسبب بسيط وهو أن كل تاريخ، أيّاً كانت طبيعة أحداثه، بما فيها تلك التي تبدو لنا عشوائية، إنما هو وليد الفكر أولاً قبل كل شيء، كما يلاحظ كولنغوود[5].

ثانياً: الإسلام والفكرة الوطنية الجزائرية

على ضوء هذه الملاحظات حول الفكر وعلاقته بالثورة، نعرض الآن لثورة نوفمبر 1954 ولجذورها الفكرية لا لتتبع كل الأحداث أو العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية التي كانت وراءها، فذلك ما قامت وما تقوم به العديد من الدراسات الوطنية والأجنبية، بل للتوقف عند أهم العوامل الفكرية التي كانت من ورائها فحسب (أي ثورة نوفمبر).

وتجسيداً لذلك نقول إن فكرة نوفمبر لم تكن بداية الفكرة الوطنية تماماً كالثورة التي تجسدت من خلالها، بل كانت بمثابة النتيجة الطبيعية لجهود فكرية وروحية وطنية متواصلة تمتد جذورها القريبة إلى اليوم الأول الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، وتضرب جذورها البعيدة في أعماق تاريخ الجزائر البعيد وتاريخ المقاومة التي قادتها ضد كل الحملات الاستعمارية التي ظلت تستهدفها، بسبب موقعها الاستراتيجي طيلة ذلك

---

(5) R.C. Collingwood: *The Idea of History*, edit, T. M. Knox, O.U.P, Oxford, 1951.

التاريخ، والتي تعد الحملة الاستعمارية الرومانية والبرتغالية والإسبانية والفرنسية بعض نماذجها.

إن توقف هذه الدراسة عند الاستعمار الروماني وغيره من أشكال الاستعمار الأخرى التي سبقته، لا يعني أننا نتفق مع بعض الباحثين الذين يرجعون الفكرة الوطنية الجزائرية إلى تلك العهود التي سبقت دخول الإسلام إلى الجزائر، لسبب بسيط هو أن حقائق التاريخ الوطني الجزائري، تؤكد كلها أن الجزائر لم تعرف، قبل اعتناقها الإسلام، وعلى الرغم من ذلك الاستعمار الروماني وغيره، ومن جهود كل من يوغورطا (160 ق م) وماسينيسا (149 ق م) وغيرهم. . . لصد ذلك الاستعمار، فكراً وطنياً أصيلاً أو مكتملاً. . بل إن الفكر الوحيد الذي عرفته هو فكر القديس أوغسطين (تـ 430م) الذي لم يكن وكما تؤكد طروحاته الاندماجية، سوى انعكاس سلبي للفكر الاستعماري الروماني[6].

تلك هي الحقيقة التي أكدها العديد من الباحثين الأوروبيين أنفسهم[7]، والتي لا تعتقد أن اعتراض البعض عليها بحجة أن مفاهيم «الاندماج» و«الوطنية» و«الاستعمار» لم تكن لها في عهد القديس أوغسطين الدلالات نفسها التي نعرفها اليوم، لسبب بسيط وهو أن حقيقة الاستعمار كانت منذ فجر التاريخ، ولا تزال حتى اليوم، واحدة، وإن تغيرت أشكالها وأساليبها وممارستها.

ولأن الفكرة الوطنية تعني في أبسط تعريف لها تلك الحركة التي تشمل كل المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية المرتبطة بتحرير الشعب، فإننا حين نربط ظهور هذه الفكرة في الجزائر باعتناق هذه الأخيرة الإسلام (القرن الأول للهجرة)، فإننا لا نعتقد أننا نغالي كثيراً لسبب بسيط هو أن الإسلام قد شكل منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، بالنسبة إلى الشعب الجزائري وروحه وفكره واحداً من أبرز أحداث ذلك التاريخ، وذلك نتيجة

---

(6) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 181,178.

(7) Cf -J. P. Brisson: *Autonomie et christionisme dans l'Afrque romaine*, édit de Boccard, Paris, 1958.

إلى تلك المبادئ التي ظل هذا الشعب يعمل جاهداً، ومنذ يوغورطا، ومن دون جدوى، من أجل الوصول إليها.

لكل ذلك فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي، كيف تمكّن الإسلام، وبسرعة، من محو كل العقائد التي سبقته... ليشكل على أنقاضها العقيدة والثقافة الوحيدتين - تقريباً - للشعب الجزائري ولبقية شعوب المغرب، رابطاً بذلك وبصورة نهائية روحها وفكرها، بل وحياتها بأكملها به.

بذلك لم تعرف الجزائر والمغرب الإسلامي عامة، منذ تواجد الإسلام بها، أي وجود يذكر لأية أقليات دينية وطنية غير إسلامية، باستثناء الأقلية اليهودية[8].

وبذلك أيضاً تحول الإسلام، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً خلت من الزمن، ومن خلال ثقافته ولغته العربيتين، لا إلى الفضاء الرمزي الوحيد تقريباً لوجود الشعب الجزائري ولواقعه ولتعامله معه فحسب، بل إلى العامل التوحيدي الأول لجماهيره.

إن هذا الإنجاز الروحي والثقافي والحضاري الذي لم يتحقق للإسلام في العديد من بقاع العالم الأخرى التي امتد إليها، وبخاصة المشرق العربي (مصر، السودان، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، والعراق... الخ) هو الذي صهر، من خلال تلك الدولة الجزائرية، التي قامت بعد ذلك، ولأول مرة في ظله، (والتي ستشكل ولعدة قرون قوة عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية في وجه أطماع أوروبا المسيحية التوسيعية)، وحدة الشعب الجزائري وفكره.

كما إن ذلك الإنجاز هو الذي حمى الجزائر، والمغرب الإسلامي عامة، من تلك الفتن الطائفية، التي لا تزال تعصف حتى الآن بالعديد من تلك البلدان المشرقية، وغير المشرقية، وذلك من خلال توحيده فيها للعقيدة وللسياسة، للإسلام والعروبة، للنظر وللعمل، للجهاد وللاجتهاد، توحيداً مكّنها من التصدي بنجاح كبير لكل تلك الحملات الاستعمارية الأوروبية التي

---

(8) cf -Richard Ayoun et B.Cohen: *Les Juifs d'Algérie -2000 ans. d'Histoire*, edit Rahma, Alger, 1994.Voir aussi:CL.Martin:Les Israélites en Algérie,de1830 à1936.

ما لبثت أن بدأت تستهدفها من جديد وتستهدف الإسلام من خلالها.

بذلك تحولت الجزائر الإسلامية نتيجة لوضعيتها الاستراتيجية التي جعلت منها دوماً قلعة النضال في المغرب العربي وبوابة أفريقيا، والشريك الذي لا يمكن تجاهله بالنسبة إلى كل ما يتعلق بمصير منطقة البحر الأبيض المتوسط، وهي الوضعية التي سنرى أن فلسفة نوفمبر بصورة خاصة قد أخذتها، قولاً وعملاً، ومن خلال دعمها اللامشروط لكل الحركات التحريرية في العالم العربي وفي أفريقيا بخاصة، وفي العالم الثالث عامة، بعين الاعتبار(*).

وبذلك تحولت الجزائر منذ القرن السادس للميلاد، الأول للهجرة، بصورة خاصة، إلى قلعة للجناح الغربي، للعالم الإسلامي، وإلى عامل لتوطيد هذا الدين واستقراره فيه نهائياً، ذلك الاستقرار الذي يصعب تصوره لو كانت الجزائر قد وقفت من الإسلام ومن حامليه الموقف نفسه الذي وقفته من الاستعمار الروماني والبرتغالي والإسباني والفرنسي.

ولقد أثبت الإسلام، خلال كل تلك الفترة، أنه المنبع الذي أمد الشعب الجزائري في أحلك الظروف بالطاقات الروحية التي حفظته دوماً من الضياع ومن الاستسلام، بل إنها تؤكد كذلك «استحالة تصور أو فهم أي فكرة تاريخية أو سياسية أو اجتماعية أو ثقافية في غيابه»[9].

لكل ذلك ولغيره نقول إن الفكرة الوطنية الجزائرية بمفهومها الإسلامي الذي يعني: المتجاوزة للحدود الجغرافية والعنصرية لم تعرف إلا بعد الإسلام.

كما إن هذه الحقائق وغيرها، حول الإسلام وحول دوره في الجزائر، هي التي تجعلنا نتحفظ كذلك إزاء أراء بعض الباحثين الآخرين الذين يرجعون

(*) أنظر في هذا الصدد: د. جمال حمدان: **شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان**، النهضة المصرية، القاهرة، 1960.

EL-Moudjahid, N 30, 10-10-1956.

EL-Moudjahid, N 31, 01-11-1958.

EL-Moudjahid, N 31, 20-11-1958.

جور دون إيست: **الجغرافيا تصنع التاريخ**، ترجمة جمال الدناصوري، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1982.

(9) Ch R Ageron: Les Algériens Musulmans et la France,187-1919.PUF, 1968, T, II,P 244.

الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة عامة إلى الثلاثينيات من هذا القرن. . وفكرة نوفمبر 1954 خاصة، إلى المنظمة السرية (عام 1947) على وجه التحديد[10].

وآية ذلك أننا إذا كنا نسلم أن الفكرة الوطنية عامة، وبالمفهوم المتعارف عليه اليوم، لم تظهر إلا في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وفي أوروبا على وجه التحديد، فإن ذلك لا يعني أن هذه الفكرة بمفهومها الديني الإسلامي منه والمسيحي على حد سواء، لم تُعرف قبل ذلك.

من هنا فإنه إذا كان البعض يعيبون بالتالي على الفكرة الوطنية الجزائرية طغيان المضمون الديني عليها، فإننا نقول إن تلك الظاهرة لم تكن حكراً على هذه الفكرة وحدها، بل كانت السمة المشتركة للفكر الإنساني كله في تلك العهود، وفي مقدمته الفكر الأوروبي المسيحي الذي نعلم جميعاً مدى الدور الذي لعبته المسيحية فيه، إضافة إلى أن ذلك الطغيان، إن كان قد وجد فإنه لا يعني على الرغم من ذلك ـ وكما سيتضح في الفصول القادمة من هذا الكتاب ـ انعدام أي خصوصية وطنية في تلك الفكرة.

وإذا كان آخرون يتهمون هذه الفكرة بالتعصب الديني، فإننا نقول لهم إن مثل ذلك التعصب، إن كان قد وجد، لم يكن سوى الرد الطبيعي على تعصب استعماري وديني مسيحي أكبر وأخطر، حيث إن أولئك الأوروبيون لم يحاربوا لأنهم مسيحيون بل لأنهم غزاة مستعمرون[11].

من هنا فإننا إذا كنا أول من يسلم بطغيان الجهاد بالمفهوم الذي سبقت الإشارة إليه على الفكرة الوطنية القديمة والحديثة على حد سواء على الاجتهاد، فإن ذلك راجع أساساً إلى تلك الحملات الاستعمارية الأوروبية المسيحية التي ظلت تستهدف الجزائر طيلة خمسة قرون، والتي تعد الحملات الصليبية الإسبانية والبرتغالية ـ التي أرادت الامتداد «بالروكونكيستا» إلى المغرب الإسلامي بالأندلس (1924 م) ـ ثم الحملة الفرنسية التي تلتها (عام 1830)، أبرز نماذجها.

---

(10) M. Harbi: *Le FLN: Mirage et Réalité*, pp. 122-128

(11) M. Lachraf: *L'Algérie: nation et société*, ENAL. Alger, 1978, pp. 10-15-48.

ثالثاً: بين الفكرة الوطنية والفكرة الاستعمارية الفرنسية: جدلية الحرب والسياسة

لقد جاءت هذه الجملة الأخيرة (الفرنسية) بذلك الشكل المكثف، العنصري والاستيطاني، في وقت كان فيه الفكر الإسلامي الجزائري قد غرق بعد عدة قرون من وجوده ـ قضى معظمها في ترسيخ العقيدة الإسلامية، عبادة ومعاملة ـ في موجة الجمود التي ألمت بالعالم الإسلامي. والتي لم تتوقف آثارها المدمرة عند سقوط الخلافة العباسية (1258 م) فحسب، بل امتدت إلى كل مظهر من مظاهر الحياة الإسلامية.

في مثل هذا الجو السياسي والثقافي والاجتماعي المتردي، الذي يعد كل من المغيلي (تـ 909هـ). . والمقري (تـ 758هـ)، وغيرهم كثيرون، نماذجه[12]، والذي لم يزده التمزق السياسي الذي عرفه المغرب الإسلامي، وبخاصة من خلال ذلك الصراع بين كل من الدولتين، المرابطية (539هـ) والموحدية (688هـ)، وعجز الدويلات المرينية (796هـ)، والزيانية (962هـ)، والحفصية (943هـ)، الذين خلفوهما، على وضع حد لتلك الهجمات الاستعمارية الأوروبية الصليبية، البرتغالية، والإسبانية، التي راحت تستهدف شواطئ المغرب الإسلامي عامة، والمدن الساحلية الجزائرية خاصة، بدأت الفكرة الوطنية الجزائرية، بالمفهوم الذي سبقت الإشارة إليه، في التبلور وذلك من خلال ذلك التصدي الذي قاده الفكر الصوفي ممثلاً في كل من سيدي محمد الهواري (تـ 843هـ) وعبد الرحمن الثعالبي (تـ 875هـ) ومحمد التواتي (تـ 912هـ)، ضد تلك الحملات التي نجحوا في النهاية في حصرها داخل ثغورها الساحلية قبل أن يتم طردها نهائياً منها (عام 1791)، وذلك بفضل مساعدة بعض الخبرات البحرية التركية المسلمة، ممثلة في كل من خير الدين، وعروج (عام 1516) وغيرهم، ذلك التعاون الذي شكل تحولاً حاسماً في مصير المغرب الإسلامي[13] عامة، وفي تاريخ الجزائر خاصة، وهو التحول الذي تمثل من بين ما تمثل في ظهور الدولة الجزائرية.

---

(12) د. أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1981، الجزء الثاني، ص 59 وما بعدها.

(13) A. Julien: *Histoire de l'Afrique du Nord*, SNED, 1978, T. II, P,253.

وكان يجب انتظار ترنح آخر حكم الديات تحت وطأة الفساد والجهل والجمود والظلم واللصوصية والفوضى الاجتماعية، التي ميزت حكم الداي حسين (عام 1818)، آخر دايات الجزائر، لكي يجد الاستعمار الفرنسي بدوره فرصته للانقضاض على الجزائر «المحروسة» (تموز/يوليو 1830).

وأمام ذلك الانهيار الكلي والسريع لجيش الداي حسين أمام الجيوش الاستعمارية الفرنسية الغازية، وهروبه وحاشيته إلى خارج الجزائر، تاركاً الشعب الجزائري يواجه وحده تلك الحملة التي أطبقت عليه من كل جهة، أدرك الفكر الجزائري من بين ما أدرك، أن ذلك الاستعمار الجديد الذي أنقض عليه قد جاءه من الداخل قبل أن يأتيه من الخارج، وأنه ما كان ليتمكن منه إلا لأن أوضاعه المزرية قد انتهت بإغراء كل الطامعين به.

كما أدرك الفكر الجزائري بالتالي أن لا أحد منقذه من تلك الكارثة التي ضربته إلا نفسه وتضحياته.

إن مثل تلك الحقائق التي استخلصها الفكر الجزائري من واقعه الاستعماري الجديد، والتي لم يزدها التعسف الاستعماري الاستيطاني الذي راح يسلبه أرضه الزراعية بقوة الحديد والنار بعد أن تمكن من مدنه، إلا تأكيداً ـ هي التي ستزيد من قناعة هذا الفكر ـ على ضرورة العمل ودونما انتظار مساعدة من أحد، على تجاوز ذلك الواقع، دافعة بذلك الوعي الجزائري إلى الارتفاع إلى مستواه.

كما إن مثل ذلك الإدراك هو الذي سيكون كذلك وبالتالي وراء بداية ذلك التمركز المتدرج للفكرة الوطنية حول الوطن الجزائري أولاً، وحول الوطن الإسلامي بعد ذلك.

هكذا لفظ الفكر الجزائري، جملة وتفصيلاً، منطق الهزيمة والأمر الواقع، الذي كان المستعمر يواصل توطيده وفرضه على الشعب الجزائري بالدماء والأشلاء، وراح يعمل على تجاوزهما وتجاوز المنطق المستندين إليه، محولاً بذلك علاقة الشعب الجزائري بمستعمره من علاقة سكونية واستسلامية، إلى علاقة دينامية ونضالية، لم تلبث أن تفاعلت والتحمت وسط جدليتها العقيدة والثورة، الماضي والحاضر، المسار والمصير.

بذلك حوّل الفكر الجزائري الكفاح من أجل تحرير الجزائر إلى الهدف الوحيد الذي يجب أن يتجه نحوه كل رموزه بخاصة، وكل الشعب الجزائري عامة، مهما كانت مواقفهم ومواقعهم. وبذلك أيضاً انقلب حكم الدايات، الذي توهمه المستعمر نهاية الشعب الجزائري وحسه الوطني، إلى بداية جديدة للفكر الوطني الذي لم يلبث أن تجلى في كل أبعاده من خلال جدلية مقاومته القوة بالقوة أولاً وبالسياسة بعد ذلك، (تلك الجدلية التي جاءت كرد على جدلية ذلك الاحتلال)، وهي المقاومة التي راح الشعب الجزائري يقودها انطلاقاً من أريافه من دون انقطاع تقريباً وطيلة أكثر من خمسين سنة (1830 ـ 1883) ضد المستعمر وضد مخططاته التدميرية، بعيداً عن كل أشكال الواقعية الزائفة وعن كل الحلول الوهمية الحاملة لها.

هكذا تجاوزت الجماهير الجزائرية سقوط دولة الديات التي لم تقم بأي دور في هذا الصراع الجديد والمصيري الذي فرضه المستعمر الفرنسي على الأمة الجزائرية، وراحت تقود بنفسها المقاومة ضده انطلاقاً من رفضها الكلي والمطلق لاحتلاله ولهيمنته العسكرية والسياسية والثقافية ولأسلوبه في الحياة، حائلة بذلك وإلى حد كبير، دونه ودون تدمير شخصيتها الوطنية، ومحققة لنفسها ذلك التواصل التاريخي، الثقافي، والاجتماعي بصورة خاصة.

تتصدى قبائل الخشنة وحجوط وأولاد موسى وغيرهم، وتتصدر القتال من أجل البقاء والوجود والوطن والعقيدة، وهذا على الرغم من التفوق المادي للمستعمر، (ومن كل الانقسامات القبلية والعشائرية)، لتلك الموجات الاستعمارية، الاستيطانية المكثفة التي لم تجمع كل مشردي حروب فرنسا الأوروبية الخاسرة (1806 ـ 1870) فحسب، بل وكل شواذ وعاطلي ومجرمي الساحات الأوروبية، الذين راحوا، تحت حماية الجيش الفرنسي وجنرالاته المهزومين، يرسخون، بالحديد والنار، ذلك الاغتصاب للأراضي الزراعية الجزائرية، التي أمدوها بالطرقات وبالسدود من دون غيرها من الأراضي القاحلة الأخرى التي طردوا إليها (الجزائري).

وحين ينجح المستعمر في تطويق تلك المقاومة، ينهض الأمير عبد القادر (عام 1837) وأحمد باي (عام 1836) والصديق ولد الشيخ (عام 1844) والشيخ

بوزيان (عام 1844) وبوبغلة (عام 1850)، الذي سبق، بوطنيته الفائقة وبمشاركته في جميع المعارك التي قادها الشعب الجزائري ضد المستعمر، ثورية ووطنية «تشي غيفارا»، ولالا فاطمة نسومر (عام 1854)، ومحمد بن عبد الله (عام 1854)، والمقراني (عام 1870)، وبوعمامة (عام 1882) وغيرهم كثيرون، لمواصلة تلك المقاومة المسلحة.

بذلك بدد الشعب الجزائري، (الذي لم يزده ذلك الإرهاب الاستعماري الرهيب، والذي تعد مجازر العوفية (عام 1831) والظهرة (عام 1845) بعض نماذجه، سوى وعياً بذاته كمجموعة متميزة عقيدة وثقافة، حضارة وأرضاً، عن الرومي أو الغاوري المستعمر، وارتباطاً بأرضه، وهم المستعمر الذي جعله يعتقد أن احتلاله للجزائر العاصمة ولغيرها من المدن الجزائرية الأخرى سيكون نهاية المقاومة الوطنية، وبذلك أيضاً «أجبر الشعب الجزائري ذلك الاستعمار، وباعتراف هذا الأخير، على التجدد، قتالاً معه، كل ثلاث سنوات، إذا ما أراد الاستمرار»[14] مكلفاً إياه بذلك خسائر بشرية ومادية لم يتكبدها قبل ذلك وبعده، في أي مغامرة استعمارية أخرى له.

إن مثل هذا الصمود الذي أبدأه الشعب الجزائري تجاه المستعمر، وتجاه كل ممارساته الوحشية، هو الذي جعل السياسي البريطاني الشهير «هنري بالمسترون»[*] (عام 1865) يقول «لقد تركنا الجزائر لفرنسا. . . لتكون العلقة التي تمتص أغلى وأنقى دمائها. . . إن الفرنسيين لن يكون أمامهم إلا الخسران في الجزائر. . وسيتركون في النهاية أفريقيا. . . حينما يملون. . فلنتركهم يفعلون ولنغتبط بذلك!»[15].

كما إن مثل ذلك الصمود هو الذي جعل الجنرال «بوجو» يقول: «آه. . لو لم يكن هناك عرب في الجزائر، أو لو كانوا يشبهون تلك الشعوب الهندية

---

(14) M. Lachraf: *L'Algérie: Nation et Société*, p. 89.

Cf- Ch. A. Julien: *L'Afrique du Nord en marche*, paris, Julliard, 1952.

G.Esquier: *Histoire de L'Algérie*, PUF, 1960.

Ibid, paris, 1929.

(*) Palmestron.

(15) Revue. *Française d'Outre Mer*, T.L. paris, 1963, p. 272.

المخنثة، لكنت قد نصحت بلدي أن تحول هذا البلد إلى قاعدة للاستعمار...».
«غير أن وجود أمة قوية ومهيأة للحرب، ومتفوقة إلى هذا الحد على الأوروبيين يحتم علينا أن نقيم أمامها، وإلى جانبها، وداخلها، السكان الأكثر قوة ممكنة»[16].

ولقد استلهم الشعب الجزائري وفكره في مقاومته تلك، تراثه الروحي والثقافي العربي الإسلامي، ممثلاً بخاصة في دينه وفي سيرة أبطاله التاريخيين، من أمثال عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وعلي بن أبي طالب (ﷺ)، وغيرهم كثيرون، الذين وجد في بطولاتهم، التي تحولت إلى مواضيع لحلقات السمر وحلقات المغنين الشعبين في أسواق وساحات المدن والقرى الجزائرية، حافزاً معنوياً، لا يقدر لصموده ذاك.

وأمام نجاح المستعمر، في النهاية، في تطويق تلك المقاومة الوطنية المسلحة، يعود الفكر الجزائري من جديد ليحوّل ذلك السكون وذلك التراجع اللذين دفعت إليهما المقاومة المسلحة إلى مقاومة سلبية وصامتة (1883 ـ 1920)، لم تلبث أن تجسدت من خلال تلك الوحدة الجديدة التي أقامها الشعب الجزائري حول أرضه التي راح يعيد شراء ما اغتصب منها، ومن خلال «الشرطية» (عام 1870) التي استبدل بها عملياً الإدارة الفرنسية، بإدارته الوطنية.

بذلك استطاعت الفكرة الوطنية أن تمكن الشعب الجزائري، وعلى الرغم من كل ذلك القهر والقمع الاستعماريين، من التصدي بنجاح، نسبي، للمخطط الاستيطاني الاستعماري، الهادف إلى دفع الجزائريين إلى المصير نفسه الذي دفع إليه الهنود الحمر، وأن توقفه عند حدود لم يتجاوزها بعد ذلك كثيراً.

ولأننا لا نستطيع هنا سرد كل أشكال ووقائع ذلك التعسف الاستعماري[*]

---

(16) A. Guilbert: Colonisation de L'Afrique du Nord, in Lachraf, L'Algerie, nation, p. 73.

(*) وصل التوحش الاستعماري ضد الشعب الجزائري إلى حد نبش قبور موتاه سنة 1833، ونقلهم على ظهر السفينة (لاجوزيفين) إلى مدينة مرسيليا (فرنسا) لاستعمالهم كفحم حيواني في معامل السكر.

أنظر جريدة *Le Sémaphore* بتاريخ 2 آذار/ مارس 1833؛ وأنظر كتاب المرأة لحمدان خوجة، طبعة باريس، 1833؛ هذا إضافة إلى مجازر الظهرة والعوفية (عام 1845)، و8 أيار/ مايو 1945، وإلى استعماله ما بين سنة 1960 ـ 1967 لبعض الجزائريين كمادة لأول تجربة نووية له في الصحراء الجزائرية (17 تجربة) وهي العملية التي لا تزال فرنسا تنفيها حتى اليوم، وهذا بالرغم من كل المعلومات =

وذلك الصمود الذي قابله الشعب الجزائري به، فإننا سنكتفي بالتالي بالتذكير فقط بما كتبه أحد الباحثين الذي لاحظ في هذا الصدد: «بأن ذلك التعسف هو الذي أضفى على الكفاح الوطني، (للشعب الجزائري)، ذلك الطابع المأساوي الذي جعله يتطابق مع الكفاح من أجل الحياة والاستمرار».

«وأننا لنتحدى، كما يضيف الباحث، أي واحد قرأ تاريخ الجزائر من خلال معاركها التحريرية وما دوّنه جنرالات الاستعمار عن تلك المعارك، أن لا يهتز أو أن لا يشعر بمجرد الاندهاش واليأس أمام ذلك التاريخ الذي يشكل أكثر من مجرد مأساة. إنها تراجيديا لاإنسانية لأنها كانت في الغالب مأساة قائمة وفاعلة باستمرار... مأساة كفاح مأساوي من دون هوادة.. كان على الشعب الجزائري الوصول به حتى نهايته، لا من خلال البطولات الشكلية... بل من خلال تلك الطاقة القوية التي جعلته يستنفد كل قواه المادية والمعنوية قبل أن يسقط»[17].

إن مثل ذلك الكفاح من أجل البقاء والوجود، وذلك الفكر المتشبع بعمق، بالإسلام وبمبادئه في الحرية والكرامة والجهاد والاستشهاد من أجل الوطن والعقيدة، هما اللذان مكنا في النهاية الشعب الجزائري من وضع أسس أقداره بوسائله وبإمكانياته الخاصة، محولين بذلك الثورة، إلى واحدة من ثوابته التاريخية، تلك الثوابت التي ما لبثت بدورها أن حولته إلى معلم لنفسه، وإلى مبدع لمنهجه ولقيمه النضالية المتمثلة في الجهاد.. والتضحية.. والفداء والصمود والشجاعة.. الخ، وهي القيم والممارسات التي تغلغلت في النهاية في وعيه وأضفت على سلوكه منذ ذلك الوقت ذلك الطابع الثوري العملي تجاه كل واقع استعماري أو استبدادي.

إن هذه الحقائق التي لا نشك في أن المستعمر كان أول من استوعبها

= المتسربة من الوثائق السرية الفرنسية الخاصة بهذه التجربة، والتي تؤكد كلها خطورة الآثار التي لا تزال تتعرض لها المنطقة (ادرار ـ تامنراست) وأهلها حتى اليوم، ودالك نتيجة لإهمال السلطات العسكرية الفرنسية للحد الأدنى من الإجراءات الوقائية كما تؤكد ذلك، من بين ما تؤكد، الانفجارات العديدة التي حدثت في أحواض البلوتونيوم، الحوض الأول والثاني وذلك ابتداءً من 1 ـ 13 شباط/ فبراير 1960، وحتى عام 1967.

(17) *Le Quotidien d'Oran*, 13 février 2007.

جيداً، هي التي ستكون وراء ذلك التصعيد الاستعماري الجديد ممثلاً هذه المرة لا في القمع والتعسف فحسب، بل وفي تلك الإستراتيجية الاندماجية، القديمة ـ الجديدة، التي سيظل يلوح بها، منذ ذلك الوقت وحتى ثورة نوفمبر 1954 تقريباً للشعب الجزائري، لا بهدف تمكينه من مثل ذلك الاندماج، الذي لم يكن يعني في الحقيقة سوى المعمرين الأوروبيين غير الفرنسيين واليهود (مرسوم كريميو عام 1870)، وهو المرسوم الذي سيفجر تلك النزعة العدوانية لدى اليهود بدورهم ضد العرب ورد فعل هؤلاء ضدهم (أحداث قسنطينة عام 1934)، وغيره من القوانين العنصرية الإدارية، المالية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي بلغت بالنسبة إلى وظائف السيادة، مثلاً (44). وما المكاتب العربية (عام 1833)، والمحاكم الجنائية الخاصة، والضرائب المسلطة على العرب من دون غيرهم وقانون «الانديجينا» (عام 1881)، والوقف التعسفي والسخرة وإلحاق الجزائر بفرنسا (عام 1898)، وتحويل العديد من مقاطعاتها الجنوبية إلى مقاطعات عسكرية وشبه عسكرية، ومحاربة الإسلام. . . ومطاردة اللغة العربية. . . التي تحولت في بلدها إلى لغة أجنبية. . . الخ، سوى البعض من نماذجها.

بذلك تحولت تلك الوعود التي ظل المستعمر يقطعها على نفسه منذ اليوم الأول للاحتلال (عام 1830) وحتى ديغول (تـ 1970) مروراً بكل من نابليون الثالث (تـ 1873) وبلوم فيوليت (تـ 1950) وغيرهم، إلى وسائل لضرب وحدة الشعب الجزائري[18]، وإلى ترسيخ عقدة الهزيمة داخله.

وبذلك أيضاً حطم المستعمر الهياكل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التقليدية لهذا الشعب من دون أن يمكنه في الوقت نفسه من ذلك التحديث الكفيل بالوصول به إلى تغيير أوضاعه المزرية تلك.

وبذلك أخيراً، وليس آخراً، تحولت الفكرة الاستعمارية الفرنسية وتحت ضغط المعمرين والدوائر التجارية والمالية في كل من «مرسيليا»، و«ليون»

---

(18) Ch. R. Ageron: *L'Histoire de l'Algérie Contemporaine*, Q.S.J paris, 1994, pp. 44-45.

Ch. R, Ageron: *La politique Kabile, sous le second Empire*, Rev/fran/d'hist d'outre Mer, N: 190-191, Sept, Oct, 1967.

و«نانت» وغيرها، الذين كانوا وراء ظهور الحزب الكولونيالي (عام 1892)، إلى واحدة من ثوابت السياسة الفرنسية، محولة بالتالي استعمار الجزائر الذي قيل عنه إنه استعمار جاء صدفة[19] وإنه سيكون محدوداً، زماناً ومكاناً[20]، ليس إلى استعمار شامل ومتجذر فحسب، بل إلى منطلق لـ: «فلاترز»[*] (عام 1881) وغيره للامتداد بذلك الاستعمار إلى بلدان المغرب العربي الأخرى وإلى قلب أفريقيا..[21].

هكذا تحول الجندي الفرنسي إلى جندي استعماري، والرأي العام الفرنسي من رأي لامبالي في البداية بذلك الاستعمار، إلى رأي مؤيد له.

وإذا كان البعض من المفكرين والكتاب والساسة (والاقتصاديين ورجال الدين) وغيرهم من الفرنسيين[22] قد عارض الفكرة الاستعمارية، فإن تلك المعارضة لم تكن في الغالب لمبدئها أو لمبرراتها، بل لتكاليفها المادية والبشرية الباهظة، أو لممارستها التي تجاوزت كثيراً حدود حساسيتهم الإنسانية. ضمن هذا المنظور تدخل جهود كل من «جول فيري»[23] «ولافيجيري»[24]، الهادفة إلى ترسيخ تلك الفكرة في الجزائر عن طريق المدرسة الفرنسية. وعن طريق الصليب والماسونية[25]، وعن طريق «التثقيف والتحضير»[26].

وإذا كان البعض من المفكرين ومن الساسة ومن رجال الدين الفرنسيين[27]، قد حاولوا التصدي بصدق للفكرة الاستعمارية، فإن المعمرين المدعومين من طرف العديد من الحكومات الفرنسية سرعان ما أكدوا لهم ولغيرهم، ومن خلال

---

(19) Ch. R. Ageron: *Histoire de l'Algérie contem*, p. 6.

(20) Ibid, p. 7.

(*) Flatters.

(21) Des Gilleules: L'oeuvre Scientifique et pacificatrice des grandes missions sahariennes, Revue *Historique de l'Armée*, paris, Nov, 1959, N, 4.

(22) R. Girardet: *L'idée Coloniale en France*, (1871-1962), Col, Pluriel, paris, 1972, pp. 78, 82, 90, 110.

(23) Ibid, pp, 53-60.

(24) Ibid, pp. 69-75.

(25) Ibid, pp. 64-114-139.

(26) Ibid, p, 322-326.

(27) Ibid.

إفشالهم من جديد لمشروع «السيناتوس كونسلتو»(*) (عام 1865) الذي لم يستهدف من خلاله نابليون الثالث «وباسم تحضير العرب واحترام جنسيتهم»(**) سوى ترسيخ أقدام الاستعمار الفرنسي في الجزائر وذلك تحت شعار «المملكة العربية (عام 1863)»، مثلما أفشلوا من قبل المشروع المماثل الذي تقدمت به الجمهورية الثانية (1848 ـ 1851) والذي استهدف تمكين الجزائريين من حق الاقتراع، قد تكلفت ببيان مدى قيمة ذلك التصدي.

رابعاً: نحو الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة: الأمير خالد ودوره

إن مثل هذه الإجراءات القمعية الاستعمارية العنصرية المتصاعدة ضد الشعب الجزائري، والتي لم تزدها «الكارثة الديموغرافية» (1867 ـ 1868) والمجاعات العديدة والأوبئة(***) التي تلتها، وتزايد وتباعد الشقة الاقتصادية بين الشعب الجزائري، الذي ظل نموه الديموغرافي يزداد على الرغم من كل ذلك، هي التي ستكون وراء تلك الهجرة الوطنية إلى البلدان العربية والإسلامية المغربية منها والمشرقية على حدّ سواء (عام 1910)، وإلى فرنسا (عام 1910) كذلك، تلك الهجرة التي ستشكل في النهاية وكما سنرى تحولاً حاسماً بالنسبة إلى الحركة الوطنية[28] التي لم تلبث أن انتقلت من الأرياف إلى المدن ومن المقاومة المسلحة إلى المقاومة السياسية.

ضمن هذا المنظور الجديد للفكرة الوطنية الجزائرية، جاءت تلك الجهود الصادقة للأعيان (محمد بن رحال، بوضربة، حمدان خوجة، واسطامبولي، ومحمد بوقندورة) والشباب الجزائري (عام 1892) (بوكتاي، إبن بريهمات، مرسلي، وغيرهم)، والتي استهدفت من خلال تلك الصحف، الفرنسية والعربية[29] التي راحوا يصدرونها، ومن خلال تلك الاتصالات التي راحوا

(*) Senatus - Consulte.

(**) Ch. R. Ageron: *L'Algérie: Algérienne de Napoléon III a de Gaulle* (Avant - propos)

(***) Gauthier (E.F): Les Famines en Algérie, in *Revue de paris*, Janvier 1921.

(28) Ch. R. Ageron: Histoire de l'Algérie Cont.. pp. 82-86.

(29) وذلك مثل صحيفة المنتخب، 1882، الحق، 1893، الأخبار 1880، المغرب 1903، النصيح 1889، الهلال 1906. . الخ.

يقومون بها مع بعض الشخصيات السياسية الفرنسية، لا إلى تكوين شعب فرنسي مسلم. . ذي ثقافة فرنسية، كما فعل المعلمون الأهالي المتأثرين إلى حد كبير بالثقافة وبالمثل الجمهورية الفرنسية فحسب، بل للتخفيف من مأساة الشعب الجزائري وحماية عقيدته وفضح الممارسات الوحشية الاستعمارية أمام الرأي العام الفرنسي بخاصة، والدولي عامة.

وضمنه كذلك جاءت جهود المثقفين الجزائريين من بعدهم وذلك من أمثال محمد أطفيش (تـ 1914)[30] وعبد الله محمد[31] وبن محمد تونسي أحمد[32] وبن سديرة[33] وغيرهم، المتأثرين بالشبان المصريين والأتراك[34] والذين كانوا وراء تلك الحركة الثقافية التي عرفتها الجزائر طيلة العشرينيات من القرن الماضي، والتي اتخذت كلها تقريباً، وعلى الرغم من اختلاف مشارب أصحابها اللغوية (متعلمين بالعربي، ومتعلمين بالفرنسية) من ماضي الجزائر العربية المسلمة ومن حاضرها مواضيع لها، مستهدفة في النهاية وبدورها إعادة بناء المجتمع الجزائري وتحديث آلياته الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

وإذا كان أولئك المثقفون قد فشلوا بدورهم، مثل الشبان والمعلمين الجزائريين، في تحقيق أهدافهم تلك، فإن ذلك مرجعه إلى الطابع الاستيطاني للاستعمار الذي تعرضت له الجزائر من دون غيرها من البلدان الشقيقة المجاورة (تونس، المغرب)، وإلى رفضه بالتالي قيام أي نخبة ثقافية وطنية عصرية كانت أو تقليدية في الجزائر، وهذا عكس موقفه تجاه النخبة في البلدين الشقيقين التي كانت وراء قيم واستمرار كل من (القرويين والزيتونة) وغيرهما.

---

(30) محمد أطفيش (ت 1914). . كتب العديد من المؤلفات. . في السياسة وفي الثقافة العربية الإسلامية.

(31) Abdallah Mohamed: L'insécurité en Algérie, Alger, 1880.

(32) Mouhamed ben tounsi: L'insécurité en Algérie, Constantine 1880.

(33) Bensdira Belkacem: Dialogues français- arabes, Alger, 1880.

(34) نشير إلى أن هذه الحركة التي يعد عمر راسم الذي أصدر جريدة «**الجزائر** 1908»، و«ذو الفقار 1914». . وعمر بن قدور. . وعلي الحمامي. . وغيرهم. . تأثرت كثيراً بحركة الشبان المصريين، كما يؤكد ذلك العنوان الفرعي لجريدة **الحق** (الشاب المصري)، والعربي فخار (**المصباح** 1893)؛ يضاف إلى أولئك الكاتب حمدان عثمان خوجة صاحب كتاب **المرآة** الذي ترجمه من العربية إلى الفرنسية الدبلوماسي الليبي، حسونة دغين (سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج، 2، ص 59.).

من هنا نفهم سر عدم نجاح الفئة المثقفة في الجزائر في بلورة ذاتها كنخبة، وفي مقاربة المجتمع الجزائري مقاربة موضوعية كان يمكن أن تجعل منها القائدة لعملية التغيير السياسي والاجتماعي الوطني كما فعلت ذلك العديد من النخب في العالم العربي والإسلامي.

إن هذا الفشل الذي سيتجلى في كل أبعاده في الثلاثينيات من هذا القرن بصورة خاصة، هو الذي سيؤدي بالتالي إلى أولوية السياسي على الثقافي في الجزائر، محولاً بذلك ومنذ ذلك الوقت، ومن خلال «النجم» (عام 1926)، ثم من خلال ثورة نوفمبر 1954، الثقافة والمثقفين إلى تابعين للسياسة... وللكفاح المسلح... الذي ستعرفه الجزائر من جديد من خلال هذه الثورة.

على أن ذلك لا يجب أن يعني أننا ننكر إسهامهم الكبير الذي تمثل بخاصة، في تعريفهم بحقيقة الجزائر، للمستعمر ولغيره، وفي حثهم لأبنائها على تعلم لغته وثقافته، والذي لعب بالتالي دور الممهد للأرضية التي ستواصل، انطلاقاً منها، الفكرة الوطنية الجزائرية، ومن خلال الأمير خالد بخاصة، طريقها نحو الحداثة.

لقد جاء المشروع الوطني للأمير خالد[35] (تـ 1936) بدوره كمحصلة لتشبعه بالقيم العربية الإسلامية، تلك القيم التي لم يخف انتماؤه إليها وإلى أهلها، واعتزازه بها وبهم[36]، ولمعطيات واقعه وعصره كذلك، وفي الوقت نفسه المتمثلة ليس في تلك الوضعية المأساوية التي آل إليها الشعب الجزائري فحسب، بل في تلك الإفرازات التي ترتبت عن الحرب العالمية الأولى(1914 ـ 1918)، والتي أكدت أن الاستعمار يستند بدوره إلى المبادئ نفسها التي تستند إليها الفاشية، أي حق الأقوى في السيطرة على الأضعف[*]. ولقد تمثلت هذه الإفرازات بالنسبة إلى الجزائر، وعلى المستوى الداخلي، في معرفة الشباب الجزائري، الذي شارك إلى جانب الجيش الفرنسي في تلك الحرب، لحقيقة الجندي الفرنسي. كما تمثلت كذلك، وعلى المستوى الخارجي، في رسوخ

(35) Ch. R. Ageron: *Les Algériens musulmans*. T. II. P? 1050.

(36) M. Harbi: *1954, La Guerre commence*, p. 181.

(*) Jean - Suret - Canale.

فكرة القومية في أوروبا، وظهور الأحزاب السياسية. . . وتصاعد المد النهضوي العربي الإسلامي في المشرق العربي بخاصة. . وفي التضامن الكبير مع ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي (عام 1926).

إن هذه المعطيات الداخلية والخارجية الجديدة، الوطنية والدولية والعربية الإسلامية، هي التي ستكون وراء عمل الأمير خالد الإعلامي والتوعوي[37]، وغيره من رفاقه، الهادف إلى الانتقال بالفكرة الوطنية الجزائرية من وسائلها القديمة التي لم تعد مجدية، نحو طرق جديدة أكثر فاعلية/ وفي مقدمتها العمل السياسي والصحافي[38] والنقابي داخل الجماهير عامة وداخل العمال بخاصة.

وأمام إدراك المستعمر مدى ما يمثله ذلك العمل من خطورة بالنسبة إليه، عاد من جديد للعمل على إجهاض مشروع الأمير خالد والفكرة الوطنية التي بدأت تتطور من جديد من خلاله، وذلك عن طريق طرحه مشروع 1919، الإصلاحي الاندماجي، الذي لا يختلف في أهدافه ومضمونه كثيراً عن غيره من المشاريع الاندماجية الأخرى التي سبقته، وبخاصة مشروع نابليون الثالث (عام 1865)، إلاّ في إيحائه بأنه لم يستهدف سوى مكافأة الجزائريين على مشاركتهم إلى جانب فرنسا في تلك الحرب.

وإذا كان المستعمر قد نجح نسبياً، ومرة أخرى، وكما يؤكد ذلك الانقسام الذي شهدته حركة الشبان لأول مرة، بين مؤيد لذلك المشروع الاندماجي ولما ورد فيه جملة وتفصيلاً (بن تامي)، وبين متحفظ إزاء ما يحمله من طمس ومن نفي للشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري (الأمير خالد)، في تحقيق هدفه ذلك. وإذا كان قد طارد بالتالي مشروع الأمير خالد الذي تعاطفت الجماهير الجزائرية معه، بالرغم من اعتدال مضمونه، وطرد صاحبه إلى خارج الجزائر، فإن كل ذلك لم يمنع الأمير خالد من مواصلة العمل لمشروعه ذاك داخل صفوف الهجرة في فرنسا، في ظروف تميزت من بين ما تميزت بتخلي «كارتل اليسار» (عام 1924) عن مساعدته، وبمحاولة الحزب الشيوعي الفرنسي وضع مشروعه ذاك تحت وصايته، مهيأ

---

(37) M. Kaddache: *Histoire du Nationalisme*, T. I, pp. 97-126

(38) أصدر الأمير خالد صحيفة الإقدام (أيلول/ سبتمبر 1920).

بذلك الأرضية لظهور النجم (عام 1926)، ولميلاد الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة التي سيتحول بالتالي إلى واحد من أبرز رموزها[39].

1 ـ مولد الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة

بمثل تلك الجهود النضالية المسلحة بخاصة، والتي ستظل متواصلة وإن كان بشكل أقل قوة، ومن خلال ثورة عام 1916 بالأوراس وعين التوتة وغيرها، حوّل الفكر الوطني الجزائري بداية الثلاثينيات في هذا القرن، التي أرادها المستعمر، ومن خلال تلك الاحتفالات الاستفزازية والمهينة[*] للشعب الجزائري بمرور مائة سنة على استعماره له، إلى بداية لوعي وطني جديد، لم يلبث أن بدأ يتجسد انطلاقاً من تلك الأرضية التي وضع أسسها الأمير خالد ليس من خلال «النجم» وخطه السياسي الراديكالي المطالب بالاستقلال الكامل والناجز للشعب الجزائري، وهو المطلب الذي تأكد أن الأمير خالد طالب بمثله تقريباً (الاستقلال الذاتي)[40] فحسب، بل ومن خلال ظهور جمعية العلماء (عام 1931) ومشروعها الهادف لاستعادة الشخصية الجزائرية وتجديدها، ومن خلال ذلك التطور الذي ستظل تشهده حركة المنتخبين منذ ذلك الوقت وحتى ثورة نوفمبر 1954 كذلك.

وبمثلها كذلك سيتحول ذلك الانقسام الذي ستشهده الحركة الوطنية، والذي سيؤدي إلى ظهور أجنحة ثورية فيها (النجم... وحزب الشعب...)، وإلى أخرى إصلاحية (جمعية العلماء والمنتخبون)، إلى اقتسام في النهاية للمهام داخل تلك الحركة التي ستظل واحدة هدفاً وإن اختلفت عملاً ووسائل، حيث إن النجم، ثم حزب الشعب من بعده، إذا كان سيركز على الجانب الثوري ـ السياسي، فإن جمعية العلماء ستركز على الجانب الثقافي والديني، في حين ستتكفل حركة المنتخبين والبيان من بعدها بالجانب التحديثي الاجتماعي والسياسي.

---

(39) يعيب البعض على الأمير خالد، من بين ما يعيبون، قبوله الخدمة العسكرية، وعدم مطالبته بالاستقلال، متناسين أن الظروف التي يحكمون فيها عليه اليوم غير الظروف التي عاشها.

(*) Mercier (G): Le Centenaire de l'Algérie, 2 Tomes, Alger, Soubrion, 1930.

(40) Emir Khaled: la Situation des Musulmans d'Algérie, (1924). Présentation de: Nadia Bouzar Khasbadji, OPU, Alger, 1987, p. 15.

2 ـ الجناح الثوري: حزب الشعب: أو الخلاص عن طريق الثورة الشعبوية

لقد تبنت الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة منذ بروزها من خلال «النجم» (عام 1926)، ثم من خلال حزب «الشعب»[41] (عام 1937) وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية» (عام 1947)، بعد ذلك خطاً سياسياً ثورياً راديكالياً، جعل من الاستقلال الكامل والناجز مطلباً أوحداً ووحيداً له، رافضاً بذلك وبالتالي وبشكل مستمر كل المشاريع الاستعمارية الاندماجية والإصلاحية، وفي مقدمتها مشروع «بلوم ـ فيوليت» (عام 1936) الذي قبل به، ومن خلال المؤتمرين الإسلاميين (1936 ـ 1937) كل من جمعية العلماء وحزب البيان، إضافة إلى الحزب الشيوعي الجزائري؛ ومشروع ديغول (عام 1944) وغيرها من المشاريع الاستعمارية المماثلة.

ولقد تم ذلك في وقت كان فيه البعض من الجزائريين يشكون ويشككون، ليس فقط في إمكانية قبول المستعمر بمثل ذلك الاستقلال، بل وفي قدرة الشعب الجزائري على إجباره على مثل ذلك القبول.

كما تم ذلك، في وقت كان فيه آخرون يشكون، ولا نقول يشككون، كذلك في وجود الوطن الجزائري ذاته[42]!

من هنا استقطاب هذا الجناح الثوري، ومن خلال صحفه[43] ومنظماته المختلفة، للجماهير الجزائرية عامة، وللشباب خاصة، وهو الاستقطاب الذي أضفى عليه وعلى زعيمه، مصالي الحاج (تـ 1972) تلك الشعبية التي لم يعرفها جناح آخر في الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة.

ولأن النتيجة الطبيعية للشعبية خاصة في ظروف الاستعمار هي الشعبوية

---

(41) تأسس «النجم» في باريس (20 آب/ أغسطس 1926) تحت اسم جمعية نجم الشمال الإفريقي، وطالب باستقلال الجزائر. أصدر النجم جريدة الإقدام الباريسي، ثم الإقدام الشمال الإفريقي، ثم الإقدام. وكلها منعت من طرف فرنسا نظراً إلى خطها السياسي ولوجود صفحة بالعربية فيها. ثم جريدة الأمة (تشرين الأول/ أكتوبر 1930)؛ ثم جريدة حزب الشعب الذي خلف «النجم» (1937).. أنظر برنامج هذا الحزب في: C, Collot: le Mouvement national, pp. 134-136

ومحمد قناش: مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1985، العدد 20.

(42) F. Abbas: L'Entente franco- algeriénne, N, 24 27 février, 1936.

(43) من بين صحف حزب الشعب نذكر الأمة البرلمان الجزائري وغيرها.

التي تعني في أبسط تعريف لها الاعتقاد في إبداعية الشعب وفي التفوق الأخلاقي لغير المتعلمين وغير المثقفين[44]، فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي، إذا ما وجدنا هذا الجناح يركز، منذ اليوم الأول لبروزه، معظم جهوده التنظيمية والتوعوية على الجماهير عامة وعلى العمال بخاصة.

ولقد وظف هذا الجناح خاصة منذ تزعم مصالي الحاج له (عام 1926) وحتى تشرين الثاني/نوفمبر 1954، في كفاحه السياسي الثوري الأيديولوجيا الماركسية، التي خبرها مصالي الحاج، خاصة على مستوى التنظيم، مثلما خبرها غيره من العديد من العمال المهاجرين، والتي ظل يطالب، من خلالها الحزب الشيوعي الفرنسي، بمساعدته.

كما وظف مصالي الحاج (تـ 1974) كذلك وفي الوقت نفسه الأيديولوجيا القومية العربية في بعدها الروحي والثقافي، لا العنصري، والتي عرفها مصالي أيضاً، من خلال تعرفه على أبرز روادها في ذلك الوقت ألا وهو الأمير شكيب أرسلان (تـ 1946).

وإذا كانت آثار الأيديولوجيا الماركسية البروليتارية، سوف تتجلى في ميل هذا الجناح إلى العمل أكثر من القول، وإلى العنف اللفظي، أكثر من التفاوض، وفي الاعتماد أساساً على العمال بدلاً من المتعلمين والمثقفين، فإن أثار الأيديولوجيا القومية العربية سوف تتجلى بدورها كذلك، لا من خلال عمل هذا الجناح على تكريس القيم العربية الإسلامية، الدينية منها والثقافية، وذلك مثل الالتزام بالدين، وتقديس الأسرة ولفظ «الآخر» ممثلاً في الغرب الأوروبي، ولفظ كل مقلد له فحسب، بل ومن خلال عمله كذلك على توطيد القيم الوطنية الشعبية كذلك، وهي القيم التي ورثها عن أسرته... وذلك مثل الطرقية... والعرف... والبدع... الخ، التي لم يحاربها بالتالي وكما فعلت جمعية العلماء.

إن فشل حزب الشعب، في التوفيق وفي صهر تلك القيم الحديثة (الديمقراطية والتقدم والنضال.. الخ) بتلك القيم والمفاهيم التقليدية

---

(44) E Shils, in M. Harbi: *l'Algérie et son Destin*, Croyants ou citoyens édit medias, Alger,1994, p. 50.

(الطرقية... الأعراف. الخ)، هو الذي يفسر، وإلى حد كبير، تناقص طروحاته الداعية من جهة لتحديث المجتمع والمتمّسكة في الوقت نفسه بكل قيمه التقليدية، واهتمامه بالجماهير وسكوته عن الإقطاع الجزائري، ودعوته إلى الديمقراطية، وخلطه بين الحزب وبين زعيمه، ومناداته بالثورة، وتردده أمام كل عمل هادف لتجسيدها عملياً فوق أرض الواقع.

لكل ذلك فإن الشعبوية إذا كانت قد حولت مصالي، نتيجة لخطّه الثوري، النظري، ولاضطهاد المستعمر المستمر له بسبب ذلك، إلى شيخ طريقة وإلى زعيم سياسي في الوقت نفسه، وإذا كانت قد أضفت عليه كذلك وعلى حركته تلك الهالة، التي لم تعرفها أي شخصية وطنية أخرى منذ الأمير عبد القادر، محولة بذلك حركته إلى تيار شبه صوفي لا يقاوم، فإنها لم تمكنه بالرغم من ذلك، وفي النهاية، من بلورة أيديولوجيا قادرة على الوصول بالشعب الجزائري، ومن خلال الانتقال به وبفكرته الوطنية، من المجال السياسي إلى المجال العسكري، القادر وحده على الوصول به إلى مثل ذلك الاستقلال المنشود والموعود.

من هنا سر ذلك التجاوز الذي سيبدأ حزب الشعب يتعرض له من طرف قاعدة الشبابية بالدرجة الأولى منذ مجازر الثامن من أيار/مايو 1945[45].

وآية ذلك أن تلك المجازر (التي جاءت بعد نجاح الفكرة الوطنية الجزائرية في التوحّد من جديد، ومن خلال «أحباب البيان والحرية» (عام 1944) خاصة، وبعد رفض مشروع ديغول الاندماجي الجديد (آذار/مارس 1944)، الذي لا يختلف عن مشروع بلوم ـ فيوليت (عام 1936) إلا في تأخره عنه بحوالى عشر سنوات، إذا كانت لم تزد، وعكس ما توهم المستعمر، الشعب الجزائري إلا تصميماً على القتال، من أجل حريته، وفكرته الوطنية إلاّ رسوخاً، فإنها لم تنجح بالرغم من ذلك في دفع هذه الحركة، وغيرها من الحركات الوطنية الأخرى إلى الارتفاع إلى ذلك المستوى الذي وصل إليه والذي جعله

(45) R. Ainad Tabet: *Le 8 Mai 1945 en Algérie*, OPU? Algérie, 1977, 2é édit.
M. Combe: L'insurrection du 8 mai dans le constantinois, conférence, centre des hautes études d'administration Musulmane. 19/7/1946.

أكثر توحداً وأكثر استعداداً للثورة مما كان عليه قبل تلك المجازر.

ولأن قيادة حزب الشعب لم تدرك، مثل غيرها من الحركة الوطنية الأخرى، بالقدر الكافي مثل تلك المرحلة التي وصلت إليها الفكرة الوطنية، (ولم تكن بالتالي في مستوى ما تتطلبه تلك الوحدة وذلك الاستعداد العفويين للثورة، اللذين وصلت إليهما الجماهير)، من إعادة تنظيم لهذه الأخيرة، فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي إذا ما رأيناها تتجاوز بالتالي، وفي أول مؤتمر لهذا الحزب في الجزائر (عام 1947)، من طرف قاعدتها النضالية، ممثلة في الشباب خاصة الذي لم يعد يرى، بعد تلك المجازر، غير الكفاح المسلح وسيلة للخروج بالقضية الوطنية من ذلك الطريق المسدود الذي وصلت إليه.

ولقد تم ذلك في وقت كان فيه اجتماع سان فرانسيسكو(عام 1945)، قد أكد علانية على حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها، وفي وقت استعادت فيه كل من سوريا ولبنان استقلالهما السياسي من المستعمر الفرنسي (عام 1944) و(عام 1943)، وتبلورت فيه المؤامرة الغربية ـ الصهيونية ضد فلسطين (عام 1947). كما تم ذلك في وقت كان فيه الملك محمد الخامس يعد فيه إعلانه عن عزمه على تحرير بلده من الحماية الفرنسية (خطاب طنجة عام 1947)، وكان فيه كل من الشعب الملغاشي (عام 1947) والتونسي يتظاهران من أجل استقلالهما، والشعب الفيتنامي يقود بنجاح حربه التحريرية ضد المستعمر الفرنسي نفسه، وكانت فيه الهند قد انتزعت استقلالها السياسي من «الأسد» البريطاني (عام 1947).

وأمام مثل هذه التغيرات وغيرها، فإننا نفهم بالتالي رفض أولئك الشباب، بخاصة، الاستمرار في مواجهة المستعمر الفرنسي، الذي ازداد تعسفاً، بالأسلوب نفسه الذي أوصل الشعب الجزائري إلى تلك المجازر، وحركته الوطنية إلى ذلك الطريق المسدود.

ولقد استطاعت الفكرة الوطنية، بعد نجاح أولئك الشباب الواعي بكل تلك الحقائق الوطنية الدولية، في انتزاع موافقة المؤتمر لهم بتكوين «المنظمة السرية»، (التي ستشكل، وكما سنرى ذلك بشيء من التفصيل في الفصل القادم، الرّحم الذي ستخرج منه فكرة نوفمبر 1954 والثورة المجسدة لها)،

تجاوز ذلك الركود وذلك الطريق المسدود الذي توهم المستعمر أنه قد نجح في الوصول بالشعب الجزائري وبقضيته الوطنية إليه.

في مثل هذه الظروف التي تميزت على المستوى الوطني باستمرار قيادة حزب الشعب، وحركة الانتصار للحريات على المستوى الوطني في الجري وراء لعبة الانتخابات الاستعمارية (عام 1947)، (عام 1951) وبعجزها ثم تخليها الكلي عن مسؤولياتها تجاه المطاردة التي بدأت تتعرض لها المنظمة السرية خاصة بعد اكتشاف المستعمر لها (عام 1950)، وعلى المستوى الخارجي بقيام جامعة الدول العربية (عام 1954)، وهيئة تحرير المغرب العربي (القاهرة عام 1948)، وإقدام محمد مصدق على تأميم البترول الإيراني (عام 1952)، وبداية المقاومة الوطنية المسلحة ضد المستعمر تفسه في كل من تونس (عام 1953)، والمغرب (عام 1954)، ونجاح الثورة المصرية (عام 1952)، والانتصار الساحق الذي حققته فيتنام في «ديان ـ بيانفو» عليه (أيار/مايو 1954)، راح أولئك الشباب، يعدون، وكما سنرى ذلك بالتفصيل في الفصل القادم، في سرية تامة، العدة لاندلاع الثورة المسلحة بعيداً عن تلك القيادة وعن تلك الانقسامات، بينها وبين رئيسها، التي ما لبثت أن غرقت فيها (تموز/يوليو 1954) والتي لم ينجح أولئك الشباب، ومن خلال «اللجنة الثورية للوحدة والعمل» (آذار/مارس 1954) في رأبها.

بذلك تجاوزت الفكرة الوطنية، ومن خلال نجاح أولئك الشباب في النهاية في إشعال فتيل تلك الثورة (أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954)، أزمة حزب الشعب، (وهي الأزمة التي نعتقد أن السجن المتواصل لمصالي الحاج من طرف المستعمر، وانقطاعه بالتالي عن العديد من الحقائق الوطنية، إضافة إلى حبه المفرط للزعامة، قد لعبت دوراً كبيراً فيها).

على أنه يجب أن نلاحظ هنا، أن ذلك التجاوز لحزب الشعب، قيادة وزعامة لم يحل دون هذه الثورة ودون استمرار تواجد أيديولوجيته، وبقوة، فيها وهذا حتى بعد انتصارها، وعلى الرغم من كل عمليات «القتل للأب»، التي وإن كانت قد وصلت على يد خصومه من المركزيين (حسين لحول)[46]

(46) M. Harbi: *Le FLN, Mirage*, pp. 39-115.LA Guerre commence en Algérie,pp 62-63.1

إلى حد اتهام مصالي الحاج بالانحراف، فإنها ستصل على يد البعض من رموز تلك الثورة إلى اتهامه بالخيانة. . . الوطنية[47]!

من هنا استمرار ارتباط الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة بمصالي الحاج وبغيره من رموزها الآخرين، بخاصة ع. بن باديس وفرحات عباس.

3 ـ الأجنحة الإصلاحية: جمعية العلماء، أو البحث عن الخلاص في الماضي الوطني

وإلى جانب هذا الجناح الثوري، فإن الفكرة الوطنية الجزائرية، الحديثة قد عرفت كذلك وفي الوقت نفسه أجنحة إصلاحية وهي تلك التي مثلها كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحركة البيان.

لقد اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[48]، ممثلة في الأمام عبد الحميد بن باديس (تـ 1940) وفي رفاقه وذلك من أمثال محمد البشير الإبراهيمي ومحمد خير الدين وتوفيق المدني والطيب العقبي ومبارك الميلي والشيخ بيوض والعمودي، ومحمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء وأبو اليقظان والعربي التبسي، والمتأثرة بالجانب العربي الإسلامي في مشروع الأمير خالد من جهة، وبالتيار النهضوي العربي الإسلامي، وبخاصة جناحه الإصلاحي (محمد عبده) من جهة أخرى، من الماضي العربي الإسلامي للشعب الجزائري، ومن قيمه طريقاً لا للرد على محاولات الطمس الاستعماري لشخصيته فحسب، بل وعلى إعادة إصلاحها روحياً وثقافياً واجتماعياً، كشرط ضروري للوصول بها إلى حريتها المنشودة.

ولأن الإصلاح، عامة، يستمد أسسه الأولى من القرآن الكريم ويشكل بالتالي رداً على بداية تراجع الدين، نتيجة للانحطاط الثقافي والاجتماعي وللأزمات الاجتماعية والسياسية التي لا يمكن إلا أن تترتب عن مثل ذلك الانحطاط، وما يمثله من انسلاخ في شروط الوجود، فإنه يعد بالتالي بمثابة التعبير عن عودة الوعي الديني وعن ترابطه مع الوعي بالمخاطر

---

(47) El -Moudjahid, N, 2, juin, 1956, p. 31.

(48) Ibid.

الداخلية والخارجية التي تهدد الأمة بالتمزق والتجزئة[49].

إن هذه المقاربة للواقع العربي والإسلامي هي التي ستنتهي بالتالي بالنهضة بمختلف أجنحتها إلى الاقتصار عن البحث عن الوسائل الفكرية والثقافية الكفيلة بتمكين الجماهير العربية الإسلامية من تمثل النموذج الغربي، انطلاقاً من معطياتها الدينية والوطنية والثقافية والاجتماعية، على أمل الوصول بها إلى مستواه من دون محاولة فهم كافٍ من طرفها للواقع التاريخي والثقافي والاجتماعي لهذه الجماهير وموقفها الحقيقي إزاء عملية التحديث هذه.

لذلك فإنه لا يجب أن نستغرب إذا ما رأينا كل رواده لا يرون من سبيل لتجسيده إلا من خلال «العمل على وضع الإسلام الاجتماعي في مستوى الإسلام المعياري»[50].

ولذلك أيضاً وصلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدورها وبعد تحليلها للواقع الجزائري إلى قناعة أساسية وهي تلك التي استلهمتها من الآية القرآنية الكريمة التي تؤكد ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[51].

ضمن هذا المنظور، راحت جمعية العلماء تعمل وسط المطاردة الاستعمارية الشرسة لها، على تجسيد شعارها الثلاثي الخالد: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، وذلك من خلال تلك الجهود التوعوية والثقافية التي شملت الكبار والصغار، الرجال والنساء، والتي اتخذت من المساجد ومن المدارس ومن النوادي الثقافية أماكن ووسائل لها، لإعادة بناء عقيدة الشعب الجزائري ولتخليصها من خلال العودة بها إلى ما كنت عليه أيام السلف الصالح، من كل الشوائب والبدع التي ألحقتها بها قرون من الاستبداد والتخلف، وذلك انطلاقاً من إعادة ربطه بلغته العربية، ومن خلال الصحافة[52] والمؤلفات حول الجزائر وتاريخها وشخصيتها العربية الإسلامية.

---

(49) Ibid,

(50) علي أومليل: **الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**، دار التنوير، بيروت، 1985، ص 90.

(51) **القرآن الكريم**، سورة الرعد، الآية رقم 11.

(52) من بين هذه الصحف نذكر: **السنة، الشريعة المطهرة، الشهاب، والبصائر**. كما إن من بين تلك المؤلفات حول الجزائر مؤلفات كل من أ. توفيق المدني وأ. مبارك الميلي حول تاريخ الجزائر.

إن اختيار جمعية العلماء اللغة العربية كوسيلة وكهدف لإصلاح المجتمع الجزائري وللوصول به إلى حريته واستقلاله المنشودين، لم يكن وكما قد يعتقد البعض، اعتباطياً، لسبب بسيط، وهو أن اللغة العربية، وكما يؤكد عبد الحميد بن باديس بما تحمله من عقيدة ومن ثقافة، تمثل بالنسبة إلى الشعب الجزائري الرابطة الموحدة بينه وبين ماضيه، والمقياس الذي يقيس به روحه بروح أسلافه، واللسان الذي يعبر به عنه، والترجمان عما في قلبه من عقائد وما في عقله من أفكار[53].

ولأن اللغة العربية كذلك، فإنها قادرة بالتالي، وكما فعلت من قبل، على خدمة وتجديد، لا دين وعقل الشعب الجزائري فحسب، بل والإنسانية بأكملها.

بمثل هذه المقاربة للواقع الاستعماري حولت جمعية العلماء، اللغة العربية إلى وطن للكينونة[54] عل حد تعبير الفيلسوف الألماني «مارتن هيدغر» (تـ 1982)، بالنسبة إلى الشعب الجزائري.

فاللغة، كما يضيف «هيدغر»، تسميّ العالم بحسب العلاقات والبنى الاجتماعية، وتعطيه البعد الكينوني الذي تتضمنه قدراتها الترميزية..[55] ولأن الترميز هو الذي لا يمكن التفكير إلا به، فإن الفكر يسكن اللغة[56] ويسكن صاحبها بالتالي. وبمثلها كذلك أمكن لها، أن تؤكد لكل المتشككين والمشككين في وجود الوطن الجزائري الذي أعلن عبد الحميد بن باديس أنه يجب أن «يكون قبل كل شيء»[57]، ووجود الأمة الجزائرية المتميزة جنسياً وثقافياً وتاريخياً عن فرنسا، والتي لا يمكنها أن تكون فرنسا كما يدعى المستعمر حتى ولو أرادت ذلك.

---

(53) من التقرير الأدبي الذي ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس بجمعية التربية والتعليم (أيار/ مايو 1939). أنظر د. محمود قاسم: **الإمام عبد الحميد بن باديس، الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية**، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص 62 ـ 63.

(54) M. Heidegger: Acheminement vers la parole, édit, Gallimard, paris, pp. 1963, p. 38.

(55) M. Heidegger: Essais et conférences, trad, Franc, Gallimard, 1958, pp. 272-276.
L'Etre et le temps: trad: H. Corbin, Gallimard, 5è édit, 1949, pp. 24-30.

(56) M. Heidegger: Acheminement...p, 38.
M. Heidegger: *Introduction à la Métaphysique*, trad,G, Kahn, Gallimard,1967, pp. 124-173.

(57) ذلك هو الشعار الذي تصدر عنوان جريدة المنتقد سنة 1925. أنظر د.محمود قاسم بن باديس ص 67.

وبمثلها أخيراً وجدت جمعية العلماء نفسها متجاوزة عملياً، لا من خلال تلك الجهود التوعوية الثقافية التي بدأت تؤتي ثمارها، ومن خلال بروز ذلك الجيل الجديد المتشبع بوطنه وبعقيدته وبعروبته فحسب، بل ومن خلال إدانتها، المنطقية، للتجنيس وللزواج بالأجنبيات، إضافة إلى مشاركتها في معظم التجمعات السياسية الوطنية، (المؤتمرين الإسلاميين (1936 ـ 1937)[58]، وأحباب البيان (عام 1944) الخ، لحدود ذلك الإطار الإصلاحي الذي كانت قد التزمت به، مكرهة، عند إنشائها، أمام المستعمر.

لكل ذلك فإننا نعتقد أن ما بدا للبعض من اعتدال ومن تذبذب في مواقف جمعية العلماء تجاه المستعمر، وبخاصة موقفها من مشروع بلوم ـ فيوليت (عام 1936)، وهو الموقف الذي لم تكن الوحيدة فيه، والذي حاولت تبريره من خلال تفريقها بين الجنسية الوطنية والجنسية السياسية. . .[59] الخ، إنما كان يستهدف بالدرجة الأولى تغطية مثل ذلك التجاوز.

ولكل ذلك أيضاً، فإننا إذا كنا متفقون مع بعض الآخرين الذين عابوا عليها فشلها في إعادة ربط الدين الإسلامي بمتطلبات الحياة الحديثة[60] وحسن ظنها بالمستعمر[61] وعدم منهجيتها السياسية والاجتماعية في التعامل معه[62]، وتركيزها على النخبة المثقفة بدلاً من الجماهير[63]، وتهديدها لوحدة الشعب من خلال محاربتها الشرسة للزوايا التي ظل العديد منها، يشكل، وكما نعلم، الملجأ الأول للثقافة وللغة العربية وللعقيدة الإسلامية، فإن ذلك لا يعني أننا ننسى اختلاف منطق الإصلاح عن منطق الثورة، أو ننكر الدور الكبير الذي أدته هذه الجمعية بدورها في حماية وتجديد الشخصية وفي بلورة

---

(58) C. Collot et C.R Henry: Histo du mouvt, p. 70.

وأنظر أيضاً: جريدة الشعب (الجزائر) 13/ 6/ 1989: حول المؤتمر الإسلامي، 1936.

(59) أنظر محمود قاسم: بن باديس ص 77 ـ 80.

(60) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 63-64.

(61) A. Mahsas: *Le Mouvement Rév - Algérien*, p. 49.

(62) مالك بن نبي: أنظر د. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 411.

(63) A. Mahsas: *Le Mouvement*, p. 49.

C.Collot: Le Mouvement, (textes), pp. 191-204.

الفكرة الوطنية كذلك، خاصة لدى الشباب الذين ستجد فيهم ثورة الأول من نوفمبر، وبخاصة بعد انضمام هذه الجمعية إليها (عام 1956)، العديد من إطاراتها العسكرية والسياسية على حد سواء.

4 ـ المنتخبون والبيان: أو الخلاص من خلال ماضي الاستعمار

وإذا كانت الفكرة الوطنية ممثلة في أجنحتها الإصلاحية قد اتخذت من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الماضي الوطني ممثلاً في الإسلام وفي قيمه الحقيقية، طريقاً لخلاص الشعب الجزائري فإن المنتخبين (عام 1927)[64] الذين يقولون إنهم من اتجاه الأمير خالد، والمتأثرين سياسياً وثقافياً بفرنسا وبخاصة بثورة عام 1789، وبمبادئها في الحرية والأخوة والمساواة، قد اتخذوا من مهمة الوصول بالشعب الجزائري إلى مثل تلك المبادئ السياسية والثقافية والاجتماعية طريقاً لخلاصه من واقعه الاستعماري بذلك ظل مضمون برنامج هذا الجناح الوطني منذ عام 1927، وحتى الاتحاد الديمقراطي للبيان (عام 1946)[65]، ومروراً بحزب البيان (عام 1944)[66] واحداً تقريباً، بالرغم من التطور النسبي الذي شهده خاصة من خلال تجمع البيان والحرية (عام 1944)[67].

وبذلك أيضاً ظلت جهود هذا الجناح منذ عام 1927 وحتى عام 1944، مركزة على المطالبة بمساواة الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات ولا سيما في التمثيل البرلماني. . وإلغاء قانون «الأنديجينا» والمكتب الثاني والمساواة بين التعليم العربي والفرنسي، وفي المناصب السياسية والعسكرية والإدارية بعيداً عن أي إجراءات تعسفية.

وإذا كانت هذه المطالب ستجعلها تغير، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945)، مطلب المساواة (عام 1927) بمطلب الاستقلال الذاتي، ضمن فرنسا (عام 1944)، خاصة بعد مجازر الثامن من أيار/مايو 1954، فإن ذلك لن يغير كثيراً من مضمون برنامج هذا الجناح. من هنا تشابه مشروع المنتخبين مع

---

(64) Collot et C.J. Henry, *le Mouvement*, pp. 39-60.

(65) Ibid pp. 219-231.

(66) Ibid pp. 140-152.

(67) Ibid pp. 185-191-203-208.

مشروع الأمير خالد لا في المضمون فحسب، بل وفي الوسائل كذلك، وهي الوسائل التي تمثلت من بين ما تمثلت في إرسال الوفود إلى فرنسا، بهدف الاتصال بشخصياتها السياسية، الحكومية منها. . والحزبية. . . والثقافية(68)، كما تمثلت كذلك في الصحافة وفي غيرها من الوسائل الحزبية الأخرى المعروفة(69).

إن هذا الخط الوطني السياسي، الديمقراطي، والمعتدل إلى حد كبير، وبخاصة في مراحله الأولى، والذي وصل بالبعض من ممثليه إلى حد الشك في وجود الوطن الجزائري(70)، لم يحل بالرغم من ذلك، من دون هذا الجناح ومن دون محاربة المعمرين له، وهذا في الوقت نفسه الذي جعل معظم قاعدته الشعبية تتخلى عنه نهائياً في الأخير عام 1950.

وكان يجب انتظار إفرازات الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945)، التي شكلت بداية النهاية بالنسبة إلى الاستعمار العالمي، وما حملته من وعود بالنسبة إلى الشعوب المستعمرة، في الحصول على حقها في تقرير مصيرها بنفسها، لكي يتبين هذا الجناح، وبخاصة من خلال مجازر 8 أيار/مايو 1945، مدى جدية تلك الوعود ومدى جدوى ذلك الخط الذي تبناه تجاه المستعمر.

وهكذا فإنه إذا كان إفشال المعمرين لمشروع «بلوم ـ فيوليت» (عام 1936) قد دفع هذا الجناح إلى المطالبة بالاستقلال الذاتي (عام 1944) فإن إفشال المعمرين، مرة أخرى، لمشروع «أحباب البيان الجزائري» (عام 1944) سيدفعه إلى المطالبة بالجمهورية الجزائرية المرتبطة فدرالياً مع فرنسا (عام 1946). إن مثل تلك الجمهورية المستقلة، والمتعددة الأجناس والمزدوجة اللغة والثقافة (العربية والفرنسية مثل لبنان)، هي التي ظلت ماثلة في ذهن زعيم هذا الجناح (فرحات عباس)، ليس بعد انضمام حزبه إلى الثورة (نيسان/أبريل 1956) فحسب، بل وحتى آخر يوم من حياته(71).

تبقى بعد ذلك ملاحظة وهي تلك المتمثلة في أننا إذا كنا نتفق مع بعض

---

(68) A. Mimouni: *Le Manifeste Algérien dans la presse française*, édit, Mimouni, Alger, 1991.

(69) (Egalité) (1931) (Le jeune Algérien) (1946) (le manifeste) (1939) (l'Entente) (1939).

(70) F. Abbas: L'Entente franco- musulmane, N 24/02/1936.

(71) cf- F. Abbas: *Autopsie d'une guerre*, édit, Garnier, paris, 1980.

الباحثين الذين عابوا على هذا الجناح حسن ظنه بالمستعمر، وإصراره على إصلاح الوضع الاستعماري من دون مبدأ الاستعمار ذاته[72]، فإننا نظل مع ذلك واثقين في وطنيته لسبب بسيط وهو أننا نعتقد جازمين أن النضال الصادق لرموز هذا الجناح من أجل القضية الوطنية وتطويرها كان وسيظل فوق كل شك أو شبهة[73].

خامساً: الحزب الشيوعي الجزائري: أو الخلاص عن طريق الثورة البروليتارية العالمية

بالرغم من أن الحزب الشيوعي الجزائري (حتى عام 1936)، يعتبر أقدم الحركات السياسية في الجزائر، حيث إن جذوره الأولى تعود إلى الاشتراكيين الفرنسيين الذين طردهم نابليون الثالث إلى الجزائر، بعد انقلاب 2 كانون الأول/ ديسمبر 1871، وبالرغم من الجهود والتضحيات المادية والمعنوية العديدة التي قدمها الكثيرون من مناضليه للحركة الوطنية، والتي حولته منذ ذلك الوقت إلى واحد من معطيات الواقع السياسي الجزائري الحديث، فإن هذا الحزب، ممثلاً في قيادته بصورة خاصة، ظل عملياً وفي معظم اللحظات التاريخية الحاسمة من نضال الشعب الجزائري (موقفه من مجازر 8 أيار/ مايو 1945، ومن ثورة تشرين الثاني/ نوفمبر 1954)، إضافة إلى وقوف العديد من مناضليه الأوروبيين إلى جانب منظمة «الجيش السري» (عام 1962) ضد استقلال الجزائر، كما حدث ذلك في كل من الجزائر العاصمة ووهران، يقف إلى جانب الاستعمار.

وآية ذلك أن الحركة الشيوعية في الجزائر، ظلت منذ انتظامها في أول فدرالية لها (عام 1921)، تابعة قاعدياً للمعمرين، وسياسياً للحزب الشيوعي الفرنسي التابع بدوره أيديولوجياً لموسكو[*].

ولأن تلك كانت الفدرالية الشيوعية في الجزائر، فإنها لم تنظر بالتالي إلى

Cf: Naroun Amar: F. Abbas ou le chemin de la souverainété, édit, Denol, paris, 1961.

(72) A. Mahsas: *Le Mouvement révolutionnaire en Algérie*, pp. 49-51.

(73) Cf:B. Strora: F. Abbas, une utopie algérienne, Denoel, 1995.

(*) -Jurguet (J): La Révolution nationale Algérienne et le parti communiste français, édit, du centenaire, I, II, paris, 1972-1974.

القضية الجزائرية على أنها قضية تحرير وطني، بل نظرت إليها على أنها مجرد قضية اجتماعية واقتصادية[74]، وعملت بالتالي على البحث عن حلها من خلال العمل على رفع المستوى المادي والمعنوي للبروليتاريا الجزائرية، ملتقية بذلك وفي النهاية إلى حدّ ما مع المستعمر.

بذلك أدت تلك الفدرالية، وكما يؤكد تأييدها الضمني، وكما فعل «ماركس» و«إنغلز» اللذان اعتبرا استعمار الجزائر خدمة للحضارة الأوروبية![75]، ومطالبتها بربط الجزائر نهائياً بفرنسا[76] ورفضها العلني لقرارات الاشتراكية الدولية الثالثة (عام 1920) المؤكدة للطابع التحرري لكفاح الشعوب المستعمرة[77]، (وهو الرفض الذي بررته بعدم وعي الحركة الوطنية الجزائرية بخاصة، والعربية الإسلامية عامة، بنفسها وبما تريد)[78]، دوراً رجعياً بالنسبة إلى الحركة الوطنية وإلى رموزها في النهاية[79].

من هنا تبنى هذا الحزب، لا لسياسة الإصلاح ورفضه لكل عمل مسلح ضد المستعمر فحسب، بل ولأطروحات (توريز عام 1939) حول «الأمة الجزائرية التي هي في طريق التكوين»[80]، وإصراره على اعتبار معركتها مع المستعمر من أجل حريتها وكرامتها، مجرد امتداد للصراع الأيديولوجي بين العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي.

ومن هنا كذلك تركيزه لكل جهوده تقريباً للعمل من خلال صحافته[81] ومناضليه على الاحتفاظ بالجزائر داخل منطقة النفوذ الفرنسي، وهذا في انتظار تلك الثورة البروليتارية الموعودة في فرنسا، وتحول هذه الأخيرة في

---

(74) M.. Kaddache: *Hist du nationalisme*, T, I, pp. 127-170.

(75) Gallissot et Badia: Marxisme et Algérie Textes de Marx/Engels, Col. 10/18, paris 1969, pp. 25-31-350-351-377.

(76) M. Kaddache, *Histoire du nationalisme*, T, I, pp. 129-139.

(77) Ibid.

(78) Ibid.

(79) A. Mahsas, le Mouvement rév.pp, 181-182.

(80) M.Kaddache: *Hist...du nationalisme*, T, II, pp. 977-78.

(81) من بين هذا الحزب نذكر: L'Avenir social (1902), La lutte sociale (1909), L' évolution sociale (1903), Alger Republican (1938).

النهاية إلى «اتحاد سوفياتي جديد» تكون فيه بالتالي بمثابة مركز تحقق القيادة لمستعمراتها، ومن ضمنها الجزائر!

إن هذه المواقف وغيرها، والتي لا يمكن تبريرها كلها بتمزق هذا الحزب بين قاعدته الأوروبية وبين الواقع الجزائري، هي التي كانت وراء تأييده اللامشروط لمشروع بلوم ـ فيوليت (عام 1936) ووراء إدانته، ومثل ما فعل الحزب الشيوعي الفرنسي[82]، لتظاهرات الشعب الجزائري في 8 أيار/مايو 1945، وليس للمجازر الاستعمارية التي واجهها المستعمر بها، ووراء مطالبته (عام 1946) بجزائر مرتبطة بفرنسا، ورفض قيادته الانضمام لثورة تشرين الثاني/نوفمبر 1954، وهي الثورة التي وصفها (بعضهم؟) بأنها مغامرة !

لكل ذلك لم ينجح الحزب الشيوعي الجزائري، مثل غيره من الأحزاب الشيوعية الأخرى في العالم العربي والإسلامي وفي العالم الثالث (إندونيسيا ـ السودان ـ الهند ـ مصر) في استقطاب الجماهير إليه، لا بسبب مواقفه من الدين كما يزعم البعض فحسب، بل بسبب ذلك الخلط بين قضايا تحرير الشعوب المستعمرة، وقضايا معركة الاشتراكية مع الرأسمالية وهو الخلط الذي جعله «يعتبر، مثل كل تلك الأحزاب، المادية ـ التاريخية وكأنها ظاهرة فوق التاريخ. . ويتجاهل بالتالي، لاخصوصيات البنيات الاجتماعية للعام الثالث فحسب، بل وينظر كذلك إلى الرأسمالية وكأنها قد ولدت طبيعياً في هذا العالم مثلما ولدت في أوروبا، أي من تطور المجتمع الجزائري، الذي لم يعرف طبقات، بالمفهوم الأوروبي الشائع لهذه الكلمة»[83].

إن هذه الأخطاء، وغيرها التي لن يعترف بها ورثة هذا الحزب إلا بعد مضي أربعة عقود من الزمن[84] على حلّه (عام 1965)، هي التي أفقدت دوماً هذا الحزب ثقة الغالبية الساحقة من الشعب الجزائري[85]، وكانت بالتالي وراء اعتبارنا له حركة سياسية من بين العديد من الحركات السياسية الأخرى الوطنية

(82) «Alger - Républicain» 17/5/1945- «L»Humainité »: paris 31/5/1945. «Liberté » 17/5/1945.

(83) M. Harbi: *L'Algérie et son destin: Croyants ou citoyens*, édit Médias Associes,1994, p. 45.

(84) Ibid, p. 31.

(85) Ch. R.Ageron: *l'Algérie algérienne,de Napoléon III à de Gaulle*, èdit Sindbad, paris, 1980 pp. 219-238.

والاستعمارية التي عرفتها الجزائر أيام الاحتلال الفرنسي لها، وليس حركة وطنية كما فعلنا بالنسبة إلى حزب الشعب والبيان وجمعية العلماء.

على ضوء ما تقدم، نتبين أن جذور فكرة نوفمبر 1954، قديمة قدم الفكرة الوطنية الجزائرية، وقدم فعلها في الوعي الوطني الجزائري، الذي تبلور نهائياً منذ اعتناق الجزائر للإسلام ممكناً لها بالتالي، ومنذ ذلك الوقت، لا من الصمود فقط أمام كل الحملات الاستعمارية الأوروبية التي ظلت تستهدفها بصورة شبه مستمرة تقريباً، بل ومن دحرها كلها الواحدة تلو الأخرى.

كما نتبين كذلك أن الفكرة الوطنية الجزائرية إذا كانت قد تجسدت بالتالي من خلال المفهوم الإسلامي: الأمة، الذي سبقت الإشارة إليه، فإنها لم تلبث أن بدأت تتمحور تدريجياً، خاصة بعد الحملة الاستعمارية الفرنسية (عام 1830) التي تمت على مرأى ومسمع من العالم الإسلامي، اللامبالي أو العاجز، حول الوطن الجزائري، آخذة بذلك، ذلك الطابع الوطني وتلك الحداثة التي ستشكل ثورة نوفمبر أبرز تجسيد عملي لها.

إن ذلك يعني، من بين ما يعني، أن فكرة نوفمبر لم تكن بداية الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة، بل كانت بمثابة التتويج العملي النهائي والحاسم لواحدة من أبرز ومن أخطر مراحلها.

ولأن فكرة نوفمبر كذلك، فإنها لم تكن بالتالي، وكما يدعى البعض، وليدة معطيات غربية أو شرقية بالدرجة الأولى، بل كانت، وكما سنرى ذلك في الفصول القادمة، وليدة عبقرية الشعب الجزائري، وثمرة مقاوماته المتعددة والمتجددة التي ظل يواجه بها مستعمره، وذلك من خلال الكفاح المسلح أولاً، ثم من خلال الكفاح السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، متمثلاً في العديد من الزوايا وفي العديد من المنظمات الاجتماعية، العمالية، الكشفية، الطلابية، الثقافية، الفنية، والرياضية. . الخ، التي ازدهرت منذ الأربعينيات من هذا القرن بصورة خاصة، والتي أسهمت كلها، وبدورها، في بلورة الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة عامة، وفكرة نوفمبر 1954 بخاصة.

الفصل الثالث

الجزائر عشية نوفمبر ١٩٥٤

أولاً: صورة مصغرة

وصل الاستعمار الفرنسي في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين إلى قناعة خطيرة جعلته يجزم أن وجوده، الذي ظل يعمل منذ الجنرال «دوبرمونت» 1830، وحتى الجنرال ديغول، ومروراً بكل جنرالات فرنسا الاستعمارية، على فرضه وترسيخه بالقوة فوق أرض الجزائر، قد أصبح أمراً واقعاً لا مجال للشعب الجزائري للإفلات منه أو لزحزحته. إنه الواقع الذي وجد ليبقى، والقاعدة التي لا يمكن أن تعرف الاستثناء! إن هذه القناعة، على الرغم مما فيها من عجرفة ومغالاة، لا تخلو من بعض الأسس الواقعية.

فقد بدت الجزائر في تلك الفترة وكأنها جثة منهكة قد استسلمت، في النهاية، وبعد الفشل الذي منيت به كل انتفاضاتها وثوراتها المسلحة ضد المستعمر (أكثر من 130 ثورة وانتفاضة)، لمفترسيها الذين تكالبوا عليها، بعد أن عملوا على قطع كل صلة بينها وبين أمتها العربية الإسلامية، من كل اتجاه وأصابوا منها كل مقتل.

كانت وكأنها بعد أن خارت قواها عند عتبات غد ظلت تطرق، بعنف ومن دون جدوى، أبوابه، التي توهم الاستعمار أنه قد أحكم، وإلى الأبد، إيصادها في وجهها، قد ألقت بسلاحها واستسلمت لجلاديها ولجراحها، على مرأى من تلال الأشلاء المتراكمة لأبنائها الذين خاضوا بشجاعة ووفاء كل معارك خلاصها، ووسط هياكلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والثقافية المدمرة والمتناثرة، وكأنها عقد قد انفرطت حلقاته خارج التاريخ وتلاشت بعيداً عن مجرى الزمن.

وفي تلك الدائرة المفرغة التي زجت فيها الجزائر بعد عمليات الاتلاف لذاكراتها ولماضيها، والمحاصرة المضروبة حول مستقبلها، وجدت الجزائر نفسها فريسة لواقع استعماري لم يعد لها من دور فيه سوى دور «سيزيف»[*]، ومن خيار أمام جرعاته اليومية من الظلم والإذلال والقهر والفقر والمرض والجهل، سوى الاستسلام له أو الموت. «لقد ضاع العرب، «الجزائريون»، وعليهم أن يموتوا أو يتركوا وطنهم، أو أن يرتدوا البذل ويعملوا، فوق أراضيهم (المحتلة)، كأجزاء وفقاً للقانون الأقوى والأكثر مكراً»[1].

ذلك هو المصير الذي أعده المستعمر للشعب الجزائري واعتقد أنه قد نجح في دفعه إليه، وتلك كانت صورة الجزائر منذ ذلك التصريح وحتى عشية ثورة أول نوفمبر 1954: شعب تم تهميشه بعد إخضاعه على كل المستويات، واستعمار مصرّ أكثر من أي وقت مضى على الاحتفاظ بكل خصائصه وأساليبه القمعية التي مكنته من اغتصاب هذه الأرض ومن تسخير كل مقدراتها لمصالحه وعلى حساب شعبها الذي حرمه من كل حق حتى، حقه في رفع صوته للتنديد بتلك الوضعية.

إن تلك الحالة التي آل إليها الشعب الجزائري ليست سوى النتيجة الطبيعية لاستعمار استيطاني عنصري ظل منذ عودة الملكية عام 1814، إلى الجمهورية الخامسة عام 1958، ومروراً بالإمبراطورية وبالجمهورية الثانية والثالثة، وحتى الجمهورية الخامسة (1958 ـ ؟) يعمل على تجسيد حلمه المعلن، والمتمثل في رغبة المستعمرين في تحويل الجزائر إلى إقطاعية بورجوازية سندها الوحيد جيش الاحتلال، ودورهم فيها دور السادة في

(*) هو ابن إيول (EOLE)، وملك كورنثة (اليونان)،اشتهر وكما تقول الأساطير بالقسوة.. ولذلك حكم عليه، بعد موته، بدخول جهنم وبالعمل فيها، باستمرار، على رفع صخرة كبيرةو الوصول بها إلى قمة الجبل .. وهي القمة التي كلما اقترب منها، بصخرته تلك، إلا وتهاوت هذه الأخيرة منه إلى الأسفل، دافعة إياه إلى العمل على الوصول بها من جديد إلى تلك القمة .. و هكذا دواليك.

(1) 1.CH.R.Ageron: *L'Algérie Alg*... p. 31.

مقابل دور الجزائريين الذي يجب أن يكون دور العبيد كما يضيف الجنرال هانتو[2].

من هنا نفهم سر إصرار الاستعمار الفرنسي طيلة فترة وجوده فوق أرض الجزائر على التمسك بصورة كلية بكل خصائص جذوره الأولى وبما تحمله من عنصرية وإرهاب واستيطان.

ومن هنا نفهم كذلك لماذا ظل ذلك الاستعمار يضيق بالتالي من قبضته على الشعب الجزائري، تلك القبضة التي امتدت إلى كل شيء والتي ما كان يوهم أنه قد خفف من حدتها في بعض الأحيان، وكما سبق أن أشرنا، إلا لكي يمكّن لها من الاستحكام منه أكثر...[3].

ومن هنا أخيراً نتبين كيف تحولت كل ممارساته وشعاراته، على الرغم من اختلافها الظاهري، إلى أدوات لتحقيق ذلك الهدف المتمثل في «تمزيق العرب»، كما صرح بذلك «نابليون جيروم» (عام 1858) الحاكم الفرنسي العام في الجزائر[4].

وكذلك فعل «بوجو»[*]حين أعلن، منذ الأيام الأولى للاحتلال «أن الحرب التي تقودها فرنسا ليست حرباً بالبندقية فقط، بل حرب تهدف إلى حرمان العرب من المصادر الغذائية التي توفرها لهم الأرض لأن ذلك وحده الكفيل بهزيمتهم وبتشريدهم». «لذلك يجب، وكما أضاف، أن يتحول كل مكان فيه مياه جيدة وأراض خصبة إلى مقام للمعمرين من دون اهتمام بمعرفة من يمتلك تلك الأرض»[5].

إن هذا الموقف الاستعماري من الشعب الجزائري الذي جسده كل قادة جيش الاحتلال تقريباً ابتداء من «بولينياك» إلى «سالان»، ومروراً بـ «بوجو» و«راندون» و«غيدون» و«شانزي وبليسيه»... الخ، يصدق كذلك على كل

---

(2) المرجع السابق.

(3) A.Mahsas: *le Mouvent Rév- en Algérie*, p. 326.

(4) CH.R.Ageron: *Histoire de L'Algérie*, p. 28.

(*) Gl. Bugeaud.

(5) M.Egreteau: *Réalité de la nation Algériènne*, édit,sociales,paris,1957, pp. 62-91.

الساسة الفرنسيين، وهذا ابتداء من «شارل العاشر» إلى «ديغول»، الذين حاولوا كلهم وبدورهم توظيف مناوراتهم السياسية لتحقيق الهدف نفسه.

بذلك تحولت شعارات «التحضير» و«التمدين»(*) للشعب الجزائري إلى عمليات تصفية جسدية لهذا الشعب الذي فقد نتيجة لذلك ما لا يقل عن العشرة ملايين من أبنائه.

وبذلك أيضاً تحول الإدماج (الذي ظلت كل القيادات السياسية والعسكرية الاستعمارية تلوح به للشعب الجزائري منذ السنوات الأولى للاحتلال (عام 1847)، والذي لم يكن يعني، وكما سبق أن أشرنا، في الحقيقة سوى الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين واليهود، وصولاً إلى تحويلهم إلى مواطنين متميزين إلى أداة لتحقيق ذلك الإخضاع الذي خططه للشعب الجزائري)[6].

إن تلك الحالة التي آل إليها الشعب الجزائري ليست سوى النتيجة الطبيعية لاستعمار استيطاني عنصري ظل، منذ عودة الملكية عام 1814، حتى الجمهورية الخامسة عام 1958، ومروراً بالإمبراطورية وبالجمهورية الثانية والثالثة، وحتى الجمهورية الخامسة (1958 ـ ؟)يعمل على تجسيد حلمه المعلن، والمتمثل في رغبة المستعمرين في تحويل الجزائر إلى إقطاعية بورجوازية سندها الوحيد جيش الاحتلال، ودورهم فيها دور السادة في مقابل دور الجزائريين الذي يجب أن يكون دور العبيد كما يضيف الجنرال هانوتو[7]!

من هنا نفهم سرّ إصرار الاستعمار الفرنسي طيلة فترة وجوده فوق أرض الجزائر على التمسك بصورة كلية بكل خصائص جذوره الأولى وبما تحمله من عنصرية وإرهاب واستيطان.

ومن هنا نفهم كذلك لماذا ظل ذلك الاستعمار يُضيّقُ بالتالي من قبضته على الشعب الجزائري، تلك القبضة التي امتدت إلى كل شيء والتي ما كان

(*) أشاد البرلمان الفرنسي في جلسته ليوم 23/ 02/ 2005، بالدور الايجابي للاستعمار الفرنسي في ما وراء البحار.

(6) Ch. R. Ageron: Histoire de l'Algérie Cont.., pp. 60 - 61.

(7) المرجع السابق.

يوهم أنه قد خفف من حدتها في بعض الأحيان، وكما سبق أن أشرنا، إلا لكي يمكن لها من الاستحكام منه أكثر.

ومن هنا أخيراً، نتبين كيف تحولت كل ممارساته وشعاراته، على الرغم من اختلافها الظاهري، إلى أدوات لتحقيق ذلك الهدف المتمثل في «تمزيق العرب»، الجزائريين، كما صرح بذلك «نابليون جيروم» (عام 1858) الحاكم الفرنسي العام في الجزائر.

وبذلك أخيراً تحولت «المساواة» التي ظل الاستعمار الفرنسي يمني بها الشعب الجزائري ويوهم العالم بأكمله أنه يعمل من أجلها منذ عام 1830م، إلى قانون للأهالي(عام 1871)، لم يحمل معه للشعب الجزائري سوى تلك الترسانة من الإجراءات العقابية الخاصة به والتي سبقت الإشارة إليها، والتي كانت تهدف إلى إرغامه على الرضوخ بالقوة لعمليات الاغتصاب التي كانت تتعرض لها أرضه وممتلكاته على يد العصابات الأوروبية الغازية والدخيلة التي تكالبت عليه من كل اتجاه، ابتداء من الألزاس واللّورغين، إلى ألمانيا وإسبانيا ومالطا وسويسرا وإيطاليا، ومروراً بكل المغامرين والمرابين اليهود الذين وصل عددهم سنة 1954 إلى 71,000 أوروبي، وإلى 140,000 يهودي.

وكان من الطبيعي أن تنعكس نتائج هذه الوضعية الاستعمارية التي آل إليها الشعب الجزائري على كل مناحي حياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية على حد السواء.

لقد ظل الاستعمار الفرنسي يهدم، منذ الأيام الأولى لتواجده في الجزائر، البنيات الاقتصادية للشعب الجزائري، وذلك من خلال تطبيقه لكل سلبيات الاقتصاد الليبرالي الحديث (الضرائب، . . . الاحتكار . . . الخ) من دون تمكينه في الوقت نفسه من إيجابياته (حرية التجارة، والصناعة، والمنافسة، الحصول على القروض والآلات. . . الخ).

لكل ذلك غابت كل عملية بناء اقتصادي أو صناعي جادة في الجزائر. ولأننا لا نستطيع التوقف عند كل المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت وراء تلك الوضعية التي وصل إليها الشعب الجزائري عشية نوفمبر

1954، وهي المظاهر التي سبق للعديد من الدراسات الوطنية والأجنبية أن تناولتها بالعمق الذي تستحقه[8]، فإننا سنكتفي بالتذكير فقط بالبعض منها.

ثانياً: الحالة الاقتصادية والاجتماعية

لقد أدت عمليات النهب والسلب الاستعماري للأراضي (الجماعية، العرش، والخاصة)، الجزائرية وهي العمليات التي ابتدأت منذ السنوات الأولى للاحتلال والتي لم يزدها قانون «فارنييه» (عام 1873) إلاّ شرعية، إلى تدهور خطير للوضعية الاقتصادية للشعب الجزائري[9].

فقد بلغت جملة المساحة الزراعية المغتصبة من الفلاحين الجزائريين سنة 1954م، 15 مليون هكتار تقريباً[10].

وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الاغتصاب الاستعماري للريف الجزائري الذي كان يضم سنة 1830، 66,6 في المئة من الشعب الجزائري إلى إفراغ معظم مناطقه الخصبة من أهلها الأصليين، الذين دفعوا إلي الأراضي القاحلة حيث تنعدم الخصوبة والمياه، (كل الطرق المعبدة وكل السدود التي أقامها المستعمر، كانت كلها تقريباً في الشمال حيث أراضيه التي اغتصبها)، وإلى تدهور بالتالي للوضعية الاقتصادية للشعب الجزائري، وهو التدهور الذي لم يزده انخفاض الإنتاج الزراعي والحيواني وتسخير المستعمر لتلك الأراضي الخصبة والمغتصبة لإنتاج لا علاقة له بالحاجيات المعيشية للشعب الجزائري (200 ألف هكتار خصصت لزراعة عنب النبيذ بصورة خاصة) وما يفوقها لزراعة البواكير ومئات الهكتارات من الغابات والمراعي التي أعطيت للشركات الصناعية الأوروبية، مثل شركة الحلفا والفلين السويسرية، والخشب الفرنسية. . . الخ.

هكذا انخفض الإنتاج الزراعي في الجزائر سنة 1954م إلى 16 مليون قنطار

---

(8) cf - M. Kaddache: *Histoire du mouvement national.*

V. Demontes: *Renseignements sur l'Algérie économique*, paris, 1922.

(9) M. Egreteau: *Réalité de la Nation Algérienne*, pp. 49 - 76 - 109.

(10) Ibid

من الحبوب مقابل 21 مليون قنطار سنة 1908م، وإنتاج زيت الزيتون إلى 200 ألف هيكتوليتر سنة 1954م، مقابل 500,000 هيكتوليتر سنة 1948م. والإنتاج الحيواني إلى 4,350,000 رأس غنم سنة 1954م، بعد أن كان 8,200,000 رأس سنة 1871م.

ولقد استمر ذلك التدهور في الإنتاج الزراعي والحيواني في وقت كان فيه الشعب الجزائري قد بلغ عام 1954م(8,500,000) نسمة بعد أن كان لا يتجاوز 4,923,000 عام 1921[11].

وإذا أضفنا إلى كل ذلك العديد من الضرائب المرهقة المسلطة على المزارعين الجزائريين من دون غيرهم[12]، وأعمال المصادرة المستعمرة لممتلكاتهم، والمضاربة بمنتجاتهم التي جعلت منهم المديونين الأبديين، وأعمال السخرة وانعدام الأدوات الزراعية الحديثة، سهل علينا بالتالي فهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم البطالة في الريف، التي وصلت سنة 1954 إلى حد أصبح فيه 45 في المئة من الفلاحين الجزائريين لا يعملون سوى 45 يوماً في السنة، الأمر الذي جعل دخلهم السنوي لا يتجاوز 22 ألف فرنك قديم! وهذا مقابل أضعاف ذلك بالنسبة إلى دخل الفلاحين المستعمرين.

بذلك تزايدت الهجرة الريفية نحو المدن الداخلية الجزائرية الكبرى وهي الهجرة التي وصلت سنة 1954 إلى ما يقرب من المليون نسمة[13]، مقابل 800,000 ألف سنة 1930، وإلى 300 ألف مهاجر إلى الخارج في السنة نفسها (1954)، وهذا بعد رفض غالبية الفلاحين الجزائريين العمل كخماسين فوق أرضهم المغتصبة، وبقيت، بالرغم، من كل ذلك التعسف، صامدة فوق أراضيها الجديدة، القاحلة، وفوق قمم الجبال التي راحت ترقب من فوقها أرضها المغتصبة، في انتظار يوم تستعيدها فيه، يوم لا تعرف موعده بالضبط، ولكنها لا تشك في أنه آتٍ لا محالة.

ولعل في تلك القرى البائسة والمنتصبة حتى اليوم فوق سفوح وقمم جبال

---

(11) M. Egreteau: *Réalité*... pp. 110 - 113.

(12) Ch. R. Ageron: *Hist. de l'Algérie, Cont*, pp. 76 - 77.

(13) Ibid, pp. 81 - 82.

جرجرة والأوراس والونشريس، وفي تلك الأجزاء القليلة والجرداء من الأراضي التي ظل الفلاحون الجزائريون متمسكين بها بالقرب من تلك الضيعات الاستعمارية الشاسعة، صورة حية لتلك المطاردة التي قادها المستعمر ضدهم ولذلك الإصرار الذي أبدوه تجاهها، وهو الإصرار الذي سيتجلى بكل أبعاده في كل تلك الانتفاضات والثورات التي احتضنها الريف الجزائري بعد ذلك والتي تعد ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م أبرز نموذج لها.

وحول تلك المدن الجزائرية، التي حولها المستعمر بدورها، إلى مناطق شبه محرمة على الجزائريين، أقامت تلك الآلاف المؤلفة من الفلاحين الجزائريين أحزمة أحيائها القصديرية، أي تحولت داخلها إلى فريسة للفقر والأوبئة والبطالة والضياع النفسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وسط ذلك الواقع الاستعماري المفروض عليها والذي لا تربطها به أية رابطة، إلا رابطة العوز والفقر والحرمان والاستغلال.

وحين تنجح، بعض الوقت في التسلل إلى داخل تلك المدن، وبتغافل من المستعمر عنها، فذلك لكي يوكل إليها الأعمال (المنحطة) التي يرفض أبناءه القيام بها. . أو التي لا يقدرون عليها، وذلك مثل أعمال النظافة والاشتغال داخل البيوت والحراسة ومسح الأحذية والعمل في الموانئ والطرقات. . الخ.

وهكذا، ونتيجة لسيطرة المستعمر على كل المؤسسات الاقتصادية والصناعية والإدارية والثقافية والمالية، فإن أقل من (320,000) جزائري وجدوا سنة 1954 أعمالاً بسيطة وقارة داخل تلك المدن، إضافة إلى بعض الحرفيين الجزائريين المتواجدين بصورة خاصة في مدن قسنطينة والجزائر وتلمسان وإلى بعض التجار الصغار؛ في حين عاش ما يقرب من مليون جزائري تقريباً، (تقرير دولا فنييت) داخل تلك الأحياء القصديرية من دون عمل قار تقريباً[14].

وكان من الطبيعي أن تنعكس آثار تلك الوضعية الاقتصادية على الوضعية

(14) المرجع السابق.

الاجتماعية للشعب الجزائري، وأن تؤدي بالتالي إلى هزات عميقة وعنيفة لمختلف هياكله.

فقد أدّى ذلك إلى تدهور خطير في مستوى معيشة الشعب الجزائري، وهو التدهور الذي يذكرنا وإلى حدّ بعيد، بتلك «الكارثة الديمغرافية» (1867 ـ 1868)، التي سبقت الإشارة إليها في الفصل الماضي، وبتلك الأوبئة أيضاً التي تلتها والتي أدت سنة 1954، ومرة أخرى إلى ارتفاع نسبة الوفيات، وإلى عدم تجاوز عمر الجزائري(60 سنة) نتيجة، لا لرفض الشعب الجزائري للطب الاستعماري، وكما يذهب بعض الباحثين الفرنسيين[15]، (ذلك الرفض الذي شكل بدوره، وبخاصة في بداية الاحتلال، رداً على التغلغل الاستعماري، والتشكك في أي شيء يأتي من طرفه) فحسب، بل وإلى الظروف المعيشية المزرية وللنقص الفادح في عدد الأطباء كذلك (115 طبيباً لمعالجة 8,5 مليون جزائري سنة 1954!)[16].

وإذا كان الشعب الجزائري قد تجاوز تلك الكارثة الديمغرافية الجديدة التي ظلت تهدده حتى سنة 1954 بالانقراض، فإن ذلك راجع أيضاً إلى تزايد نموه الديمغرافي (2,85 في المئة) سنة 1954[17] من جهة، وإلى حرص المستعمر على الإبقاء على جزء من الشعب الجزائري في حالة صحية تمكنه من الاستمرار في تسخيره للعمل لصالحه من جهة ثانية[18].

تلك صورة مختصرة للوضعية الاجتماعية والاقتصادية للجزائر عشية نوفمبر1954، وهي الصورة التي يلخصها لنا أحد المؤرخين الفرنسيين المعاصرين في ما يلي: «لقد بدت الجزائر سنة 1954 فريسة لصعوبات غير قابلة للحل: فاستحواذ أقلية استعمارية على الأرض وضعف الاستثمارات وغياب سوق داخلية وانعدام أي سياسة اقتصادية مستقبلية، كانت كلها تؤكد

---

(15) Yvonne Turin: Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Maspéro, paris, 1971, pp. 342 - 344 - 354.

(16) M. Egreteau: *Réalité de la Nation Algérienne*, p. 135.

(17) Ch. R. Ageron: *Hist. de l'Algérie*, p. 79.

(18) J. P. Sartre: Préface aux « Damnés de la Terre » in, Fanon: *les Damnés de la terre*, paris, Maspéro, 1961.

وتسهم في استفحال الأزمة، التي ازدادت مأساوية بفعل التزايد السريع للسكان المسلمين، وتدهور مستوى حياتهم»![19].

ثالثاً: الحالة الثقافية

يؤكد «توكفيل» في تقرير مشهور له سنة 1847م، حجم الدمار الثقافي الذي أحدثته الاستعمار الفرنسي في الجزائر فيقول: «في كل مكان وصلنا إليه، سلبنا مداخيل المؤسسات الخيرية والدينية المخصصة للفقراء والتعليم وحرفناها عن استعمالاتها المألوفة». «لقد حطمنا المؤسسات الخيرية وأهملنا المدارس وحاربنا أماكن التعليم. لقد انطفأت الأضواء في كل مكان حولنا، وتوقف توظيف رجال الدين والقانون المسلمين. بمعنى آخر، أننا جعلنا المجتمع الجزائري أكثر بؤساً وأكثر جهلاً وأكثر همجية، مما كان عليه قبل أن يعرفنا»[20].

إن هذه الشهادة، التي نجد العديد من مثيلاتها عند العديد من المؤرخين الفرنسيين الآخرين الذين سبقوه والذين تلوه، تكفي وحدها لبيان مدى حدة التدمير الذي أصاب الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر على يد الاستعمار الفرنسي.

وغني عن البيان، أن الهدف الاستعماري الذي ظل واحداً منذ ذلك الوقت وحتى آخر يوم لوجوده في الجزائر، هو محاولة محو كل أثر من ملامح الشعب الجزائري من شأنه أن يهدد ذلك الواقع الذي فرضه عليه، والذي لا يمكن أن يستمر إلا بتجريد الشعب الجزائري، لا من أرضه فحسب، بل ومن ذاكرته وهويته العربية الإسلامية كذلك.

لذلك قاد الاستعمار الفرنسي تلك الحملات الشرسة والشاملة على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر وعلى كل المؤسسات التعليمية والدينية، وهذا في الوقت نفسه الذي حرم فيه، وكما فعل ذلك بالنسبة إلى بنياته ومؤسساته الاقتصادية، هذا الشعب من أي جانب إيجابي من ثقافته

---

(19) Ch. R. Ageron: *Hist. de l'Algérie*, Cont, p. 84.

(20) Ibid, p. 18.

وحضارته التي لم يعطه منها سوى الجوانب الاستعمارية التي تخدم أهدافه.

ولقد كان لتلك الوضعية بدورها أثرها الكبير في الإسهام في تعميق ذلك التخلف الذي كان قد بدأ يصيب الثقافة العربية في الجزائر، وفي غيرها من بلدان العالم العربي الإسلامي، منذ عصور الانحطاط، وفي الزيادة من حدته.

لقد حارب الاستعمار الفرنسي بشدة الثقافة العربية الإسلامية ومؤسساتها ورجالاتها. ذلك ما يؤكده على أي حال عدد المدارس التي كانت قبل الاحتلال، تعد بالمئات؛ فمدينة تلمسان مثلاً، كان بها قبل الاحتلال أكثر من 50 مدرسة وثلاث ثانويات، وحوالى 2000 تلميذ، إضافة إلى 30 زاوية مشهورة، والتي أصبح عددها بعد ذلك الاستعمار لا يتجاوز المدرستين.إن الحقيقة نفسها تصدق، بنسب متفاوتة، على كل مدينة وكل قرية أو دشرة جزائرية . .

بذلك فإن عدد الطلبة في المرحلة الثانوية إذا كان قد وصل قبل الاحتلال إلى حوالى 200 طالب، إضافة إلى حوالى 60 طالباً في التعليم العالي[21]، فإنه لم يتجاوز سنة 1954، أي بعد مضي ما يقرب من قرن ونصف على ذلك الاحتلال، مخلفاً ذلك العدد نفسه كما يؤكد ذلك عدم استيعاب المؤسسات الاستعمارية في السنة نفسها (1954) إلاّ لحوالى 20 في المئة من مجموع الأطفال الجزائريين القابلين للتمدرس(حوالى 32 ألف تلميذ) في الابتدائي، 6260 في الثانوي، و515 في التعليم التقني، و589 طالباً في التعليم العالي، و5181 في التعليم المهني[22].

لكل ذلك فإنه لا يجب أن نستغرب إذا ما رأينا تلك المدارس الاستعمارية لا تتضمن وعلى الرغم من النزعة الإنسانية الصادقة للبعض من المعلمين والأساتذة الفرنسيين العاملين بها، وطيلة كل تلك الفترة، سوى 78 محامياً جزائرياً، 36 صيدلياً وخمسة قضاة، إضافة إلى البعض من الأساتذة في التعليم الثانوي والعالي والتقني.

---

(21) المرجع السابق.

(22) المرجع السابق.

بذلك دمّر المستعمر البنيّات الثقافية للمجتمع الجزائري من دون أن يمكنه في الوقت نفسه، وكما وعد، من لغته أو من ثقافته. إن هذا الموقف الاستعماري المتناقض، بين رغبته في ترسيخ ثقافته ولغته من خلال تلك المدارس، وبين خوفه من أن تؤدي مثل تلك العملية إلى تهديد وجوده في النهاية، (نتيجة لتعلم الشعب الجزائري) هو الذي يفسر كيف تحولت تلك المثاقفة الاستعمارية، لا إلى وسيلة لدفع المجتمع نحو الحداثة والتطور فحسب، بل إلى وسيلة لتدميره ولدفعه بالتالي إلى نسيان واقعه الاستعماري وإلى الذوبان نهائياً فيه(23).

من هنا تكمن طبيعة ذلك الهدف الذي حدده المستعمر لتلك المدارس ولتلك المعاهد والكليات، بما في ذلك المدارس العربية الفرنسية الثلاث التي أنشأها سنة 1850 في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان، والذي تمثل في تخريج إداريين ومهنيين بسطاء يكونون، وكما سبق أن أشرنا في خدمة الآلة الاستعمارية واحتياجاتها المختلفة وفي العمل كذلك وفي الوقت نفسه على زرع بذور التقسيم السياسي والطائفي للشعب الجزائري.

غير أن ذلك المخطط الاستعماري فشل بدوره، حيث فضلت غالبية الجزائريين التوجه إلى مكة والمدينة وفاس وتونس والقاهرة لمتابعة تعليمها، بدلاً من باريس وبوردو وليون. وكان حظ جامع الأزهر وحده وفي النهاية، من الطلبة الجزائريين سنة 1910 أكثر من حظ مدرسة الجزائر(24)، ومدارس باريس مجتمعة وهذا في الوقت نفسه الذي لم يتخل فيه العديد ممن تثقفوا بثقافة المستعمر عن هويتهم العربية الإسلامية.

أما بالنسبة إلى المساجد، فإن المؤرخين يؤكدون أن عددها الذي كان في مدينة الجزائر وحدها وقبل الاحتلال 26 مسجداً كبيراً و109 مساجد صغيرة و12 زاوية، إضافة إلى كنيسة وبيعة، قد تقلص في سنة 1862، وبعد ثلاثين سنة فقط من ذلك الاحتلال، وما تم خلالها من استيلاء على الأوقاف والأملاك العامة (البايلك) المخصصة لها، إلى أربعة مساجد كبيرة وثمانية

---

(23) Y. Turin: *Affrontements culturels*, pp. 25 - 30.

(24) Ch. R. Ageron: *Hist. de l'Algérie*, Cont, p. 69.

مساجد صغيرة، وهذا بالرغم من القانون الاستعماري القاضي بفصل الدين عن الدولة[25]!

هكذا حولت المساجد المغتصبة إلى كنائس أو هدمت وحورب التعليم الديني ورجاله ومؤسساته، وأغلقت الكثير من الزوايا ومن الكتاتيب القرآنية ووضع رجال الدين تحت رقابة استعمارية مشددة، ومنع فيه المستعمر أكثر من مرّة الجزائريين من أداة فريضة الحج.

ولقد تم كل ذلك في وقت أطلق فيه المستعمر العنان لرجال الكنيسة لضرب الإسلام في عقر داره، وكأن مبادئ الحرية التي ادعى الاستعمار أنه جاء حاملاً لها لكل الإنسانية لم تكن تعني الجزائريين، وكأن مبدأ فصل الدين عن الدولة لم يكن يعني كذلك سوى المسيحيين!

غير أن كل ذلك التعسف وكل تلك العمليات التدميرية الاستعمارية للثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، قد فشلت أمام تشبث الشعب الجزائري بعقيدته وبثقافته ورفضه، هذا بالرغم من شدة تعطشه للعلم وللثقافة، وللعديد من جوانب ثقافة المستعمر، مفضلاً الالتجاء بعقيدته وثقافته إلى الزوايا وإلى الكتاتيب القرآنية (27 ألف طفل سنة 1860)[26]، رافضاً بذلك الثقافة الاستعمارية التي لم يبدأ في قبول البعض من جوانبها إلاّ بعد نصف قرن من الاحتلال، وبعد أن بدأ ينضج سياسياً بهدف تسخيرها لتجاوز المستعمر، كما وقع ذلك بالفعل في ما بعد، خاصة إبان ثورة نوفمبر1954.

بذلك نتبين كيف وجد الشعب الجزائري في عقيدته وفي لغته الحصن الحصين ضد كل عمليات المسخ لهويته التي امتدت إلى كل شيء في وطنه، حتى إلى أسماء مواطنيه ومدنه وقراه وشوارعه وساحاته وحواريه، والتي لم تزده سوى تمسكاً بلغته وبثقافته وبعقيدته.

وقد كان مشهد الشعب الجزائري وهو ينحني في خشوع ويلتقط كل قطعة خبز وكل ورقة تحمل حروفاً عربية ملقاة في الطريق أو في أماكن أخرى غير

---

(25) Ibid.

(26) Ibid, pp. 68 - 69.

لائقة، ليقبلهما قبل أن يضعهما في مكان آمن بعيداً عن الأقدام، يحمل كل دلالاته ومعانيه.

وبذلك أيضاً نجح الشعب الجزائري، وفي النهاية ومن خلال قيامه بعملية تثقيف لنفسه بنفسه عن طريق تلك المدارس الأهلية العديدة التي راح ينشئها، وبخاصة منذ الثلاثينيات من القرن الماضي، ومن خلال صحافته الوطنية، التي لم تسلم بدورها من المطاردة الاستعمارية الشرسة، ومن خلال تلك البعثات التعليمية إلى الدول العربية الإسلامية، ومن خلال تعلمه في الوقت نفسه لغة المستعمر وثقافته، لا في تأكيد ارتباطه العملي والكلي بقيمه العربية الإسلامية فحسب، بل وفي تحويل تلك العقيدة وتلك الثقافة إلى سلاح أثبت، مرة أخرى، أنه واحد من أنجح الأسلحة التي كانت وراء صموده ووراء هزيمته لعدوه في النهاية.

ولعل أصدق من يصور لنا مدى أبعاد الدور الذي لعبته المقاومة الثقافية للشعب الجزائري ضد المستعمر هي هذه الشهادة التي تؤكد أن الاحتلال الثقافي الذي عمل المستعمر منذ «نابليون الثالث»، و«جول فيري» بخاصة على ترسيخه من خلال المدرسة الفرنسية قد فشل حيث إن أطروحة المهزوم: «قد ظلت تولد لدى المستعمِر خوفاً أقوى من ذلك الذي ولدته لدى المستعمَر الذي لم يقر أبداً في أعماقه الداخلية بتلك الهزيمة»[27].

من هنا فإن الشعب الجزائري إذا كان قد قبل في النهاية بعضاً من ثقافة المستعمر، فإن ذلك راجع، وكما أشرنا في الفصل السابق، إلى إدراكه ضرورة التكيف الجدلي تجاه النظام الاستعماري[28] وتجاه ثقافته.

رابعاً: الحالة السياسية

أمام تلك الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المزرية التي عرفتها الجزائر عشية 1954، فإن الأوضاع السياسية لم تكن أقل تردياً، سواء على مستوى السياسة الاستعمارية تجاه الجزائر، أو على مستوى الحركة الوطنية

---

(27) Y. Turin: *Affrontements culturels*, pp. 139 - 141.

(28) المرجع السابق.

الجزائرية نفسها، تجاه تلك السياسة وذلك الواقع الاستعماري المجسدة له.

وآية ذلك أن مجازر 8 أيار/مايو 1945، إذا كانت قد أوهمت المستعمر، وكما أشرنا في الفصل السابق، بنجاحه في تدمير إرادة الشعب الجزائري في استعادة حريته المغتصبة، كما يؤكد ذلك رفض الجمعية الوطنية الفرنسية لمطلب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، المتعلق بمنح الجزائر صفة الدولة المتعاونة مع فرنسا (20 أيلول/سبتمبر1947)، وإفشال المستعمر بعد ذلك لمخطط « إيف ـ شاتينيو»، الإصلاحي وتزييفه لانتخابات «مارسيل ايدموند ناجيلان» (1949 ـ 1951)، إضافة لمواصلة مطاردته للعديد من رموز الحركة الوطنية، وفي مقدمتهم مصالي الحاج. . . الخ، فإنها قد شكّلت بالنسبة إلى الشعب الجزائري وعلى العكس من ذلك تماماً، نقطة تحول مهمة وبخاصة بالنسبة إلى حركته الوطنية.

ولقد تجلت آثار ذلك التحول الذي شهدته الحركة الوطنية، من بين ما تجلت، في ذلك التقارب الذي قامت به مختلف أجنحتها الإصلاحية، وبخاصة تقريب حزب البيان، من حزب الشعب ومن مواقفه الراديكالية، وهي المواقف التي لم تزدها تلك المجازر إلا رسوخاً لدى الجماهير الجزائرية.

هكذا، أصبح مطلب الاندماج، الذي ظل يشكل منذ ذلك الوقت المطلب الأساسي لحزب البيان والمنتخبين من قبله، بعد تلك المجازر، «مطلباً أشبه بالحقيقة التي لا يمكن الوصول إليها» كما اعترف بذلك فرحات عباس سنة 1946، و«باللعبة الاستعمارية التي لا يمكن للجزائريين الاستمرار فيها.»[29].

لكل ذلك، وكما يضيف فرحات عباس، «فإن استعادة الجنسية والمواطنة الجزائريتين يقدمان الآن للفرد الجزائري أمناً أوضح وأكثر منطقية لمشكل تطوره»[30].

غير أنه إذا كانت تلك صورة حزب الشعب ومواقفه حتى نهاية الأربعينيات

(29) M. Lachraf: *l'Algérie, Nation et Société*, p. 199.

(30) المرجع السابق.

من هذا القرن، فإن تلك الصورة بدأت تهتز شيئاً فشيئاً في نظر الشعب الجزائري عامة، وفي نظر القاعدة النضالية الشبابية لهذا الحزب بخاصة، وذلك نتيجة لاستمراره في الجري وراء «الشرعية» السياسية، تلك الشرعية التي تفقد كل معنى لها لدى المستعمر خاصة، حينما يكون موضوعها الشعب الجزائري، وحين تغيب النظرية الثورية القادرة على تحديد كل أوجه الحياة السياسية وعلى الاستجلاء الواضح لملامح المستقبل الذي يريده للجزائر المستقلة، ولرفضه تجديد إطاراته.

إن هذه السلبيات وغيرها، هي التي ستكون وراء مطالبة بعض الشباب من المناضلين، المتوسطين ثقافياً واجتماعياً، داخل حزب الشعب وفي أول مؤتمر له في الجزائر (نيسان/أبريل1947) بالموافقة لهم على تكوين المنظمة السرية بهدف الإعداد للثورة المسلحة، ونجاحهم في مثل ذلك المطلب.

كما إن هذه السلبيات وغيرها، هي التي ستكون كذلك وراء نجاحهم بعد سنتين فقط من تكوينهم لتلك المنظمة(عام 1949)، لا في جمع وتخزين الكثير من الأسلحة فحسب، بل وفي التجنيد والتكوين السياسي والعسكري الملائم للعديد من المناضلين استعداداً للكفاح المسلح. وهو التكوين الذي أثبت نجاعته من خلال الهجوم الذي قاده البعض من أفراد هذه المنظمة على مكتب بريد وهران (عام 1949)، وذلك ضمن خطتها لجمع الأموال الضرورية لمثل ذلك الكفاح.

كما إن تلك السلبيات هي التي ستكون أخيراً وراء استعجال «المنظمة السرية» في مطالبة الحزب بعد ذلك (عام 1950)، بوضع حد لحالة الانتظار وبالسماح لها في الشروع في الكفاح المسلح ضد العدو، الذي رأت أنه لا يمكن أن يرحل إلا بالقوة عن الجزائر.

وأمام استمرار الحزب، الذي كان منشغلاً من جديد بالجري وراء لعبة الانتخابات الاستعمارية (عام 1941)، في مماطلة المنظمة وموافقته (هذا بالرغم من مواقفه الجديدة لها، في اجتماعه الثاني بالأصنام (الشلف)، 1948) على مشروعها الثوري ذاك، وهو المشروع الذي حاول من دون جدوى إشراك كل من حزب الاستقلال (المغرب)، والحزب الحرّ الدستوري

التونسي فيه، ونجاح المستعمر في اكتشافها (آذار/مارس1950)، وفي إلقاء القبض على حوالى 400 من مناضليها، وهروب الآخرين إلى الجبال أو إلى خارج الجزائر، فإن بعض قيادات ذلك الحزب لم يجدوا من حل لتلك المطاردة الشرسة التي كان يقودها المستعمر ضد هذه المنظمة، سوى مطالبتهم بإنكار كل صلة لهم بالحزب، أمام المستعمر، بل وبتسليم أنفسهم للشرطة الاستعمارية إذا تطلب الأمر كذلك، وذلك بحجة المحافظة على سلامة الحزب[31].

في مثل هذه الظروف التي ارتاح لها المستعمر، والتي لم يزدها استفحال أزمة الحزب (حزب الشعب) وصراع قيادته على الزعامة (عام 1953)، وهو الصراع الذي لم يزد سلطته الأدبية إلا سقوطاً في نظر رجال المنظمة السرية، راح هؤلاء الآخرين يبحثون، بعيداً عن هذا الحزب عن غيره من الأحزاب الوطنية الأخرى، وعن طريق جديد للخروج بالقضية الوطنية من ذلك المأزق وذلك الانقسام وتلك الفوضى التي أصبح فريسة لها، وذلك من خلال إعادة الاتصال في ما بينهم، وإعادة تنظيمهم لصفوفهم وتكوينهم في النهاية للجبهة «الثورية للوحدة والعمل» (آذار/مارس 1953)، وسط معارضة العديد من قيادات ذلك الحزب، الذي كانت الانقسامات بين زعيمه مصالي الحاج ولجنته المركزية تزداد اتساعاً لتتفجر في وضح النهار، في صيف 1954 ولتفجره في النهاية.

ولم تزد الأحداث التي بدأ يشهدها المغرب العربي، وغيره، والتي تمثلت في شروع كل من الشعبين الشقيقين، التونسي والمغربي، في مقاومتهما الوطنية المسلحة ضد المستعمر نفسه، إثر عزل هذا الأخير للباي المنصف (عام 1952)، وحله لحكومة «شنيق»، واغتياله للزعيم النقابي «فرحات حشاد» وعزله، ونفيه للملك «محمد الخامس» (عام 1953)، ثم الانتصار الساحق الذي حققه الشعب الفيتنامي، ضد المستعمر نفسه كذلك في ديان ـ بيان ـ فو (أيار/مايو 1954)، رجال تلك المنظمة، إلا تصميماً على السير بمشروعهم الثوري ذاك حتى النهاية، وعلى تجاوز كل تلك

---

(31) A. Mahsas: le Mouvement Rév., pp. 284 - 327.

الخلافات التي كانت تعصف بحركة الانتصار الذين فشلوا في وضع حد لها[32].

إن هذه السلبيات وغيرها هي التي ستكون وراء ذلك التمزق وتلك النزاعات الداخلية التي ستبدأ منذ سنة 1953، في زعزعة هذا الحزب.. حزب الشعب لتنتهي به إلى الانفجار، نهائياً وعملياً، في صيف 1954، من خلال ذلك الانقسام الذي ستعرفه قيادته، ممثلة في كل من مصالي الحاج وفي اللجنة المركزية.

ولن ينجح الطرح، المتأخر جداً، لمثل تلك النظرية أو المذهب المتكامل والمنشود، والذي تمثل في تلك الدراسة، التي نشرتها صحيفة الأمة الجزائرية[33] في خريف 1954، في الحيلولة من دون تفاقم ذلك الانقسام فضلاً عن وقفه.

لقد أكدت تلك الدراسة لأول مرة، بوضوح وموضوعية، من بين ما أكدت، على «ضرورة التفرقة بين وطنية الغرب الأوروبي الجائرة، وبين الوطنية المحررة للشعوب المضطهدة وفي مقدمتها وطنية الشعب الجزائري الذي لا يضطهد الفرنسي لأنه مسيحي بل لأنه مستعمر..».

كما أكدت تلك الدراسة كذلك على موقف الحركة الوطنية الجزائرية من الأقليات الأوروبية، التي وعدتها «باحترام حقوقها الطبيعية وضمان العيش لها في الجزائر المستقلة في أمان ووفقاً للقوانين، ولكن دون امتيازات خاصة في نفس الوقت».

وأخيراً، فإن تلك الوثيقة «أكدت على مفهومها لتلك الديمقراطية، التي تعني لديها الديمقراطية السياسية متمثلة في مشاركة الشعب بأكمله في الحكم، وفي تسيير شؤونه المحلية، وفي مراقبته المستمرة لاحترام الحريات الأساسية نظراً إلى أن الإكراه والظلم إنما يتولدان عن الخلل الذي يصيب

---

(32) أنظر شهادات كل من لخضر بن طوبال، ومصطفى بن عودة وغيرهم في مجلة الباحث، العدد 2، تشرين الثاني/ نوفمبر 1984، الجزائر.

(33) M. Lachraf: *l'Algérie, Nation et Société*, p. 199.

الحياة الاجتماعية، غير القائمة على العدالة. ولذلك «فإن الديمقراطية، وكما تضيف الوثيقة، تشكل، هدفاً اجتماعياً كذلك وفي نفس الوقت..».

إن مثل هذا الطرح المذهبي المتأخر للقضية الوطنية، الذي جاء بعد انقطاع هذا الحزب عن الجماهير، والذي لم يكن يهدف في النهاية، وكما لاحظ بعض الباحثين، سوى محاولة إضفاء طابع مثالي على ذلك العجز الذي وصل إليه[34] إذا كان يؤكد، وكما يضيف أولئك الباحثون، وجود تيار داخل حركة الانتصار. كان يريد دفع هذه الحركة إلى طريق أكثر واقعية وأكثر فاعلية، فإن مثل ذلك الطريق لم يعد في مستوى المرحلة التي وصل إليها الشعب الجزائري وقضيته الوطنية، لأنه كان طريقاً يعتمد، بدوره في تحققه، على خطة بعيدة المدى لم تعد تتلاءم مع ما وصلت إليه القضية الوطنية (وهذا بالرغم من كل تلك الانقسامات الحزبية والمناورات الاستعمارية ودعاة اليأس والقنوط)، من نضج؛ فضلاً عن تناقضه مع الظروف الجديدة التي بدأت تشهدها منطقة المغرب العربي من خلال تلك المقاومة الوطنية التي كان كل من الشعبين الشقيقين التونسي (عام 1953) والمغربي (عام 1954)، قد شرعا فيها ضد المستعمر، والتي لم تزد رجال المنظمة السرية خاصة، والشعب الجزائري عامة، إلا مرارة لتخلفهم عن الشروع بدورهم في مثل تلك المقاومة[35].

وهكذا فإنه في الوقت الذي كانت فيه أزمة «حركة الانتصار»، قد انتهت في صيف 1954، ومن خلال المؤتمرين المتعارضين، اللذين عقدهما على التوالي كل من مصالي الحاج واللجنة المركزية في الجزائر العاصمة في آب/ أغسطس 1954 (هورنو، بلجيكا، تموز/يوليو 1954)، واللذان انتهيا، بإقصاء كل طرف منهما للآخر، وبنزع صفة الشرعية الحزبية عنه، كان فيه رجال المنظمة السرية، قد حولوا، أثناء اجتماع للبعض منم في الجزائر العاصمة[36]

(34) المرجع السابق.
(35) بيان أول نوفمبر.
M. Harbi: *le FLN: Mirage*, p. 93.
A. Mahsas: *le Mouvement Rév.*, p. 284.
(36) مجلة الباحث: العدد 3، تشرين الثاني/ نوفمبر 1985، الجزائر.

(صلامبييه، المدنية حالياً، 5 تموز/يوليو 1954) منظمتهم السرية تلك، إلى «لجنة (22)»[37]، وهي اللجنة التي انتخبت لجنة من خمسة أعضاء، كلفوا بجمع بقية أعضاء المنظمة السرية، وبتدريبهم عسكرياً وبالاتصال كذلك بأعضاء الوفد الخارجي للمنظمة (سويسرا 7 تموز/يوليو 1954) بهدف إبلاغهم بقرارات ذلك الاجتماع، ومطالبتهم بالعمل على توفير الدعم المادي والمعنوي الخارجي للثورة[38] وبخاصة من جمال عبد الناصر (مصر).

وهكذا فإنه أمام يأس لجنة(22) من أي إصلاح لوضعية حزب (حركة الانتصار)، قرر مكتب الخمسة، الذي انبثق عن ذلك الاجتماع، والذي خلف عملياً تلك اللجنة، (5 تموز/يوليو) 1954، حل اللجنة المركزية للحزب، وتخصيص مالية هذا الأخير، للكفاح المسلح. كما قرر كذلك ضرورة مغادرة بعض أعضاء هذه اللجنة الجزائر إلى الخارج.

ولقد استطاعت لجنة الخمسة[39] التي ستسمي بعد ذلك نفسها بـ «مجلس الثورة»، والتي تعززت بانضمام كريم بلقاسم (ممثل منطقة القبائل المعروفة بولائها التقليدي لمصالي الحاج) لها، خلال بضع اجتماعات لها بالشرق الجزائري، (آب/أغسطس 1954)، ثم في الجزائر العاصمة (ببوانت ـ بيسكاد ـ)، الرايس حميدو حالياً، (10 تشرين الأول/أكتوبر1954)، أن تنطلق بسرعة في الإعداد للترتيبات العملية لاندلاع الثورة، وهي الترتيبات التي تمثلت من بين ما تمثلت في تقسيم الجزائر إلى مناطق (عمليات ثورية عسكرية)، وفي تحديد تاريخ وساعة اندلاع الثورة، وإطلاق اسم جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنيين، على جناحيها السياسي والعسكري، وفي إعداد ومناقشة البيان السياسي والعسكري للثورة.

ولقد تم كل ذلك في وقت كانت فيه الأحزاب الوطنية السياسية، قد عادت، بعد فشل تلك الوحدة الجديدة التي سبقت الانتخابات التشريعية (آب/أغسطس 1951)، والتي تجسدت من خلال «الجبهة الجزائرية للدفاع عن

---

(37) A. Mahsas: *le Mouvement Rév*, p. 283.

(38) M. Harbi: *le FLN: Mirage*, p. 93.

(39) A. Mahsas: *le Mouvement Rév.*, p. 283.

الحقوق الأساسية للإنسان»[40] (والتي جمعت، إضافة إلى حركة الانتصار، كلاً من جمعية العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان والحزب الشيوعي الجزائري)، والتي أفشلها المستعمر، بدورها، وذلك من خلال تزييفه الجديد لتلك الانتخابات إلى أساليبها النضالية المعهودة ضد المستعمر.

ففي الوقت الذي ظل فيه حزب «الشعب ـ حركة الانتصار» فريسة لتلك الأزمة التي ازدادت به عصفاً، وكانت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تواصل فيه، بعد هجرة رئيسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى المشرق (عام 1951)، وتولي الشيخ العربي التبسي رئاستها، السير في خطها الإصلاحي، وكان فيه الاتحاد الديمقراطي للبيان، ينتظر من دون جدوى من «بيار مانديس فرانس» رئيس وزراء فرنسا حلاً للقضية الجزائرية على الطريقة التونسية (الاستقلال الذاتي)، وكان فيه الحزب الشيوعي الجزائري، منشغلاً مثل الحزب الشيوعي الفرنسي، وغيره من الأحزاب الشيوعية الأوروبية الغربية الأخرى، بالقضايا الداخلية الاجتماعية والسياسية، لفرنسا (المشاكل الاجتماعية، إعادة ترتيب أوضاع فرنسا الدولية بعد فقدها للهند الصينية، وبعد استقلال كل من تونس والمغرب، إضافة إلى إعادة تسليح ألمانيا الغربية.. الخ) وفي الوقت الذي كان فيه «جاك شوفالييه» (نائب الجزائر العاصمة... في الجمعية الفرنسية) قد بدأ يلوح فيه للشعب الجزائري، ومن جديد، ببعض الإصلاحات الاجتماعية (إنجاز بعض المجمعات السكنية... وتوفير بعض مناصب العمل)، وكان فيه وزير الداخلية الفرنسية «فرنسوا ميتران» يصرح إثر جولة له في الجزائر (12 ـ 16 تشرين الأول/أكتوبر 1954)، أن السلام يسود الجزائر. ووسط تلك الحيرة التي خيمت على الشعب الجزائري المشدود بعنف من جهة إلى تلك الوضعية المزرية التي وصلت إليها أحزابه الوطنية، ولتلك المقاومة الوطنية المسلحة التي بدأها كل من الشعبين الفييتنامي ضد المستعمر (أيار/مايو 1954)، من جهة أخرى، تنطلق في تلك الليلة الخالدة من ليالي أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954، ومن على قمم الجبال الجزائرية الشامخة، وعلى دوي رصاص البنادق

---

(40) M. Harbi: Ibid, p. 18.

التحريرية لأبنائه، أنشودته الخالدة «من جبالنا طلع... صوت الأحرار ينادينا للاستقلال»، مؤكدة بذلك انتصار الفكرة الوطنية الحربية على الأيديولوجيا الاستعمارية، ومعلنة للدنيا بأكملها عن اندلاع ثورته المسلحة وعن نهاية الاستعمار، لا فوق أرض الجزائر فحسب، بل وفوق كل أرض تواجد فيها، وفي مقدمتها الأرض العربية والأفريقية.

«وهكذا انطلقت تلك الطلائع في تلك الليلة التاريخية الخالدة في الهجوم على قلعة استعمارية عاتية، تلك القلعة التي تتطلب لوحدها كتاباً كاملاً، لتحليلها، كتاباً تتزاحم فيه أرقام المستشفيات والمدارس والطرق والسدود، إلى جانب تلك الطوابير الطويلة من العاطلين ومن السكان الأميين، والمجاعات المستفحلة في الأرياف بخاصة، والاستغلال الأسود لأولئك السكان ؛ إضافة إلى احتقار الفرنسي الأصيل، الذي يعني الإسباني، والإيطالي، والمالطي، كما يعني الألزاسي، للجزائري «الويش» و«البليد»، واللقيط، الذي لا يخشى سوى العصا التي يجب قيادته بها وحدها»[41].

(41) y. Courrière: *les Fils de la Toussaint*, p. 46.

القسم الثاني

نوفمبر:
إبداعية الفكرة ومحدودية تأويلاتها

تمهيد

بيّنا في **القسم الأول** من هذه الدراسة، ومن خلال فصوله **الثلاثة**، الظروف المختلفة، السياسية والثقافية، التي كانت وراء ميلاد الفكرة الوطنية الجزائرية الحديثة والمعاصرة، والتي تعد ثورة نوفمبر1954، أبرز مظاهر نضجها وفاعليتها على حد سواء.

إن هذه الميزة التي تميز بها حدث نوفمبر 1954، عن غيره من كل الانتفاضات والمقاومات الوطنية التي سبقته، والتي مكنت له دون غيره من اقتلاع جذور الاستعمار ورموزه نهائياً من الجزائر ومن العديد من الدول الأفريقية والعربية، هي ما ستحاول هذه الدراسة، من خلال وقوفها عند الأحداث العملية التي جسدت ذلك الحدث، فوق أرض الواقع الوطني، وعند الفكرة التي كانت وراء تلك الأحداث، والتي شكلت في النهاية ملامح فلسفة نوفمبر وجوهرها وإبرازها.

إن تلك الفلسفة، التي يحاول بعض الباحثين، الأجانب بخاصة، نفيها، جملة وتفصيلاً، من خلال تلك الإشكالات، حتى لا نقول الإشكاليات، هي ما حاولنا في الفصل السادس من هذا القسم، حلها وصولاً لا إلى تأكيد تواجد تلك الفلسفة في ثورة نوفمبر.. بل وإلى تميزها عن العديد من الفلسفات الثورية المعاصرة لها وبخاصة الفلسفة الماركسية التي ظلت حتى وقت قريب الممر الإجباري لكل حركة ثورية في العالم الثالث.

الفصل الرابع

نوفمبر: الانفجار.. والآثار

أولاً: المفاجأة.. وتجلياتها الأولى

1 ـ المستعمر ونوفمبر

في الوقت الذي كان فيه الشعب الجزائري يقف مذهولاً أمام ذلك الطريق المسدود الذي وصلت إليه حركته الوطنية، نتيجة لذلك الانقسام الذي ضرب أهم أجنحتها ممثلة في «حزب الشعب ـ حركة انتصار الحريات الديمقراطية»، وحائراً أمام ما كانت تنذر به، بالنسبة إليه وإلى وطنه، من ضياع، جاء حدث (ثورة) نوفمبر 1954 وكأنه البركان العنيف الذي تفجر فجأة، والذي لم يلبث، أن حجب وراء تدفق شظايا حممه الملتهبة والمتدافعة، كل تلك الانقسامات ورموزها، واضعاً بذلك حداً لذلك الوعي الوطني المأزوم، ودافعاً إياه إلى مستوى ذلك الواقع الجديد الذي بدأت صورته ترتسم أمامه من خلال زخم تلك الأنوار والنيران.

لقد شكل حدث نوفمبر، بالنسبة إلى الشعب الجزائري، دعوة جديدة وجادة له، لا فقط لوضع حد لما يزيد على أكثر من قرن وربع القرن من هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وعسكرية، لكمشة من الأوروبيين (ما يقرب من مليون)، عليه، وهو الذي تجاوز عدده الثمانية ملايين والنصف، بل وللعمل كذلك وفي الوقت نفسه على استعادة دولته الوطنية التي قيل إنه لم يعرفها في الماضي ولن يستطيع القيام ببنائها في الحاضر أو في المستقبل؟!

وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار الفرنسي يدخل، أمام تلك الوضعية

المزرية التي وصل إليها الشعب الجزائري وقضيته الوطنية، مرحلة جديدة من العمل على إحكام قبضته عليه، بخاصة بعد ضياع الهند الصينية منه، واستقلال كل من تونس والمغرب، وذلك من خلال تصعيده لإجراءاته القمعية ضده؛ وفي الوقت الذي كان فيه «المعمرون»، أو بالأحرى، المخربون، على حد تعبير جمال الدين الأفغاني[1] يصرون أكثر من أي وقت مضى وبدورهم، على الإبقاء على الوضع القائم في الجزائر، وبأي ثمن وعلى سحق كل معارضة وطنية من شأنها التشكيك في ذلك الوضع، فضلاً عن تهديده، جاء نوفمبر وكأنه الرعد[2] الذي دوى فجأة، وسط تلك السماء الاستعمارية «الهادئة» أو «الصافية» مؤكداً للمستعمر، أن تلك الأزمة التي توهم أنها نهاية الحركة الوطنية قد تحولت إلى بداية جديدة لكفاح الشعب الجزائري، الذي لم يقف هذه المرة، وكما أعلن البيان الأول الذي قدم ذلك الحدث، عند عتبات الاستجداء السياسي لاستعادة حريته المصادرة، كما فعل ذلك في الماضي ومن دون جدوى، ولن يتوقف بكفاحه هذا، وكما اضطر إلى مثل ذلك من قبل، إلا بعد ظفره بمثل تلك الحرية وذلك الاستقلال، وهذا مهما كانت التضحيات والتكاليف[3].

بذلك كان نوفمبر بالنسبة إلى المستعمر أشبه بالهزة النفسية العنيفة المؤذنة ببداية مرحلة جديدة من هزات فكرية ونفسية، قبل أن تكون عسكرية وسياسية، جديدة، جاءت منذرة بالتقويض النهائي لعالمه، الذي فرضه على الشعوب بالحديد والنار، والذي ظن أنه لن يبيد أبداً، وبميلاد عالم جديد، على أنقاضه، عالم الشعوب، لا في الجزائر فحسب، بل وفي كل مكان كان قد نجح في فرض وجوده فيه، وبخاصة في أفريقيا والعالم العربي.

لقد جاءت تلك العمليات العسكرية، التي شكلت بداية حدث نوفمبر 1954، لأول مرة وبالرغم من اختلاف أشكالها وأصحابها بتلك الصورة الموحدة في الزمان، بقدر ما جاءت كذلك ولأول مرة، وعكس كل الحركات

---

(1) محمد باشا المخزومي: **خاطرات جمال الدين الأفغاني**، بيروت، لبنان، 1931، ص27.

(2) M. Harbi: *La guerre commence*, p. 27.

(3) بيان أول نوفمبر 1954.

الوطنية المسلحة التي سبقتها[4] بتلك الصورة الشاملة التي امتدت إلى أنحاء الوطن كافة، باستثناء بعض المناطق الجنوبية، وهي العمليات التي نكتفي هنا بالإشارة إلى البعض منها في ما يلي :

ـ ففي المنطقة العسكرية الأولى (الأوراس)، تم ببسكرة، بقيادة «عباس لغرور»، تم إحراق المحول الكهربائي للمدينة، كإشارة للمجاهدين بها ببدء العمليات الثورية، الذين ما لبثوا أن انطلقوا بالتالي لاحتلال مركز شرطة المدينة ونزع سلاح أفراده، إضافة إلى قتلهم لبعض الاستعماريين والعملاء.

ـ وفي «باتنة» لم تنجح فرق «بوشمال» و«الحاج لخضر» و«إبراهيم بوستة»، في إتمام المهام التي أوكلت إليهم (مهاجمة مركز الدرك ومخزن الأسلحة)، نظراً إلى علم العدو بانطلاق مثل تلك العمليات في المدن المجاورة، لذلك اكتفوا، أثناء انسحابهم، وبعد فشلهم، بقتل جندي استعماري وملازم في الدرك.

ـ وفي بلدية «تيغامين» (الأوراس)، هاجم المجاهدون بقيادة، «بشير شيحاني»، حافلة للركاب وقتلوا «قائد مشونش» الذي كان متواجداً فيها، إضافة إلى قتلهم، خطأ، لمعلم أوروبي كان بصحبة زوجته.

ـ أما في المنطقة العسكرية الثانية، (قسنطينة)، فقد هاجم المجاهدون مركز الجندرمة في «السمندو» ومحطة للبنزين في «الخروب».

ـ وفي المنطقة العسكرية الثالثة (القبائل) ثم تخريب كل وسائل الاتصال ومخازن الفلين بالمنطقة، إضافة إلى عدة هجومات في كل من «عزازقة»، و«ذراع الميزان»، و«برج منايل» وغيره، انتهت بقتل بعض حراس الغابات.

ـ وفي الولاية الرابعة (الجزائر)، تم، بقيادة «زوبير بوعجاج»، و«مرزوقي محمد»، و«بلوزداد عثمان»، و«قاسي عبد الرحمان»، تفجير قنبلة في مقر «إذاعة الجزائر» وأخرى في معمل الغاز ومخزن البترول ؛ في حين فشلت عملية نسف المركب الهاتفي للجزائر.

---

(4) حاول الأمير عبد القادر بخاصة، توسيع مقاتلته للمستعمر إلى كل أنحاء الوطن ولكنه لم يوفق لأسباب لا مجال لذكرها هنا.

ـ أما في «البليدة»، فقد تمت بقيادة «رابح بيطار»، محاولة للهجوم على ثكنة عسكرية، انتهت باستشهاد ثلاثة من المجاهدين وجرح بعض الآخرين. كما تمت في «بوفاريك»، وتحت قيادة «عمار أوعمران» و«سويداني بوجمعة»، عملية تخريب لثلاثة جسور، إضافة إلى نجاح بعض المجاهدين الآخرين في الحصول على بعض الأسلحة من المركز العسكري، وإلى إحراق مخزن للتعاونية الفلاحية، وهذا في الوقت نفسه الذي أحرق فيه مجاهدون آخرون مخازن الورق في «بابا علي».

ـ وفي المنطقة الرابعة (وهران)، (التي ستؤدي في ما بعد دور القاعدة الخلفية، لقاعدة الناظور، التي ستكون واحدة من بين العديد من القواعد التي ستقيمها الثورة في ما بعد في الدول العربية الشقيقة، والتي سيتم من خلالها تمويل المجاهدين بالسلاح)، التي فشلت فيها محاولة للهجوم، بقيادة «بن علاّ الحاج» على ثكنتها العسكرية، فقد تمت بقيادة «رمضان عبد المالك»، مهاجمة مركز الدرك في «الظهرة» وقتل معمر أوروبي وحارس في «كاسيني»، «سيدي علي»، وأخذ بندقية هذا الأخير.

ـ كما تمت كذلك وفي الليلة نفسها وبقيادة «أحمد زبانة» (حميدة)، عملية قتل حارس أوروبي للغابات بمدينة «سيدي بلعباس»، ومحاولة لتخريب خط السكة الحديدية الرابط بين «عين تموشنت» و«وهران»[5].

إن هذه العمليات (30 عملية تقريباً) الخاطفة، المتنوعة، والمؤثرة، كشفت من بين ما كشفت، عن الاستراتيجية العسكرية الجديدة لثورة نوفمبر 1954، وهي الاستراتيجية القائمة على عدم البحث عن المواجهة العسكرية المباشرة وغير المجدية مع العدو، (كما فعلت ذلك من قبل ومن دون جدوى العديد من الانتفاضات الوطنية السابقة)[6]، هي التي جعلت المستعمر، لا يرى فيها، أو لا يريد أن يرى فيها، سوى مظاهر لحركة إرهابية معزولة مكاناً وعدداً، ناسياً أو متناسياً، أن مثل تلك الأعمال «الإرهابية»، ما كان يمكنها أن تتحول إلى ثورة عارمة لو لم تجد في

(5) M.Harbi: *La Guerre Commence*, pp. 20 - 24.

(6) El - Moudjahid, N 9, 20 août, 1957, N 26, juillet 1958.

ممارسته القمعية التي ظل يقودها باستمرار، وطيلة أكثر من قرن وربع، ضد الشعب الجزائري، الأرضية الملائمة لمثل ذلك التحول.

2 ـ التفسيرات الاستعمارية والحلول

أ ـ التفسيرات

إن هذا الموقف الاستعماري من ثورة نوفمبر 1954، الذي سيظل يميز تعامل رموزه السياسية والعسكرية، بل والثقافية، ولمدة غير يسيرة، يقودنا إلى التوقف بالتالي عند بعض التفسيرات التي أعطتها تلك الرموز الاستعمارية لهذا الحدث، وللحلول التي اقترحتها له كذلك في الوقت نفسه.

وحين نعرض لتلك التفسيرات التي أعطاها المستعمر لحدث نوفمبر، فإنه لابد أن نلاحظ بادئ ذي بدء، أن ما يميز الحدث التاريخي عن غيره من الأحداث الأخرى، ليس جدته أو غرابته فحسب، بل نوعيته ومدى ديمومة آثاره، ومدى شساعة انعكاساته المادية والنفسية في الزمان والمكان(7).

ولأن تلك هي صفة الحدث التاريخي، وهي الصفة التي لا يكتسبها مثل ذلك الحدث من تلقاء نفسه، بل من خلال فرضه لنفسه على المدرك له والمتأثر به، على أنه كذلك، فإننا نفهم بالتالي كيف استطاع حدث نوفمبر بدوره، أن يجبر المستعمر في النهاية على التخلي عن كل تلك التفسيرات التي أعطاها له (والتي سنعرض في ما بعد لنماذج منها)، وأن يضطره، بالتالي وفي النهاية كذلك، إلى التعامل معه وفقاً للحقيقة، بل للحقائق الجديدة، التي جاء معلناً عنها ومجسداً لها كذلك في الوقت نفسه.

من هنا فإنه إذا كان المستعمر لم ير في البداية، وكما سنرى في حدث نوفمبر1954، سوى عملاً إرهابياً لمجموعة «خارجة عن القانون»(*) منعزلة وغريبة عن الشعب الجزائري تارة(8)، ومؤامرة خارجية «عربية ـ مصرية» تارة،

---

(7) H. Berr: *La Synthèse en histoire*, A. Michel, paris 1953,pp. 66 - 76.

(*) Colette et Francis Jeanson: L'Algerie hors - la loi, seuil, paris, 1955.

(8) *Le Monde*, 5/11/1954.

و«شيوعية عالمية» تارة أخرى[9]، ضد تواجده في الجزائر[10] وضد فرنسا والغرب[11] بل وضد العالم الحر[12]. فإن مثل تلك التفسيرات لن تصمد طويلاً أمام الحقائق الجديدة التي جاء نوفمبر كاشفاً عنها[13].

هكذا أكد رئيس وزراء فرنسا بيير ـ مانديس[*] ـ فرانس، أمام الجمعية الوطنية الفرنسية، في جلستها بتاريخ 12/ 11/ 1959، «أن تلك الأحداث» مؤامرة تقف وراءها مصر الناصرية، التي اقترح عليها مساعدات اقتصادية وتقنية مقابل تخليها عن مساندة متمردي الجزائر.

إن الموقف نفسه وقفه «روجيه ليونار»[**] الحاكم العام للجزائر، بعد ذلك بيومين (15/ 11/ 1954) حين وصف بدوره الحدث نفسه «بالمشروع الناصري المدبر والذي يهدف إلى زعزعة الجزائر واستقرارها وسلمها، وذلك من خلال محاولة نشر نفس الفوضى الدموية السائدة في البلدان المجاورة لها» (تونس ـ والمغرب). «ولكي نعرف ذلك جيداً، يكفي، وكما أضاف، أن نستمع إلى النداءات الملتهبة لبعض الإذاعات الخارجية، للوقوف على العلاقات المباشرة التي تربط بين من هم وراء هذا المشروع وبين المجموعات الإرهابية التي قامت بما قامت به في الجزائر».

وكذلك فعلت مصلحة المخابرات الفرنسية التي أعلنت أن كل شيء بتعلق بهذه الأحداث يتم في القاهرة.

إن مثل تلك التفسيرات، وغيرها، المتجاهلة لتلك السلسلة من الكفاح المسلح، والسياسي، الذي ظل الشعب الجزائري يواجه به الاحتلال الاستعماري منذ اليوم الأول لاستعمار أرضه، لن تصمد طويلاً أمام ذلك الاقتحام المتصاعد

---

(9) l'Aurore, 5/11/1954; *le Figaro*, 5/11/1954; cf: Annie Rey Goldzeiguer, la Gauche française et le 1er novembre 1954,in, Retentissement de la révolution algérienne, CNEH, Alger, ENAL - GAM, 1984.

(10) R. Girardet: *l'idée coloniale*, pp. 337 - 344.

(11) A. R.Goldzeiguer, la gauche française et le 1er Nov, 1954,in retentissement, p. 251.

(12) R. Girardet: *l'idée coloniale*, pp. 337 - 344.

(13) M harbi: *la Guerre commence*, p. 27

(*) P. M. France.

(**) R. léonard.

الذي شكلته حقيقة نوفمبر ضد ذلك العالم الاستعماري الذي بدأ يتهاوى تدريجياً أمام زحفها، وكأنه قصر من ورق!

وإذا كان ذلك هو الموقف الرسمي للاستعمار الفرنسي، وللعديد من الدول الأوروبية الغربية المؤدية له، من حدث نوفمبر 1954، فإن موقف معظم الصحافة الفرنسية، اليمينية واليسارية، (التي لم تورد البعض منها هذا الحدث أصلاً، إلا بعد بضعة أيام من حدوثه، في حين أكتفت البعض الأخرى، بنقل ما أوردته وكالات الأنبياء العالمية)، لم يختلف كثيراً عنه.

فصحيفة **لوموند**، اعتبرت ذلك الحدث، الذي أرجعته إلى الفساد الإداري والاقتصادي الاستعماري، من فعل منظمة خارجية عن المنظمات الوطنية الجزائرية، وعن السكان (الجزائريين) كذلك، مؤكدة أن إذاعة «صوت العرب» لم تعد تميز بين المحميات (التونسية والمغربية)، وبين الجزائر الفرنسية[14].

إن أطروحة المؤامرة الخارجية أو الداخلية نفسها (المعمرين)[15] هي التي تبنتها العديد من الصحف الأخرى، وذلك من أمثال، **لورور**[16]، **وفرانس أوبسرفاتور**[17] **والبوبولير**[18] **ولومانيتي**[19] من حدث نوفمبر ومن صانعيه، حيث أكدت كلها وبالرغم من اختلاف أيديولوجياتها «إن الجزائر هي فرنسا» رافضة بذلك، شكلاً ومضموناً، كل دلالة وطنية له.

ولا يغير من هذه الحقيقة كثيراً محاولة بعض الصحف والدوريات الفرنسية، القليلة، وذلك من أمثال **الليبرتير**[20] **وتيموانياج كريتيان، والكنار ـ أنشيني، والأزمنة الحديثة وإسبري، ولكسبريس، وكومبا**، التلمس الموضوعي

---

(14) *Le Monde*, 5/11/1954.

(15) *l'Humanité*, 18/11/1954.

(16) *l'Aurore*, 5/11/1954.

(17) *France-Observateur*, N 234, 4/11/1954.

(18) *le Populaire*, 3/11/54.

(19) *l'Humanité*, 13/12/1954.

(20) R. Goldzeiguer, *la gauche française et le 1er Nov, 1954, in retentissement*, de la Rév. Alg. p. 252.

لهذا الحدث الذي يشكل، وكما أكدت ذلك الصحيفة التروتسكية، الليبرتير، الدلالة والأبعاد نفسهما اللذين شكلتهما حرب الهند الصينية[21]، حيث إنه يعبر عن الكفاح نفسه الذي تقوده اليوم شعوب شمال إفريقيا ضد نفس المستعمر.

وكذلك فعلت الأحزاب السياسية الفرنسية، اليمينية منها واليسارية، الراديكالية منها والمعتدلة، وهذا باستثناء الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي ظل مع ذلك، وبالرغم من موقفه المبدئي المعادي للاستعمار في الجزائر وفي غيرها من البلدان الأخرى، متخلفاً بالنسبة إلى مواقف العديد من الأحزاب الشيوعية الأوروبية الأخرى التي سلمت العديد منها ومنذ أول وهلة[22]، بالدلالة الموضوعية لحدث نوفمبر، والمتمثلة في رفض المستعمر للمطالب الوطنية لغالبية الجزائريين[23].

غير أن عجز مثل هذه المواقف الفرنسية الموضوعية، إلى حد مّا، عن فهم حدث نوفمبر 1954، وفشلها بالتالي، ولمدة غير يسيرة، في تصحيح مثل تلك التفسيرات الاستعمارية، الضالة والمضللة، فضلاً عن التأثير في النتائج العملية التي ترتبت عنها، والتي تمثلت في تلك المواجهة الشرسة التي سيحاول المستعمر التصدي لهذا الحدث من خلالها، هو الذي يجعلنا نتحفظ بالتالي إزاء تلك الآراء التي تذهب «إلى أن انفجار نوفمبر كان متوقعاً من طرف المستعمر الفرنسي ولكنه استقبل من لدنه، وكما يضيفون، في مجال دلالات خالٍ من كل واقع»[24]. أي أنه لم يستقبله كحث ثوري لأن الجزائر لم تكن بالنسبة إليه مستعمرة، بل امتداداً للأرض الفرنسية كما توهم وأوهم.

كما إن عجز تلك المواقف، هو الذي يجعلنا نتحفظ كذلك إزاء تلك الآراء الأخرى التي تؤكد أن حدث نوفمبر، وإن لم يكن متوقعاً من طرف

---

(21) *Le Libertaire*, 4/11/1954.

(22) أعلنت العديد من الأحزاب الشيوعية، وخاصة الروسية، والإيطالية واليوغوسلافية وألمانيا الشرقية، منذ عام 1955، عن استعدادها المبدئي لمساعدة المقاتلين الجزائريين (مؤتمر القاهرة 1955.)

(23) A.R.Goldezeiguer, la gauche française et le 1er Nov, 1954, in retentissement, p. 252.

(24) M. Harbi: *la Guerre Commence*, p. 25.

المستعمر، إلا أنه كان مع ذلك متواجداً لديه في صورة تكهنات غامضة[25].

وآية ذلك أن التوقع، وكما نعلم جميعاً، بالنسبة إلى أي حدث، مادياً كان أو معنوياً، كما إنّه لا يكون إلا في الواقع[26]، ومن خلال دلالته المعنوية أو المادية فيه، فإن تلك الدلالة حينما لا تجد، خاصة عندما تكون غير سارة بالنسبة إلى متلقيها، لا تنعدم، بالرغم من ذلك، من واقعه نتيجة لموقفه الانفعالي وغير الطبيعي والرافض لها، بل تدفع فقط، ذلك الملتقي غير الطبيعي لها، إلى نوع من السلوك الغريب تجاهها متمثلاً، خاصة، في محاولة تغييب أو إعدام إدراكه لها وللواقع المجسدة له، كما هو الحال في ظاهرة الإغماء، وغيرها من العديد من الظواهر المرضية النفسية الأخرى، الذي ترى فيه المدرسة التحليلية النفسية الوجودية[27]، الوسيلة الوحيدة لإعدام مثل ذلك الحدث في مجال الوعي الإنساني.

كذلك فإن التكهف حين يصرّ صاحبه، وكما فعل المستعمر، بعد تحول موضوعه إلى واقع، على اعتباره عكس ذلك، فإنه يتحول بالتالي إلى ما يشبه الهلوسة أو الانفصام بالنسبة إليه[28].

ب ـ الحلول

أمام مثل هذا الموقف، المرضي والمكابر، الذي وقفه المستعمر من حدث نوفمبر 1954، والذي لم يحل دونه، في الوقت نفسه، ومن دون المسارعة للعمل على مواجهته بكل الوسائل المادية والمعنوية المتاحة له، وكم كانت كثيرة بالنسبة إلى إمكانيات الشعب الجزائري، فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي، ذلك التناقض الذي سيميز سلوك المستعمر تجاه الحدث نفسه.

ذلك ما تؤكده على أي حال تصريحات المسؤولين الفرنسيين وفي مقدمتهم تصريح «بيير مانديس ـ فرانس» رئيس وزراء فرنسا، يوم 12/ 11/ 1954، أمام

---

(25) Ch. R. Ageron: in Retentissement, pp. 161 - 169.

(26) A. Lalande: Vocab, p. 993.

(27) Cf: J. P. Sartre: Esquisse d'une théorie des émotions, édit Herman, paris, 1939.

(28) Dictionnaire de la psychologie, *Larousse*, paris, 1967, pp. 140 - 268; J. Drever: The penguin Dictionary of psychology, London 1982, pp. 115 - 258.

الجمعية الوطنية الفرنسية والذي أعلن فيه «أنه لا مجال للتساهل حينما يكون الأمر متعلقاً بالدفاع عن السلم الداخلي للأمة (الفرنسية) وعن وحدة وتكامل الجمهورية، فالمقاطعات الجزائرية تشكل، وكما أضاف، باب الجمهورية الفرنسية (نحو أفريقيا) والجزائر فرنسية منذ زمن طويل، وبشكل لا رجعة فيه..». «إن كثيراً من النواب قد حاولوا تشبيه السياسة الفرنسية في الجزائر بالسياسة الفرنسية في تونسو في المغرب، وأنا أؤكد هنا أنه لا يوجد أي تشبيه أكبر خطأ من هذا التشبيه.. ففي الجزائر هناك فرنسا.»[29] إن الموقف نفسه وقفه معظم الساسة والرسميون وشبه الرسميين، الفرنسيين، وهذا ابتداء من الجنرال «ديغول» حتى «فرانسوا ميتران» (توفي 1996)، ومروراً بكل الرموز الحزبية الفرنسية بمن فيهم الاشتراكيون الذين اعتبروا أن حل «المشكل الجزائري» لا يتحقق إلا عن طريق وصول الاشتراكيين إلى الحكم في فرنسا[30].

والحزب الشيوعي الذي، وإن كان قد أدان عمليات القمع الاستعماري في الجزائر، إلا أنه أدان كذلك «مؤامرة» و«مغامرة» نوفمبر! التي قال عنها إنها لا تتماشى واستراتيجيته، متجاهلاً بذلك، لا كل إشارة إلى جبهة التحرير الوطني الجزائري وإلى بيانها السياسي الأول فحسب، بل وكل إشارة كذلك إلى الأمة الجزائرية[31].

ولن يغير من هذه الحقيقة كثيراً، تلك التفسيرات والتبريرات، المتأخرة التي سبقت الإشارة إليها، لبعض ممثلي هذه الرموز الأخيرة (الشيوعية) التي استندت، من بين ما استندت، في موقفها ذاك من نوفمبر 1954، ومن حق الجزائر في الاستقلال، إلى الغموض الذي أحاط بالرجال الذين كانوا وراء هذا الحدث،إضافة إلى رغبتهم في عدم صدم الرأي الفرنسي[32] كما قالوا، بالمطالبة المباشرة[33] بمثل ذلك الاستقلال، وذلك لسبب بسيط،

---

(29) J.O.R.F., Débats parlementaires, 12/11/1954.

(30) *le populaire*, 13/2/1954.

(31) *l'Humanité*, 03/11/1954. Et du 18/11/1955.; Cahiers du communisme, février, 1955.

(32) *l'Humanité*, 29/10/1984.

(33) *le populaire*, 15/11/1954, 13/12/1954.

وهو أن مثل ذلك الحق في الاستقلال، الذي طالب به بعد ذلك، قد ربطه، من جهة، بعدم وقوع الجزائر تحت ما أسماه، بالاستعمار الآخر، (العربي والمصري) وبالإبقاء على المواقع والمصالح الفرنسية في الجزائر من جهة أخرى..

بذلك مهدت معظم تلك الأحزاب للسلطات الفرنسية الأرضية للبدء، وبالموازاة مع تلك التصريحات، في حملتها القمعية الجدية ضد الشعب الجزائري، والتي تمثلت بصورة خاصة، في إلقاء القبض على العديد من العناصر الوطنية، وبخاصة المصالية منها، وشروعها في عمليات التعذيب للمواطنين الجزائريين «المشبوهين»، وحضرها للحزب الشيوعي الجزائري، وإيقافها لسير القطارات ليلاً. . . الخ.

أما على مستوى الداخلي الفرنسي، فقد دفعت السلطات الرسمية الفرنسية (كانون الأول/ديسمبر 1955) بآلاف الجنود الإضافيين نحو الجزائر للانضمام إلى الـ 56 ألف جندي، وإلى آلاف « القومية» المتواجدين من قبل بها، وليصل بذلك عدد أولئك الجنود، في شهر شباط/فبراير 1955، إلى ما يزيد على ألـ 83 ألف جندي، وإلى 400 ألف في تموز/يوليو 1956، ثم إلى مليون سنة 1962.

كما طالبت السلطات الفرنسية بعد ذلك من البرلمان الفرنسي في جلسته بتاريخ 31/ 3/ 1955، بمنحها سلطات استثنائية خاصة لمواجهة الوضع الطارئ في الجزائر، وهو الطلب الذي لقي موافقة من كل الاتجاهات السياسية في ذلك البرلمان، بما فيها الحزب الشيوعي الفرنسي (13/ 9/ 1955)[34]، إضافة إلى كل هذه الإجراءات، قامت السلطات الفرنسية بحملة دعائية وإعلامية تجاه الرأي العام الفرنسي والجزائري والدولي، لتقديم حدث نوفمبر في تلك الصورة التي توهمت، أو حاولت أن توهم، أنها له.

وإذا كان ذلك هو الموقف الرسمي والحزبي الفرنسي من حدث نوفمبر، فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي لموقف «المعمرين» منه.

---

(34) تاريخ حصول الحكومة الفرنسية على هذه السلطات كان 12/ 3/ 1956.

لقد وقفت غالبية أولئك «المعمرين» الذين ظلوا يعيشون، وكما سبق أن أشرنا على وهم تفوقهم الجنسي والعسكري، تجاه الشعب الجزائري، المتخلف والمهزوم، والذي لا يمكن بالتالي أن يطالب بالحقوق نفسها أو الامتيازات التي قالوا إنها حكر عليهم وحدهم، من دون غيرهم، من حدث نوفمبر، موقف المعادي والرافض له جملة وتفصيلاً.

ذلك ما تؤكده على أي حال، ليس تلك التصريحات الهستيرية والعدوانية للعديد منهم حول حدث نوفمبر 1954 فحسب، بل ويؤكده كذلك «اللوبي» الذي أقامه رؤساء «بلدياتهم» بوحي من «بورجو» و«مايير»، و«أميدي فروجيه»، وغيرهم من غلاة «المعمرين» والذي استهدف، ضرب أي محاولة لأي حل سلمي محتمل للقضية الوطنية الجزائرية؛ وكذلك فعلت كل الصحف التابعة لهم في الجزائر بخاصة وفي فرنسا عامة(35).

وإذا كان البعض من المثقفين منهم، وذلك من أمثال «أ.شولي» و«توفني» و«م. أودان» و«أ.مندوز»، و«ج. تيون» و«ف. إيفتون» و«ج. عمروش»، و«م.م. بونتي»، و«تيتيغان» و«ش. ر. أجرون »؛ ومن رجال الدين وذلك من أمثال «الأسقف دوفال» و«سكوتو»، و«كيريلان» و«برينغر» و«بودوريسك»، وغيرهم كثيرون قد عملوا بالرغم من اختلافاتهم الأيديولوجية، على التقريب بين الجزائريين وبين أولئك «المعمرين»، وصولاً إلى تكوين «مجموعة جزائرية متعددة الأجناس والثقافات»، فإنهم قد فشلوا في مشروعهم ذاك، وذلك بسبب اتهام كل من الجزائريين والمعمرين لهم بلعب دور حصان طروادة(36).

إن هذا الطابع التشنجي الذي ميز ردود فعل أولئك «المعمرين»، لا يعبّر وكما أكد ذلك بعضهم(37) عن الخوف تجاه ما ينذر به نوفمبر من مخاطر بالنسبة إليهم فحسب، بل إنه يعتبر كذلك وفي الوقت نفسه عن إدراكهم لانتهاء عالمهم ذاك الذي سبقت الإشارة إليه، ذلك العالم الذي أقاموه على أشلاء ودماء ودموع الشعب الجزائري، والذي جاء نوفمبر معلناً عن نهايته.

---

(35) نذكر من بين هذه الصحف: *Le Journal d'Alger, la dépêche de Constantine, L'écho- -d'Oran.*

(36) M. Harbi: *la Guerre Commence*, pp. 33 -34.

(37) Ibid.

ثانياً: موقف الصحافة الفرنسية

أما الصحافة الفرنسية، اليمينية واليسارية على حد سواء، فإن معظمها، حتى لا نقول كلها، لم تفعل ومن خلال تقديمها، وكما فعلت السلطات الرسمية الفرنسية، لحدث نوفمبر على أنه حرب أهلية وليست ثورة تحريرية، سوى عكس المواقف الرسمية والحزبية الفرنسية، حيث طالبت كلها، بعد أن تجاهلت بيان أول نوفمبر 1954 بمعاقبة «الإرهابيين»[38]، و«الخارجين عن القانون»[39]، وبوضع حد لتلك المؤامرة العربية الشيوعية[40].

بذلك رفضت تلك الصحافة، اليمينية منها واليسارية والمعتدلة على حدّ سواء، وبالرغم من التأكيدات، «اللّفظية» للبعض منها[41] على معارضتها لاستعمال العنف، شكلاً ومضموناً، كل استقلال للجزائر وكل عمل من شأنه أن يمكنها من الظفر به، مكتفية في أفضل الأحوال، وكما فعلت صحيفة **البوبولير** اليسارية[42] بالمطالبة بإدماج الجزائر نهائياً بفرنسا.

ولأن وقائع التاريخ، وكما ذهب هيغل، وشخصياته الكبرى تتكرر مرتين[43] ولأن مثل ذلك التكرار، إذا كان، وكما أكد «كارل ماركس»، يأخذ في المرة الأولى شكل التراجيديا، فإنه لا يكون في المرة الثانية إلاّ في شكل المهزلة القذرة[44]، فإننا نقول إن تلك المواقف الاستعمارية من حدث نوفمبر1954، إذا كانت قد توهمت أنها قادرة، ومثلما فعلت ذلك بالنسبة إلى ثورات وانتفاضات الشعب الجزائري الماضية، على سحق هذا الحدث بدوره، فإن ذلك الوهم سرعان ما تبدد بالنسبة إليها وإلى كل رموزها السياسية والعسكرية والإعلامية، ليتحول إلى مهزلة بل وإلى «عار» على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي «جان ـ بول ـ سارتر»[*].

---

(38) *le populaire*, 3/11/1954.

(39) Ibid.

(40) Ibid.

(41) *le Monde*, 5/11/1954.

(42) *le populaire*, 14/12/1954.

(43) G.W.F. Hegel: *la Raison dans l'Histoire*, p. 177.

(44) كارل ماركس: الثامن عشر من برومير: لويس نابليون، دار التقدم، طشقند، 1976، ص، 10.
Loren Assoum: Marx et la répétion historique, le 18 Brumaire, PUF, paris, 1975.

(*) cf: J.P Sartre: *Notre déshonneur en Algérie*.

ذلك ما أكده على أي حال نوفمبر، وأحداثه، التي بدأت تقتحم، وكما سنرى، شيئاً فشيئاً، الوعي والرأي العام الفرنسيين لتضطرهما في النهاية إلى التسليم به وبهذه الحقائق.

وآية ذلك، أن حدث نوفمبر، بالنسبة إلى الرأي العام الفرنسي، الذي لم يستفق بعد، من آثار هزيمة «ديان ـ بيان ـ فو»، وكأنه لم يشكل بالنسبة إليه مشكلة حقيقية ولم يثر بالتالي، أي قلق لديه، سرعان ما دفع من خلال بداية تجلي تأثيراته السياسية والعسكرية والنفسية، (سقوط كل من حكومة «بيير ـ مانديس ـ فرانس» و«إدغار فور»، و«غي موليه». . . و«بفيلمان»[*]، ثم سقوط الجمهورية الرابعة بأكملها (1958)، دعوة الاحتياطيين إطالة مدة الخدمة العسكرية، شهادات بعض المجندين الشباب حول ما يجري في الجزائر، ورفض آخرين منهم، الخدمة العسكرية. . زيادة الضرائب. .الخ)، الرأي العام إلى الإدراك أن فرنسا قد دخلت فعلاً الحرب في الجزائر.

وإذا كانت السلطات الرسمية الفرنسية قد عملت كل ما في وسعها على تقديم تلك الحرب له (أي الرأي العام الفرنسي) على أنها حرب من أجل الدفاع عن «الجزائر الفرنسية»، فإن ضغط نوفمبر وأحداثه سيتكفلان بدفعها إلى التخلي تدريجياً، وبالرغم من كل تلك القوات العسكرية الرهيبة التي جندتها لمواجهته وإجهاضه، (ومن معارضة غلاة الاستعمار كذلك)، إلى التخلي عن مثل تلك الأسطورة، وإلى التسليم في النهاية، وكما سنرى، بتلك الحقيقة التي جاء عاملاً من أجلها، والمتمثلة في استعادة الشعب الجزائري. . لا «للجزائر الجزائرية»[45]، بل للجزائر العربية المسلمة الحرة.

في مثل هذا الجو بدأت الصحافة الفرنسية، اليمينية منها واليسارية على حد سواء، تكتشف وتكشف (عام 1956)، خاصة من خلال كتابات بعض المثقفين الفرنسيين المضادين للاستعمار، حقيقة نوفمبر وأبعاده، وعن الحلول الموضوعية والممكنة لما جاء مطالباً به وحاملاً له من تغييرات ومن حقائق

(*) Guy Mollet; Pfilman; Ed - Faure.

(45) قصد المستعمر بالجزائر الجزائرية، جزائر مستقلة عن فرنسا شكلياً، والغلبة فيها للمعمرين.

جديدة وجذرية، والمتمثلة أساساً،في ضرورة رفع يد فرنسا الاستعمارية عن الجزائر مهما كلفها ذلك من آلام[46].

وفي مثل هذا الجو كذلك، تحول الرأي العام الفرنسي، وبعد أقل من سنة فقط من حدث نوفمبر، ونتيجة إلى تلك التضحيات البشرية والمادية التي بدأ يفرضها عليه والتي فاقت، وكما سنرى، كل ما كان يتصور ويتوقع، من رأي عام غير مبالٍ بذلك الحدث، إلى رأي عام متمثل جيداً لحقيقته ولأهدافه، متخلياً بالتالي، وفي النهاية، عن أسطورة «الجزائر الفرنسية» التي ظلت تحكم طيلة ما يزيد على القرن والربع كل أبعاد وجوده وتواجده في الجزائر.

وإذا كنا نسلم بأن حاجة الرأي الفرنسي، (الذي ظل، وكما لاحظ بعض الباحثين، منذ عام 1939 يعاني من الحرب)، إلى السلام، كانت قوية إلى حد دفعت غالبية الفرنسيين إلى التضحية بأبناء وطنهم الجزائر، الذين أصبحوا يشكلون في نظرهم، العائق الأساسي لحل ذلك الصراع[47]، فإننا نلاحظ مع ذلك أن مثل تلك الحاجة ما كانت لتتبلور لديه في النهاية وبمثل ذلك الوضوح لولا ضغط نوفمبر.

فقد كان يجب انتظار أكثر من سبع سنوات، لكي يقتلع (نوفمبر) فرنسا من الجزائر ولكي يصل بغالبية الرأي العام الفرنسي إلى الاقتناع أن الجزائر لم تعد جزءاً من فرنسا، تلك الجزائر التي ظل فيها أهلها، الأصليون، ولمدة أكثر من قرن من الزمن، مجبرين على لعب دور ثانوي فيها، اللهم إلا إذا استثنينا بعض الانتفاضات التي كانوا يقومون بها بين حين وآخر. . والتي لم تكن فرنسا تسمع عنها أي شيء[48].

ثالثاً: المثقفون الفرنسيون ونوفمبر

حين نعرض لموقف المثقفين الفرنسيين من حدث نوفمبر 1954، فإنه لا يجب أن ننسى أننا لا نتحدث عن شريحة اجتماعية مهمة ومؤثرة مثل أي

---

(46) CH. R. Ageron: *in Retentissement de la Rév. Algérienne*, p. 169.

(47) Ibid.

(48) la Guerre d'Algérie, Dossier, *le Monde*, p. 6.

شريحة ثقافية أخرى في مجتمعها فحسب، بل وعن شريحة تشبعت أكثر من العديد من تلك الشرائح، ومنذ ما يزيد على القرنين من الزمن، بمبادئ ثورتها الوطنية، ثورة عام 1789، ثورة الحرية، وإعلان حقوق الإنسان، التي اتخذ منها أولئك المثقفون، ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم، إحدى مرجعياتهم الأساسية، وعملوا كذلك، ومنذ ذلك الوقت على توطيد مبادئها داخل فرنسا وعلى التعريف بها خارجها.

غير أن المفارقة الكبرى التي لا يلبث أن يصطدم بها، ومنذ أول وهلة، كل من يحاول الاقتراب من أولئك المثقفين، وبخاصة الذين نظّروا، منهم لتلك الثورة، هي ذلك التناقض الصارخ في مواقفهم من تلك الحرية، خاصة حينما تكون متعلقة بحرية شعب آخر غير الشعب الفرنسي، بين طروحاتهم النظرية حولها، وبين مواقفهم العملية منها.

لكل ذلك فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي، إذا ما رأينا الآثار العملية لمثل تلك المواقف المتناقضة تنعكس على هذه الثورة بدورها.

ذلك ما يؤكده على أي حال تسخير بعض المثقفين الفرنسيين لمبادئ الثورة الفرنسية، وهذا منذ السنوات الأولى لها، كغطاء لمحاولة اغتصاب حرية العديد من الشعوب الأوروبية وغير الأوروبية، ومن ضمنها الشعب الجزائري.

إن هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق لمواقف المثقفين الفرنسيين من تلك الثورة، هي التي دفعت بالعديد من المفكرين، من المعاصرين لها أولاً، ومن غيرهم بعد ذلك، وفي مقدمتهم مثقفي الشعوب التي تعرضت بعدها للاستعمار الفرنسي، إلى التحذير، ومنذ الأيام الأولى لها، وكما فعل فرانسوا الثاني(عام 1804) «أمير النمسا»، من العواقب الوخيمة التي ستنجم عن انتصارها، بالنسبة إلى الشعب الفرنسي أولاً ولغيره من الشعوب الأوروبية بعد ذلك[49].

وذلك ما وقع فعلاً ومن خلال ذلك الإرهاب وتلك المآسي التي ما لبث أن بدأ يتعرض لها الشعب الفرنسي تحت ظلال تلك الثورة، ومن خلال تلك الموجة الاستعمارية التي ما لبثت هذه الأخيرة أن وجهتها، بعد ذلك، ضد

---

(49) R. Girardet: *l'idée Coloniale*, p. 28.

العديد من الدول الأوروبية (النمسا.. روسيا.. ألمانيا.. إيطاليا.. إسبانيا.. الخ) في ما عرف بالحروب النابليونية، وضد البلدان غير الأوروبية: (مصر.. فلسطين.. الجزائر.. الخ)[50].

ضمن هذا المنظور، فإن مونتيسكيو (تـ 1755)، الذي يعد من أبرز المنظرين للثورة الفرنسية، حينما يعترف في كتابه المعروف **روح القوانين** أن الهدف من المستعمرات هو التجارة في ظروف أفضل (مع البلدان المستعمرة) من تلك التي تجري مع الدول المجاورة، لا يفعل سوى تأكيد تلك الحقيقة.. حول تلك الثورة[51](*).

وكذلك فعل «أ. توكفيل» (تـ 1859)[52]، ذلك الرمز الفكري الآخر لتلك الثورة، الذي لم يمنعه إعجابه بالثورة الأمريكية وبالنظام الديمقراطي البريطاني اللذين عاشهما عن قرب، من تبني المنظور نفسه الذي تبناه معاصره «مونتيسكيو».

لكل ذلك، فإن «توكفيل» حينما يتظاهر بالتساؤل: هل السيطرة التي تفرضها فرنسا على إيالة الجزائر ـ مفيدة؟! فإنه لا يغالط بمثل ذلك التساؤل إلا نفسه، لسبب بسيط وهو أنه لم ينظر إلى تلك الفائدة من منظور الشعب الجزائري، بل من منظور فرنسا التي يعلم جيداً أنها ما كانت لتقدم على مثل ذلك الاستعمار لو لم تجد فيه مثل تلك الفائدة.

إن الموقف نفسه وقفه ف.هوغو (تـ 1885) الذي اعتبر بدوره (وبالرغم من تمجيده للإمام عبد القادر) استعمار فرنسا للجزائر بمثابة الملحمة الشرعية التي تحمل عنوان «استعمار إفريقيا» لسبب بسيط، كما أضاف، وهو أن فرنسا إذا كانت قد لجأت إلى الحرب، فإن ذلك الأمر ضروري للحضارة! وأن ما

---

(50) L. Dumont - Wilden: l'évolution de l'esprit européen, Flammarion, paris, 1937, p. 77.
P. Caxotte: *la Révolution Française*, paris, Fayard, 1947, pp. 27 - 270 - 301 - 323 -77.
J. Michelet: Scènes de la révolution française, col/10/18, paris, 1972, pp. 103 - 239.

(51) Montesquieu: l'esprit des lois, (diverses éditions).

(*) قال أمام تلك المجازر الاستعمارية: اقتلوهم كلهم فإن الله سيعرف أحبابه.. «tous, tuez-les Dieu reconnaîtra les siens»

(52) Travaux du parlement international des écrivains, Strasbourg, 24/11/1994, compte - rendu in la tribune, Alger, 24/11/1994.

يطمئنها بالتالي، هو إيمانها بأنها تحمل في يدها النور والحرية، وتعلم كذلك أن احتلالها لشعب همجي يعني بداية الأنوار بالنسبة إليه؟! تماماً كما إن حرقها له يعني بداية الأنوار بالنسبة إليه![53]

كما إن الموقف نفسه وقفه كل من «جان - جاك - روسو» (تـ 1778) و«فولتير» (1778) و«لامارتين» (تـ1869) وغيرهم من أدباء وفلاسفة الأنوار، الذين عرفتهم فرنسا الثورة منذ القرن الماضي، وذلك انطلاقاً من نزعتهم التمركزية الأوروبية ومن تلك المفاهيم الإثنية العنصرية المترتبة عنها، والتي تمثلت من بين ما تمثلت في **البدائي الطيب**، (روسو) والتركي الهمجي السفاح، والعربي الجلف والبليد!

من مثل هذه اللغة البسيطة في ألفاظها، الخطيرة في معانيها، تغذى الأدب الكولونيالي واستلهم نزواته وخرافاته. (أندري جيد. .[¤]. ومن مثلها كذلك تغذت الفكرة الاستعمارية الفرنسية الحديثة التي يعد كل من «ف. غارنييه»، و«بريفوست بارادول»، و«جول دوفال»، (تلميذ سان سيمون)، و«لوروي بوليو»، و«غابريال شارم»، و«لوي بيرتراند»، و«م. رامبو»، و«إتيان أوجين»، وغيرهم، بعض نماذجها)[54] وتحولت إلى عقيدة، لن تزيد فرنسا «الثورة» في النهاية إلاّ تورطاً في الاستعمار.

ولم يشذ الفكر المسيحي الفرنسي، ممثلاً بصورة خاصة في الكاردينال «لا فيجري»، والأب «رابواسون»، و«شارل - دو - فوكو»، و«مارسيل ميرل»، وغيرهم كثيرون، الذين لم يترددوا، وكما اعترف بذلك أحد رجال الكنيسة الفرنسية[55]، في تحويل الصليب إلى غطاء للسيف، والراهب إلى جندي متقدم لجيوش الاحتلال، عن هذا الموقف.

وإذا كان بعض المثقفين الفرنسيين وذلك من أمثال «م.هاردي»، و«جول

---

(53) l'Evénement (Journal), 1849, cité par M.C Sahli: l'Emir Abdelkader, mythes français et réalités algériennes, EAP, Alger, 1988, p. 23.

(¤) Cf: A. Gide L'immoraliste (1902); Si le grain ne meurt (1924).

(54) R. Girardet: l'idée Coloniale, pp. 23 - 38.

(55) Ibid, pp. 38 - 380 - 388.

هارمون»، و«ف. شايل»، الخ، ومن رجال الدين، وذلك من أمثال «فيردييه»، و«فيتوريا». . الخ، قد عارضوا الفكرة الاستعمارية الفرنسية، فإن تلك المعارضة، فضلاً عن أنها كانت غامضة ومتذبذبة، لم تكن لمبدأ الاستعمار، بل لعدم فائدته الاقتصادية تارة[56]، ولتكاليفه البشرية تارة[57]، ولممارسته اللاإنسانية تارة أخرى[58].

وإذا كان آخرون قد حاولوا، خاصة بعد سقوط نظرية «التفوق الجنسي الأوروبي» على يد كل من «كيسغرلنغ»، و«مورغان» (عام 1925) إضفاء سمة إنسانية تارة[59]، وتحضيرية تارة[60]، وأخلاقية تارة أخرى، على ذلك الاستعمار، فإن مثل تلك «التجميلات» له، لا يجب أن تنسينا أن كل فكر يسلم بمبدأ الاستعمار، أو يقف منه موقف الحياد، وكما فعل «غوستاف فلوبير» و«غي ـ دو ـ موباسان»، و«جول لوميتر» وغيرهم كثيرون، فكر استعماري.

ولذلك فإن البعض من المثقفين، اليساريين بخاصة، من أمثال «جان ـ جوريس» و«رينانديل»، و«أ. موريس»، و«أ.بايبه»، الذين تأثروا بمثل تلك التبريرات الكاذبة للاستعمار وبتلك المقاربات المغلوطة له، لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم وفي النهاية، في موقف أولئك الاستعماريين نفسه.

إن ذلك يعني من بين ما يعني، أن قلة قليلة من المثقفين الفرنسيين وذلك من أمثال «ج. كومب» و«فليسيان شالي»، وغيرهم، هي التي أدانت بوضوح، الاستعمار، مبدأ وممارسة، باعتباره سرقة، وقتلاً، وجرائم مرتكبة ضد السكان الآمنين على حد تعبير «ج ـ غوسد».

وهذه القلة القليلة، إذ فعلت ذلك، إنما فعلته انطلاقاً من قناعتها الراسخة «بأن الفكر، الجدير بهذا الاسم، لا يمكنه السير وراء الاستعمار من دون أن يناقض جذرياً نفسه ومن دون أن يخون مبادئه، لسبب بسيط وهو أنه لم يحدث

(56) Ibid, pp. 92 - 98.
(57) Ibid, pp. 92 - 286.
(58) Ibidl, pp. 258 - 259.
(59) Ibidl, p. 254.
(60) Ibid, pp. 255 - 258.

أبداً للفكر أن أخضع الذات للموضوع، والغاية للوسيلة، إلا في عهود انحطاطه».

وبالرغم من محدودية الأثر العملي لمثل هذه القلّة المثقفة المضادة للاستعمار، فإنها قد دفعت مع ذلك رموزه، إلى مراجعة وسائله لا مبادئه، وإلى البحث عن غطاءات وعن تبريرات جديدة له، باسم «الحرية»، والخطر الشيوعي والإسلامي والعربي، ضد العالم الحر[61]، و(حق الإنسانية في الاستفادة من ثروات الأرض) (أ. سارو)، وعظمة فرنسا (الجنرال ديغول).

إن ذلك يعني أنه كان يجب انتظار ما يقرب من السنة من ضغوط حرب التحرير التي كان الشعب الجزائري قد شرع فيها ومن دون توقف منذ أول نوفمبر 1954، لكي تبدأ تلك الرموز الاستعمارية الفرنسية، الرسمية(ف. ميتران. أ. سافاري. ريمون كارتييه)، وغير الرسمية، (شارل بيغي، لوي برتراند، وأندري مالرو. . . الخ) في التسليم بتلك القناعة المؤلمة وبتلك «الجرعة المرّة من الحقيقة على حد تعبير، «ر. آرون»[62]، حول كل من الاستعمار ومن مطلب الشعب الجزائري للتحرر منه.

تحت مثل هذه الظروف رفعت تلك الرموز شعارات تطوير الاستعمار إلى تعاون[63] وإلى «تجمعات» سياسية أفريقية ـ فرنسية.

وتحتها كذلك رفعت تلك الرموز نفسها قبل ذلك شعار «الرحيل للتمكن من البقاء بصورة أفضل» (ف. ميتران)[64].

ولأننا أول من يفهم، وكما سبق أن أشرنا في مقدمة هذه الرسالة، مدى الألم والمرارة التي سببّها بالنسبة إلى فرنسا عامة، «ضياع الجزائر»، بالذات، نظراً إلى تلك الروابط الطويلة والمتعددة، التي ربطت ولا تزال تربط بينهما، فإننا سنتوقف بالتالي، لا عند تلك التنبؤات الهستيرية الكارثية لكل تلك الرموز الاستعمارية بمستقبل «الجزائر المستقلة»، «ج. سوستيل»، م. دوبري»،

---

(61) Ibid, p. 262.

(62) R. Aron: la *Tragédie Algérienne*, paris, plon, 1957, p. 77; *l'Algérie et la République*, paris, plon, 1958, p. 147.

(63) R. Girardet: l'idée Col, pp. 297 - 298.

(64) F. Mitterand:Présence française et Abandon, paris,plon,1957, pp. 240- 45.

والتي أكدت أنها ستغرق في الفوضى والظلام والهمجية[65]، بل عند موقف المثقفين ورجال الدين الفرنسيين الذين عاشوا حدث نوفمبر، انفجاراً وانتشاراً وانتصاراً وآثاراً، بصورة حاولت أن تكون موضوعية وواقعية.

ولأننا أول من يفهم كذلك أن تلك المواقف التي بدت جميعاً، وعلى الرغم من اختلاف توجهاتها الأيديولوجية، وكأنها تسبح ضد ذلك التيار الاستعماري العارم، قد تطلبت، بالرغم من ضعف تأثيرها، من أصحابها الكثير من الشجاعة، أمام الاستفزازات الاستعمارية التي وصلت لا إلى حد الشتم والسجن والمطاردة فحسب، بل وإلى حد محاولات التصفية الجسدية والمعنوية لأصحابها، فإنه لا يسعنا هنا إلا أن نكرر تقديرنا لشجاعتها تلك ولمحاولتها البقاء وفية لمبادئها.

هكذا أدان البعض من تلك القلّة من المثقفين والصحافيين والأطباء والفنانين وممثلي دور النشر[66]، ومن رجال الدين كذلك، قولاً وعملاً[67]، الاستعمار، انطلاقاً من نزعتهم الثورية[68]، («إيمي سيزار»، و«أ. ميمي»، و«بول لنتن»، و«جان ـ بول ـ سارتر»، و«سيمون دو ـ بوفوار»، و«أ. منذور»، و«هنري سيمون»، و«روبير بارا»، و«برنانو»، و«جورج أرنو»، و«بيير ـ فيدال ناكيه»، و«كوليت»، و«فانسان مونتاي»، و«تيتغن»، و«موريس ميرلو بونتي»، و«جاك فرجيس»، و«جيزال حليمي»)[69] وبول ريكور، وإدغار موربن، ومسبيرو، وتيودور مونود.. الخ.

أما الآخرون من أمثال «بيير ـ هنري سيمون»، و«هنري مارو»، و«جورج أرنو»، و«كلود بورديه»، و«جان مارو»، و«جاك بيرك»، فقد أدانوا الاستعمار

---

(65) R. Girardet: *L'idée Col*, pp. 338.

(66) Les Editions sociales, les éditions du Minuit, les Edit, Maspéro, ect.

(67) R. Girardet: *L'idée Col*, pp. 305 - 307.
cf: Dossier.. *le Monde*: la guerre d'Algérie, pp. 189 - 194.

(68) خاصة من خلال ما عرف بحملة الحقائب.
(les Porteurs de Valise) Dossier le Monde, pp. 268 - 269.

(69) Ibid.
انظر أيضاً: رسالة «جان بول سارتر» (J. P. Sartre) أمام المحكمة العسكرية الفرنسية؛ *Le Monde 22/9/1960*.

نفسه انطلاقاً من نزعاتهم الإنسانية تارة، والواقعية، «ر. آرون»، تارة أخرى، ومن مضادتهم للحرب[70] (بيان المثقفين الفرنسيين ألـ 121، والاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين).

إن الموقف نفسه وقفته الكنيسة، ممثلة بصورة خاصة بـ «الكاردينال دوفا»، والآباء، «بيرنغر»، و«كيغيلان»، و«سكوتو»، و«دافيزيس»، و«تيسيية»، وفي منظمة «الآباء البيض»، و«البعثة (المسيحية) الفرنسية»، و«أخوات نوتر ـ دام دافريك»، وصحيفة **لاكروا**، و**تيموانياج كريتيان** كذلك، وذلك انطلاقاً من حرصها (أي الكنيسة) على البقاء وفية لمبادئها المسيحية والأخلاقية، من التشويه نتيجة لتلك الحرب القذرة التي يقودها المستعمر ضد الشعب الجزائري.

تبقى بعد ذلك مواقف متذبذبة لمثقفين فرنسيين آخرين معروفين، وذلك من أمثال «لوي ماسينيون»، الذي أنهى حياته (تـ 1962)، ممزقاً بين ارتباطه بعظمة فرنسا الاستعمارية، وبين تعاطفه مع شرعية الكفاح الذي يقوده الشعب الجزائري ضدها من أجل حريته؛ و«أ. كامو» (تـ 1960) الذي اختار، في النهاية، أمام مثل ذلك التمزق، أمه، (فرنسا) بالرغم من قناعته بعدالة قضية الشعب الجزائري[71]، وبالرغم من تأكيداته سنة 1945، «أن مستقبل فرنسا إنما هو في الاتحاد مع العرب»[*].

ذلك هو، بصورة مختصرة، ربما إلى حدّ الإجحاف، موقف المثقفين الفرنسيين من نوفمبر، وهي صورة يجب أن نلاحظ أننا قدمناها في الشكل الذي أصبح، وتحت مفعول ذلك الحدث الثوري لها منذ عام 1960.

وهذه الصورة إذا كانت تدل على شيء فإنها تدل على أن معركة المثقفين ضد الأيديولوجيا الاستعمارية الفرنسية لم تنجح في النهاية، وبالرغم من التضحيات وصدق جهود العديد من أطرافها، في بلورة فكر جديد معادٍ للاستعمار[72] أو قادر حتى على التأثير على محاولات امتداده إلى داخل فرنسا

---

(70) Dossier, *Le Monde*, pp. 265- 273.

(71) A. Camus: déclaration de Stockholm, 14/12/1957.

(*) Voir «interviewe à « Servir 1945»,in Essais,la Pléade,1972, p.1428.

(72) R. Girardet: *L'idée Col*, p. 397.

ذاتها[73]، تاركة بذلك مثل تلك المهمة لنوفمبر، الذي وإن كان لم ينجح بدوره في اقتلاع جذور تلك الفكرة من أذهان العديد من السياسيين والحزبيين الفرنسيين، الذين لا يزالون يرفضون، وحتى اليوم، أي تصور لفرنسا من دون استعمار، (مباشر أو غير مباشر)، (جان ـ ماري ـ لوبن مثلاً) ومن دون عنصرية، فإنه قد سدد، ومن خلال اقتلاعه لجذور ذلك الاستعمار، لا في الجزائر فحسب، بل وفي أفريقيا كلها، ضربة غير هينة لتلك القلعة الاستعمارية التي لا يزالون يقفون، واهمين، للدفاع عنها وعن استمرارها.

هكذا استيقظت الإينتيليجنسيا الفرنسية، خاصة المتشبعة منها بالفكرة الاستعمارية سنة 1962، مذهولة أمام نجاح الجزائر في استعادة استقلالها السياسي، لتكتشف أنها عارية، وأنها لم تعد تصنع التاريخ[74] كما فعلت ذلك طيلة القرن التاسع عشر.

رابعاً: اليهود الجزائريون ونوفمبر

إننا لم ندرج موقف اليهود الجزائريين من حدث نوفمبر 1954، ضمن مواقف المعمرين الفرنسيين وضمن مواقف الشعب الفرنسي كذلك. لا لأن موقفهم العام منه مختلف، بل لعدة اعتبارات إنسانية وتاريخية كان من المفروض أن تجعل موقفهم من ذلك الحدث، غير ذلك الموقف الذي وقفوه منه في النهاية.

فاليهود تواجدوا، كجالية مهمة، وكما يؤكد ذلك بن خلدون[75] في الجزائر، منذ القدم وعاشوا فيها، بمن فيهم أولئك الذين طردوا، مثل العرب، من الأندلس ومن العديد من الدول الأوروبية الأخرى، بصورة طبيعية مثل بقية الجزائريين.

وبالرغم من العديد من الأدوار السياسية، السلبية والخطيرة، التي ظلوا يلعبونها منذ ذاك الوقت، وحتى ثورة نوفمبر 1954، بالنسبة إلى مصير وإلى

---

(73) P. V. Naquet: les crimes de l'armée française, paris, Maspéro, 1980 introduction.

(74) Dossier, *le Monde*, la guerre d'Algérie, p. 191.

(75) ابن خلدون: كتاب: العبر، طبعة بولاق، مصر، 1867.

مسار الشعب الجزائري، والتي يعد تصدي الكاهنة (ق السادس للميلاد)، لرسالة الإسلام وحامليه، ودور كل من «بيكري»، و«بوشناق»، في التمهيد للاحتلال الفرنسي للجزائر(عام 1830)، ودور «ليون ـ روش»، التجسسي، في النهاية التي آلت إليها مقاومة الأمير عبد القادر (1832 ـ 1847)[76] وفي التمهيد لذلك الاحتلال، ودور «مردوش عمار» في معاهدة، «دي ـ ميشال» (عام 1834)، و«جوده بن دران» ، في معاهدة «التافنا» (عام 1837)، وبالرغم من انفصالهم عن الشعب الجزائري في تلك الظروف الاستعمارية الحالكة، وهو الذي اعتبرهم كأبنائه، بل وأوى العديد منهم، حين طردهم واضطهدهم أكثر من بلد أوروبي وفي مقدمتهم إسبانيا (عام 1492) وفرنسا بخاصة أثناء الحرب العلمية الثانية، (vichy) وغيرها، وذلك من خلال قبولهم الجماعي بمرسوم «كريميو» (عام 1871)[77]، الذي زعزع واقع التعايش السلمي الذي كان دوماً سائداً بينهم وبين الجزائريين، ووقوف البعض منهم إلى جانب المشروع الصهيوني الهادف إلى اغتصاب فلسطين (عام 1947)، ثم إلى جانب مشروع «منظمة الجيش السري» والمعمرين (عام 1961)، الهادف إلى تحويل شمال الجزائر، «أو الجزائر المفيدة» كما قالوا إلى «إسرائيل جديدة» في المغرب العربي[78]، فإن الشعب الجزائري عرف دوماً كيف يتجاوز، سماحة وإنسانية، كل تلك المواقف ويحتفظ في النهاية، لليهود بالمكانة نفسها التي ظلت دوماً لهم وسطه.

انطلاقاً من هذا المنظور كان ذلك النداء الذي وجهته ثورة نوفمبر منذ سنة 1956، إلى الجاليات الأجنبية عامة، وإلى الجالية اليهودية بخاصة والذي

---

(76) د. أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ج3، ص 10.

وانظر أيضاً: Charles Henry churchill: la vie d'Abdelkader, traduction, H. Habart, ENAL, Alger, 1981.

(77) جاء هذا المرسوم تلبية لطلب أسرة «روتشيلد»، مقابل مساعدتها المالية لنابليون الثالث بعد هزيمة «فرنسا» (1870)، أمام ألمانيا، في « معركة سودان» (Sedan).

(78) Nathan Winstock: le sionisme contre Israël, cahiers libres, paris, 1969, pp. 146 - 148.

El - Moudjahid: Numéro spécial (soumam), No. 4.

وأنظر أيضاً: خطاب «بيغين» رئيس وزراء إسرائيل أمام الكنيست في آب/ أغسطس 1982، بمناسبة اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان وذلك في: *Le Monde, 14 - 8 - 82.*

دعتها من خلاله، وبالرغم من مواقفها السلبية تلك تجاه الشعب الجزائري، وتجاه تلك المأساة الاستعمارية التي كان يتخبط فيها، إلى الإسهام إلى جانبه في بناء جزائر متسامحة وأخوية، ينعمون فيها، بالحرية والسلم كما كان الأمر في الماضي(79).

إن ثورة نوفمبر 1954، ما كانت لتتوجه بمثل ذلك النداء للجالية اليهودية الجزائرية بالذات، ممثلة في رموزها الدينية والسياسية، أو لتدعوها إلى الخروج عن صمتها وعن موقف المتفرج تجاه تلك المجازر الاستعمارية الجديدة التي بدأ يتعرض لها الشعب الجزائري، لو لم تعتقد أن اليهود تهمهم مثل بقية الشعب الجزائري، الجزائر وحريتها(80).

من هنا عودة ثورة نوفمبر 1954، إلى تذكير تلك الجالية مرة أخرى، ومن خلال بيان مؤتمر الصومام (آب/أغسطس 1956) بالمعاملات العنصرية التي تعرضت لها في أوروبا، وفي فرنسا بالذات، (وهي المعاملات التي يعد، وكما يضيف بيان الصومام، مواقف كل من «بوجاد» و«بيتان» و«فيشي» بعض نماذجها)، وإلى الثقة في الثورة الجزائرية، التي لم توجه إليهم وكما فعلت ذلك بالنسبة «إلى المعمرين» أي عملية من عملياتها، والوقوف علناً في وجه محاولات الاستعمار الهادفة إلى استعمالهم من أجل تبرير قمعه للشعب الجزائري، الذي لا يزال، مع ذلك يرفض التصديق بأنهم قد اختاروا نهائياً الوقوف ضده، وإلى جانب ذلك الاستعمار(81).

وإذا كان البعض من تلك الجالية قد وعى دلالة ذلك النداء وسلم بما يحمله من حقائق حول الماضي، ومن آفاق حول المستقبل، كما هو الحال بالنسبة إلى مجموعة يهود قسنطينة، التي أكدت ضرورة التعاون بين المسلمين واليهود والليبراليين الأوروبيين من أجل إفشال كل الاستفزازات الاستعمارية الهادفة، مرة أخرى، إلى تفجير الصراع بين المجموعتين الجزائرية والإسرائيلية، وإلى توطيد جو الثقة والصداقة بينهما، فإن مثل ذلك الموقف

---

(79) cf.A.Chouraqui: Histoire des Juifs de l'Afrique du Nord,diverses éditions,1968. voir aussi, El - Moudjahid: Numéro spécial (soumam).

(80) El - Moudjahid, ibid.

(81) El - Moudjahid, ibid.

قد ظل في النهاية بعيداً جداً عما كانت تتوقعه ثورة نوفمبر من أولئك اليهود[82].

وإذا كان البعض من اليهود الجزائريين وبخاصة اليساريين منهم، وذلك من أمثال «قروج» ومن اليهود الفرنسيين من أمثال، «ب.ف. ناكيه» و«أ. ميمي» و«هنري كوريال» (اغتيل في باريس سنة 1978)[83] و«هـ. علاق»، قد وقفوا قولاً وعملاً إلى جانب ثورة نوفمبر، فإن ذلك لم يؤثر كثيراً في موقف الجالية اليهودية الجزائرية التي ظلت في النهاية واقفة إلى جانب الاستعمار والمعمرين، وتعرضت بالتالي للمصير نفسه الذين تعرضوا له على يد تلك الثورة.

لكل ذلك فإنه لا يجب أن نستغرب بالتالي تلك المواقف الحذرة للشعب الجزائري عامة، ولرجال ثورة نوفمبر 1954 بخاصة، اتجاه يهود الجزائر، ولإدانة البعض منهم وكما فعل ذلك أحمد بن بلة، سنة 1962، لأحد صحافيي **المجاهد**، الذي سأل غولدا مائير ممثلة حزب «ألمابام»، ووزيرة خارجية إسرائيل، أثناء زيارتها «للبرازيل» (تموز/يوليو 1959) عن موقفها إزاء القضية الجزائرية؟ فقالت «إن حالة الجزائر جد معقدة، وأن أصدقاءنا الفرنسيين، والشعب الجزائري هو أيضاً صديقنا، سيصلون في النهاية إلى حل مطمئن لهما»[84]. وإلى تأكيد آخرين، (لخضر بن طوبال)، وفي السنة نفسها، أن الشعب الجزائري لن يقبل، وعكس ما فعل ذلك في الماضي، بتواجد أي يهودي، أو أوروبي، في أي منصب من مناصب المسؤولية في جزائر الغد المستقلة[85]، التي رحلوا عنها، غداة الاستقلال، لا كيهود بل كفرنسيين.

إننا لن نعرض هنا لموقف العديد من المثقفين في الدول الأوروبية بخاصة الغربية منها، فلا مجال لذكرهم كلهم هنا.

---

(82) F. Fanon: *les Damnés de la terre (les juifs d'Algérie)*. Paris Maspéro, 1959, pp. 142 - 148.
El - Moudjahid: Vol, I, pp. 73 - 74.

(83) Dossier, le Monde, la guerre d'Algérie, pp. 270 - 271.

(84) M. Harbi: *le FLN*, p. 232; El - Moudjahid, N, 46, 20/7/1959.

(85) M. Harbi: *le FLN*, p. 118.

خامساً: الشعب الجزائري ونوفمبر

1 ـ الجماهير الجزائرية ونوفمبر

قد يبدو الحديث عن موقف الشعب الجزائري ممثلاً بصورة خاصة في جماهيره، من حدث نوفمبر 1954، غريباً بالنسبة إلى البعض، نظراً إلى عراقة الثورة، فكرة وتطبيقاً، لدى تلك الجماهير خاصة منذ الاحتلال الفرنسي لوطنها، ونظراً إلى استحالة الفصل، لأي حدث ثوري أصيل، كالحدث الذي شكله نوفمبر 1954 عن تلك الجماهير.

غير أن تلك الغرابة سرعان ما تبدأ في التبدد، حينما نعلم أن البعض من الباحثين، خاصة الأجانب منهم، وفي مقدمتهم الباحثين الفرنسيين، قد عملوا، وباسم «الموضوعية»، على التشكيك في مثل تلك التلقائية الجماهيرية التي استقبل بها الشعب الجزائري ذلك الحدث، في حين وقف آخرون منهم، ومن ضمنهم باحثون وطنيون، وباسم «التاريخ وحقائقه» موقف الشك منها.

فالشعب الجزائري، وكما ذهب أولئك الباحثون الأجانب، قد استقبل حدث نوفمبر 1954، بإدخال رأسه بين كتفيه![86].

لكل ذلك، وكما أضافوا، واجه ذلك الحدث ولفترة غير قصيرة من الزمن، رفضاً من الجماهير الجزائرية وعدم التفاعل معه على أي حال.

«والشعب الجزائري، وكما كتب بدورهم البعض من الباحثين الوطنيين، بدا غير واثق من صدقية الحدث نفسه لكي يعطي من كانوا وراءه ثقته، بل إن البعض من الأوساط النخبوية الجزائرية لم تتردد، وكما أضافوا، في التأكيد أن الشعب الجزائري لم يكن يملك التحضير أو الحرية الضرورية للقيام بأي اختيار»[87].

«لكل ذلك، وكما أضافوا، لم يحظَ الثوار خاصة في البداية، وفي غالبية مناطق البلاد بأي حماية من طرف السكان. من هنا دلالة لغة تلك الفترة التي

(86) Y. Courrière: *les Fils de la Toussaint*, pp. 379 - 387.

(87) M. Harbi: *la Guerre Commence*, pp. 34 - 35.

كانت لا تتحدث إلا عن الخونة وعن المخبرين وعن «المناطق الخطرة» فحسب، بل إن تقارير القيادة العسكرية الفرنسية في وهران، قد أكدت «أن مجموعات من الفلاحين (الجزائريين) قد قامت بنزع أسلحة البعض من أولئك الثوار». «ولكل ذلك أيضاً لم تبدأ الجماهير الجزائرية في إدراك أنها قد دخلت من خلال ذلك الحدث، منطقة الزوابع، إلا في سنة 1955».

ولكل ذلك أخيراً فإن تحقيق وحدة الشعب الجزائري عامة، وقواه السياسية بخاصة، لم تتحقق على أساس القناعة أو الإيمان بالأهداف نفسها، بل عن طريق الابتزاز والمناورة والعنف[88].

ولأننا أول من يسلم مع كل أولئك الباحثين، الأجانب منهم والوطنيين على حد سواء، بالطابع الفجائي لحدث نوفمبر بالنسبة إلى الجماهير الجزائرية، وهي التي تعنينا هنا، وذلك نظراً إلى استمرار الآثار النفسية التي خلفتها لديها تلك المجازر الاستعمارية الوحشية التي قوبلت بها انتفاضتها في 8 أيار/مايو 1945، ولتلك الوضعية المتردية التي وصلت إليها في صيف 1954، الأحزاب الوطنية السياسية، وفي مقدمتها «حركة انتصار الحريات الديمقراطية» وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[89] من جهة، وللسرية التي أحاطت بقرار الشروع في العمل المسلح ضد المستعمر من جهة أخرى.

ولأننا أول من يسلم كذلك، بأن ثورة نوفمبر قد واجهت، ككل ثورة، بالعنف، العديد من الخونة ومن العملاء، ومن العديد من رموز الأحزاب السياسية الوطنية كذلك، فإن ذلك أيضاً كان أمراً طبيعياً لتحقيق الوحدة الوطنية ولتجنيد كل طاقات الشعب الجزائري وتوحيدها في تلك المعركة المصيرية بالنسبة إليه.

غير أن كل ذلك لا يجب أن يعني أننا نشارك تلك الآراء في تشككاتها وشكها في موقف الجماهير الجزائرية من تلك الثورة.

إن هذا الموقف لا ينطلق، وكما قد يتوهم البعض من أولئك الباحثين،

---

(88) Ibid, p. 49.

(89) د. أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء**، ج، 2، ص 65.

من عاطفة وطنية شوفينية وضيقة (وأي وطنية ليست عاطفية؟)، كما إنه لا ينطلق كذلك من حرص على تزكية التاريخ الرسمي الذي يريده البعض اليوم كتاريخ وحيد لنوفمبر، فهذه الدراسة أول من يعتقد أن التاريخ الإستراتيجي، فضلاً عن فلسفته، لم يكتب بعد، بل إنه ينطلق من العديد من الحقائق حول الثورات وحروب التحرير عامة، ومن ضمنها الثورة الجزائرية، ومن الاعترافات الضمنية والمتأخرة كذلك، لأولئك الباحثين الرسميين، وغيرهم، والمناقضة لطروحاتهم السابقة تلك.

ولعل من بين أهم تلك الحقائق هي تلك التي تؤكد أن الثورة، دينية كانت أو سياسية، باعتبارها ـ وكما سبق أن أشرنا ـ ليست انتقالاً من عهد بائد نحو عهد آخر يعمل على التأسس على أنقاضه فحسب، بل باعتبارها أولاً وقبل كل شيء، تطرفاً، وتخل عن التعقل المعهود وعدم اكتراث بالظروف المزرية المحيطة بها[90]، لا يمكن أن تولّد خاصة في بدايتها، إلاّ خوفاً، ورفضاً لها، بالتالي، لدى العديدين من الناس.

غير أن ذلك الطابع غير المعهود إذ كان هو الذي يحول بالتالي الظاهرة الثورية إلى ظاهرة مسكونة بتصميم أعمى، فإنه هو الذي يخلق حولها خوفاً وتردداً، بل ومعارضة، كما إنه هو ذاته الذي لا يلبث أن يجعلها تتحدى كل تلك الظروف المزرية المحيطة بها، وتتجاوز بسرعة كل الحسابات، حساباتها وحسابات الآخرين على حد سواء.

بمثل تلك الخصائص وغيرها، تتمكن الثورة من اقتلاع جذور تلك المخاوف من حولها ومن اقتحام قلاع ذلك التردد تجاهها، محولة بذلك متخوفي ومترددي الأمس إلى طلائع لها. . وإلى مدافعين أوائل عن المشروع الذي جاءت حاملة له.

تلك هي، وكما يحدثنا تاريخ الإنسانية كلها، قصة كل الثورات، دينية كانت أو سياسية، ثقافية كانت أو اجتماعية.

ولم تشذ ثورة نوفمبر 1954، عن هذه الحقيقة. ذلك ما تؤكده على أي

---

(90) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 128.

حال تلك التصريحات الأخرى، والمتأخرة، لنفس أولئك الباحثين ولغيرهم حول حدث الأول نوفمبر 1954 نفسه.

«فحدث نوفمبر 1954، لم يلبث أن تحول بسرعة مذهلة، بالنسبة إلى الشعب الجزائري، وإلى فرنسا كذلك، إلى ثورة أشبه بثورة الدروز[91] وبثورة فييتنام «محولاً بذلك فرنسا إلى أشبه براكب دراجة فقد كل سيطرة على سيرها». وحدث نوفمبر1954، سرعان ما استقطب من حوله، وبسرعة مذهلة، الجماهير الجزائرية التي ما لبثت لغتها وسلوكها تجاهه أن تغيرت، وفي أقل من ثلاثة أشهر فقط رأسا على عقب»[92].

أمام مثل هذه الحقائق، وغيرها حول موقف الجماهير الجزائرية من حدث نوفمبر، فإننا لا نعتقد أننا بحاجة للمزيد من التوقف عند ذلك الموقف، الذي يعتبر رد ذلك الرجل الشعبي عن سؤال القاضي الفرنسي له، أثناء محاكمته بتهمة التعاون مع الثورة، عن تاريخ ميلاده، والذي أجاب: بأنه: «أول نوفمبر 1954»، أصدق صورة له.

وإذا كان ذلك هو موقف الجماهير الجزائرية داخل الوطن وفي الهجرة، في أوروبا عامة وفي فرنسا بخاصة، من حدث نوفمبر 1954[93]، فإن موقف الأمة العربية، (جماهير ومثقفين وحكاماً)، كان إيجابياً بدوره. فقد وقفت الجماهير العربية مع الشعب الجزائري خاصة أثناء تلك الثورة، تواسي أحزانه، وتبكي جراحه، وتدعم كفاحه، وهذا ابتداء من الرباط وتونس، وانتهاء بعمان وصنعاء، مروراً بكل من طرابلس والقاهرة ودمشق وبغداد وبيروت والرياض وكل الخليج العربي؛ كما تحولت العديد منها إلى قواعد خلفية لتلك الثورة مؤكدة ذلك التفاعل التلقائي والعميق بينها وبين الجزائر، التي وجدت دوماً فيها، ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً خلت من الزمن، وحتى وهي تحت وطأة هذا الاستعمار، أهم قلاعها المتقدمة ضد كل الهجمات الأوروبية الصليبية والاستعمارية التي استهدفتها.

---

(91) *Le Monde*, 17/11/1954.

(92) M. Harbi: *la Guerre Commence*, p. 35.

(93) cf. A. Haroun: *la 7è Wilaya, la guerre du FLN en France*, paris, seuil, 1989.

ولم يختلف موقف المثقفين الجزائريين أساتذة وصحافيين وشعراء وكتاباً وفنانين وطلبة[94]؛ فقد عملوا كلهم مثل من سبقوهم، ومن خلال تلك الكلمات الخالدة التي أطلقها العديد منهم من زنزانات سجونهم، ومن حنايا ضلوعهم، وألقوا بها لأمتهم المقاتلة يشدون بها أزرها، ومن خلال تلك الجهود والدماء التي بذلوها، كل في ميدانه، بسخاء، (وبالرغم من مناوءة ولفظ البعض من رموز هذه الثورة لهم، وكما سنرى ذلك في الفصول القادمة)، إلى جانب أمتهم مثلما فعلت تلك الجماهير.

وكذلك فعلت العديد من الجماهير، من دول ومن المثقفين والأحزاب في العالم العربي، وأفريقيا وآسيا، والدول الإسلامية والاشتراكية سابقاً، ودول عدم الانحياز، بل من الدول الغربية والأمريكية، الشمالية والجنوبية أيضاً[95].

2 ـ موقف الأحزاب السياسية الوطنية

حين نعرض لمواقف الأحزاب السياسية، الوطنية منها بخاصة، من الحدث نفسه الذي شكله نوفمبر 1954، فإننا نود أن نلاحظ أننا إذ نفعل ذلك فإننا لا ندعي أننا سنستوفي كل تلك الجهود الجبارة التي بذلتها تلك الأحزاب ورموزها من أجل القضية الوطنية حقها، فذلك موضوع أوسع من أن توفيه، دراسة واحدة مثل هذه حقه، بل إن ما سنحاول الوصول إليه، هو التعرف على مواقف تلك الأحزاب وتلك الرموز، لا من خلال ظروفنا اليوم، بل من خلال الظروف الاستعمارية التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

إن ذلك يعني أن هذه الدراسة سوف تقف، ولأسباب سنوضحها تباعاً، موقف المتحفظ إزاء العديد من الأحكام والمواقف التي صدرت عن البعض

---

(94) M. Lachraf: Les Intellectuels et la guerre de libération nationale, Quotidien El- Moudjahid (Alger), du 16 - 17 - 18 Nov, 1981.

(95) M. Lachraf: *l'Algérie et le tiers- monde Agressions, Résistances et Solidarités Internationales,* Alger, édit Bouchène, pp. 71 - 122; A. Berenguer: *La guerre de libération nationale en Amérique latine, in Retentissement de la Rev. Alger*, p. 65.

من أولئك الرجال الذين كانوا في الطلائع الأولى لحدث نوفمبر1954، تجاه بعض الأحزاب والرموز الوطنية وفي مقدمتهم «حزب الشعب»، « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية»، وزعيمه مصالي الحاج.

أ ـ المصاليون ونوفمبر

قد يبدو موقف مصالي الحاج والمصاليين من حدث نوفمبر 1954، غريباً غرابة موقف الرجال الذين كانوا في الطلائع الأولى لذلك الحدث، وبدورهم، من مصالي الحاج ومن المصاليين خاصة.

وهذه الغرابة لا تعود، وكما قد يعتقد البعض، إلى رفض مصالي الحاج أو أتباعه، لذلك الحدث، فقد كانوا أول من باركه، مبدأ ووسائل وأهدافاً واعتبروه، وكما يؤكد ذلك تصريح «مولاي مرباح» الأمين العام للمكتب السياسي «لحركة الانتصار»، (الاتجاه المصالي) يوم 3/ 11/ 1954، الذي أعلن فيه «أن ذلك الحدث يحمل نفس الدلالة التي تحملها الأحداث التي كانت تعرفها كل من تونس والمغرب. . ويتطلب بالتالي نفس الحلول المتطابقة مع تطلعات شعب شمال إفريقيا»[96]، بل إن تلك الغرابة تكمن في محاولة المصاليين وغيرهم، بخاصة المركزيين، تصدّر قيادة ذلك الحدث، وعلى حساب أولئك الذين نجحوا في النهاية، وبالرغم من تردد وتشكك أولئك المصاليين، وغيرهم إزاءهم في تفجيره، فجأة، وفي تجاوزهم جميعاً بالتالي[*].

ضمن هذا المنظور يدخل البيان الذي وجهه مصالي الحاج بدوره يوم 8/ 11/ 1954، إلى الفرنسيين عامة، وإلى الطبقة العاملة منهم خاصة، والذي دعاها فيه إلى مقابلة «اليد التي يمدها لهم»، لوضع حد للنظام الاستعماري في الجزائر. ولقد تم ذلك في الوقت نفسه الذي كانت فيه بعض القيادات المصالية تتفاوض مع زعماء جبهة التحرير الوطني في كل من القاهرة، ومنطقة

---

(96) M. Harbi: *La guerre commence*, pp. 46 - 47.

(*) نشير إلى أن من بين الصحف التي كانت تمثل حزب الشعب ومصالي هي جريدة الشعب التي صدرت سنة 1937.

القبائل حول قضية قيادة المقاومة.

إن هذا البيان الموجه للفرنسيين، لا للشعب الجزائري، والذي تميز بتأكيده لنفس المقاربة المصالية للقضية الوطنية، من جهة، وبإغفاله لجبهة التحرير الوطني ولبيانها الذي أصدرته للشعب الجزائري من جهة أخرى، هو الذي سيكون وراء ذلك التدهور الذي ستشهده، وبعد ثلاثة أشهر فقط من انفجار نوفمبر علاقة جبهة التحرير الوطني بمصالي الحاج وبالمصاليين أولاً وبغيرهم من رموز الحركة الوطنية الأخرى بعد ذلك وإن كان بشكل أقل حدة.

وضمن هذا المنظور كذلك، تحول ذلك التدهور سنة 1955، ومن خلال إقدام مصالي الحاج على تشكيل «الحركة الوطنية الجزائرية» كقوة عسكرية مواجهة لجيش التحرير الوطني (عام 1956) إلى صدامات دموية مأسوية بين مناضلي الحزب الواحد بالأمس، ذهب ضحيتها العديد من الرجال ومن الأبرياء في الجزائر وفي فرنسا بخاصة[97] وفي غيرها من الدول الأوروبية عامة، وهذا في وقت كانت فيه الجزائر وثورتها في أشد الحاجة إليهم.

وضمنه أخيراً وليس آخراً، كانت اتهامات مصالي الحاج والمصاليين لجبهة التحرير الوطني ولرجالها «بوضع الحزب والقضية الوطنية تحت وصاية جمال عبد الناصر»[98]، وكانت ردود فعل هؤلاء الآخرين، وبدورهم باتهامهم لمصالي وللمصاليين بخيانة القضية الوطنية[99].

وهنا لا بد أن نلاحظ أن الجذور البعيدة لهذا الصراع، الذي نجح رجال نوفمبر في حسمه، سياسياً وعسكرياً، وبسرعة، لصالحهم، تعود من جهة، إلى تكوين المنظمة السرية (عام 1947)، وإلى التردد بل والرفض اللذين قوبلت بهما من طرف البعض من قيادات ذلك الحزب، وإلى المرارة

---

(97) كتبت صحيفة *Le Monde*، بتاريخ 20/ 3/ 1962، أن عدد المصادمات بين المصاليين وبين أنصار جبهة التحرير في فرنسا بلغ 43,000 صدام، وكانت ضحيتها 4,300 قتيل.

وأنظر: **M. Harbi: *le FLN, mirage et réalité*, pp. 150-162.**

(98) **Ibid, p. 151**

(99) **EL-Moudjahid: N.2, Mai, 1956.**

والكراهية التي ولدتها مثل تلك المواقف، من جهة أخرى، لدى رجال تلك المنظمة، التي ستشكل، وكما سبق أن رأينا، المنطلق لحدث نوفمبر، تجاه تلك القيادات والتي لم يزدها تردد بل وتخلي[100] ذلك الحزب عنهم، خاصة بعد اكتشاف المستعمر (عام 1950) لمنظمتهم ومطاردته الشرسة لهم، إلا حدة، هو الذي يجعلنا نتحفظ تجاه تلك الاتهامات المتبادلة بين كل من رجال نوفمبر والمصاليين.

لكل ذلك، فإن هذه الدراسة إذا كانت أول من يسلم لرجال نوفمبر أن النتائج العملية المأسوية لموقف مصالي والمصاليين بالذات تختلف عن تلك التي تولدت عن موقف بقية الأحزاب الأخرى[101] خاصة الحزب الشيوعي، من حدث نوفمبر، وذلك نظراً ليس إلى القاعدة الشعبية المهمة التي كان يحظى بها مصالي، والتي سارت وسايرت، لبعض الوقت، خطه، وعلى حساب تصفيات دموية مأساوية فحسب، بل ونظراً كذلك إلى الدور الكبير الذي لعبه إلى جانب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والبيان، في بلورة الوعي الوطني الجزائري الحديث، فإنها أول من يأخذ كذلك بعين الاعتبار، وبالرغم من تلك المآسي، بعض الحقائق الأساسية التي كانت وراء موقفهم ذاك.

ولعل أولى الحقائق، هي تلك التي تؤكد أن الطابع الفجائي لحدث نوفمبر هو الذي جعل، لا فقط، مصالي والمصاليين بل كل الأحزاب الوطنية، تتعامل معه انطلاقاً من خطها السياسي المعهود، وهو الخط الذي سيظل، وكما سبق أن أشرنا، يحكم سلوكها تجاهه، وهذا حتى بعد حلّ البعض منها رسمياً لنفسها وانضمامها لذلك الحدث(نيسان/ أبريل 1956).

أما ثاني تلك الحقائق، فهي تلك التي تؤكد أن عمق العلاقة الإنسانية والنضالية التي ظلت، حتى ذلك الوقت، تربط رجال نوفمبر بمصالي الحاج، الذي كان يمثل وباعترافهم أنفسهم، رمز الوطنية، وبحزبه، رمز مدرستها

---

(100) أنظر شهادات كل من مصطفى بن عودة، وأحمد شعيب، وحباشي عبد السلام، وغيرهم، في مجلة الباحث، الجزائر، تشرين الثاني/ نوفمبر 1984.

(101) A. Mahsas: *le Mouvement révolutionnaire*, pp. 320 - 321.

النضالية الأولى، هي التي كانت وراء عمق ذلك الحقد الذي ميزها، نتيجة لرفض مصالي وقيادته الحزبية، ومثلما يفعل معظم الآباء، التسليم بأن الأبناء(*) قد يقدمون وينجحون كذلك في مشاريع ثورية وغير ثورية، تلك المشاريع التي وإن ظلت تبدو حتى ذلك الوقت لأولئك الآباء صعبة، حتى لا نقول مستحيلة، فإنها لم تمنعهم مع ذلك من اعتبار أنفسهم القادرين وحدهم على تجسيدها.

أما **ثالث** تلك الحقائق، وآخرها، فهي تلك التي تؤكد أن رجال نوفمبر 1954، قد تصرفوا، وبدورهم إزاء مصالي الحاج والمصاليين بخاصة، وإزاء غيرهم من الأحزاب الوطنية الأخرى ورموزها عامة، انطلاقاً من تلك الشرعية الوطنية والسياسية الجديدة، التي عملوا على تكريسها، كشرعية واحدة ووحيدة، وذلك من خلال تحويلهم، عملياً، لذلك الحدث إلى بداية للوطنية الجزائرية المعاصرة، وللمواقف المؤيدة أو المناوئة له، إلى مقياس لتلك الوطنية[102]، لاغين بذلك كل دور وطني «لرجال الماضي» وواقفين منهم بالتالي، موقف المتشكك من مطالبهم ومن التفاوض حولها[103].

إن مثل هذه المواقف من رجال نوفمبر، تجاه مصالي الحاج والمصاليين، وتجاه غيرهم من رموز الحركة الوطنية الجزائرية المعاصرين لهم، هي التي ستكون، وكما سنرى ذلك في لاحقاً، وراء جزء كبير من الصراعات والمشاكل التي ستعقب انضمام تلك الرموز إلى ثورة نوفمبر، وتولي أكثر من واحد منهم منصب القيادة فيها. كما إنها هي التي ستكون وراء العديد من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تولدت عنها وأدخلت الجزائر بخاصة في التسعينيات من القرن الماضي في دوامة العنف والإرهاب.

ب ـ المركزيون ونوفمبر

(*) بدأ تنظيم أولئك الشباب بالمنظمة السرية (1947)، ثم اللجنة الثورية للوحدة والعمل، ثم لجنة (22) التي أصدرت نشرة «الوطني» «Le Patriote» التي توقفت عن الصدور يوم 5/ 7/ 1954. ثم لجنة الستة(6) ثم جبهة وجيش التحرير الوطني (1954.)

(102) M. Harbi: *Le FLN, mirage et réalité*, pp. 164 - 165..

(103) Ibid.

وإذا كان ذلك هو موقف مصالي الحاج والمصاليين من حدث نوفمبر 1954، فإن موقف المركزيين، قادة لا قاعدة منه، لم يختلف كثيراً وبخاصة من الناحية المبدئية. وذلك نظراً إلى انتمائهم للحزب نفسه، وإلى ارتباطهم حتى ذلك الحدث تقريباً، بالزعيم نفسه.

لذلك لم يروا، وهم الذين تعودوا استباق الأحداث، في ذلك الحدث الذي فاجأهم بدورهم مثلما فاجأ بقية الأحزاب الوطنية الأخرى، حدثاً جاء في غير وقته فحسب، بل اعتبروه انقلاباً داخل الحزب، قاده أحمد بن بلة من القاهرة[104].

من هنا كان أول تعامل لهم معه هو محاولة العمل ومن خلال مبعوثيهم (حسين لحول، ومحمد يزيد)، إلى وفد جبهة التحرير بالقاهرة على تأخيره بحجة التركيز على تدويل القضية الجزائرية سياسياً أولاً[*].

وأمام فشل مثل ذلك المسعى، عمل المركزيون، ومن دون نجاح كذلك، على احتوائه بحجة أنهم الأجدر به من جهة، وبحجة رفضهم لفكرة الحزب الواحد من جهة أخرى، وذلك من خلال «دعوتهم إلى إقامة تجمع وطني للأحزاب وللشخصيات السياسية الوطنية يكون بمثابة البديل لجبهة التحرير الوطني ورجالها الذين اعتقدوا جازمين أن فرنسا لن تتفاوض معهم أبداً»[105].

ذلك ما يفسره على أي حال، وفي ما يرى البعض من أولئك الباحثين[106]، إقدام كل من «بن يوسف بن خدة»، و«أحمد بودة»، و«مصطفى فروخي»، الذين توهموا إمكانية احتكار الساحة السياسية بعد إقصائهم لمصالي الحاج، (آب/أغسطس 1954)، على توجيه رسالة مفتوحة إلى وزير الداخلية الفرنسي «طالبوه فيها بتوقيف عمليات القمع ضد الشعب الجزائري وبالتفاوض المباشر معهم باعتبارهم الممثلين الحقيقيين له».

---

(104) M. Harbi: *1954 la Guerre Commence*, pp. 17 - 18.

(*) كانت جريدة: *La nation algérienne* لسان حالهم، ولقد توقفت بعد فترة قصيرة من ذلك الانقسام وبعد انفجار الثورة.

(105) Harbi-Ibid.

(106) Ibid.

وسواء أكانت مثل هذه المواقف من المركزيين تجاه ثورة نوفمبر 1954، تهدف وكما يذهب أولئك الباحثين نفسهم، إلى الوصول مع فرنسا، إلى استقلال داخلي للجزائر[107]، أو إلى أكثر من ذلك أو أقل، فإن الحقيقة التي لا مجال للشك أو للتشكيك فيها هي أنهم قد ركبوا، مثل غيرهم من الساسة الوطنيين الآخرين، قطار نوفمبر بعد انطلاقه في غفلة وفي تشكك منهم جميعاً.

ج ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونوفمبر

كثرت التساؤلات والإيماءات حول طبيعة موقف جمعية العلماء من حدث نوفمبر 1954، التي فوجئت بدورها فيه، قدر كثرة التوضيحات والتبريرات لمثل ذلك الموقف.

فأنصار هذه الجمعية، فيما يذهب البعض من الباحثين، «حين يعملون على تقديم أنفسهم، على أنهم الملهمون لثورة نوفمبر، لا يفعلون سوى محاولة إدعاء بنوة طفل ليس لهم». ذلك ما تؤكده، وكما يضيف نفس أولئك الباحثون، جريدة البصائر»[*]، لسان حال هذه الجمعية، التي كتبت سنة 1955[108] «أن الجمعية لا تعليق لها على ذلك الحدث لأنها لا تملك أخباراً مفصلة عنه»[109].

وذلك ما يؤكده أخيراً، ردّ « الشيخ محمد خير الدين» على طلب ممثل جبهة التحرير الوطني (بن الشيخ الحسين)منه انضمام الجمعية إلى هذه الجبهة، والذي جاء فيه: «بأننا لا نريد أن نكون أعداء. . . غير أننا تحالفنا في ماي 1954 مع «حزب الشعب»، وضمن « أحباب البيان»، ودفعنا ثمن ذلكّ». «إن الموقف مختلف هذه المرّة، فنحن لسنا مورطين. .لقد تصرفتم لوحدكم. . وستدفعون الثمن وحدكم»[110].

لكل ذلك، وكما يضيف باحثون آخرون، «فإن انضمام جمعية العلماء إلى

---

(107) Ibid.

(*) كانت جريدة البصائر هي لسان حال هذه الجمعية، وقد توقفت سنة 1956.

(108) M. Harbi: *La Guerre*, pp. 44 - 45.

(109) البصائر، رقم 302 ـ 1955.

(110) Ibid.

ذلك الحدث لم يكن تلقائياً، بل جاء إثر محاولات بائسة وآمال مجهضة..».

«وآية ذلك، أن العلماء ينحدر معظمهم من أصل بورجوازي، لا بمعنى السعة المادية لهذه الكلمة فحسب، بل بمعنى الثقافة كذلك التي يعتقدون أنهم يمتلكونها»، «فأي علاقة مشتركة يمكن أن تربطهم إذن مع هؤلاء الفلاحين المعدمين الذين التجأوا إلى المقاومة. هؤلاء الأفراد، شبه البروليتاريين، الذين يزرعون الرعب في المدن، أو مع أولئك العصاميين الذين تصدروا حركة التحرير»؟ «إن القضية أبعد من مجرد سوء تفاهم بين أشخاص منحدرين من طبقات مختلفة، لأن ما يفرق بين جبهة التحرير الوطني وبين هؤلاء البورجوازيين المثقفين ويجعل الجبهة مرفوضة لديهم، هو تواجد «سوقة» ضمن صفوفها».

«إن جبهة التحرير الوطني باعتبارها وريثة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي جمعت بداخلها أفراداً من كل الأنواع: مخبرين للشرطة الفرنسية، سارقين، مجرمين سابقين، وتجاريين..الخ، قد أخذت بالتالي الهيكل نفسه الذي كان لذلك الحزب، وجندت بالتالي كل من كانوا يشكلون إطاراته ومناضليه»[111].

وعن مثل هذه التساؤلات والإيماءات يرد البعض[112] من رموز هذه الجمعية ومن المتعاطفين معها، من بين ما يردون، أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليست هي التي تدعي مثل ذلك الدور الإلهامي لحدث نوفمبر 1954، بل المستعمر نفسه وكما يؤكد ذلك، التصريح الذي أدلى به عسكري فرنسي، عمل قبل ذلك الحدث وبعده، في الجزائر، والذي أعلن فيه «أن علماء مدرسة قسنطينة معهد بن باديس حين روّجوا للمذهب الوطني والإسلامي، قد نجحوا في جعل المؤمنين يخجلون من التقاليد البالية ومن حفلاتها وفولكلورها، ممهدين بذلك الطريق لعمل أعوان «حركة الانتصار

---

(111) A. Nadir: *Le mouvement réformiste algérien et son rôle dans la formation de l'idéologie nationale* in, M. Harbi, *la Guerre*, p. 45.

(112) محمد الميلي: مجلة الباحث، العدد، 4، 1984، ص 87 ـ 88.

(113) *Le Monde 7/8 Nov, 1954*

(114) محمد الميلي: مجلة الباحث، رقم 4.

للحريات الديمقراطية» الذين وجدوا نتيجة لذلك جواً ملائماً. . . »[113].

«وجمعية العلماء، لم يطلب منها أي أحد[114] في أول نوفمبر 1954، حلّ نفسها. وإذا كان موقفها من حدث نوفمبر 1954،(الذي تقر أنه فاجأها مثل ما فاجأ غيرها)، ورد فعلها إزاءه، قد بدا للبعض متأخراً، فإن ذلك لا يعود إلى رفضها المبدئي له، بل إلى تخوفها من أن يتحول إلى 8 أيار/مايو 1954 جديد، وإلى تلك الأزمة[115] التي كانت تشهدها قيادتها، بعد انتقال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى القاهرة(عام 1951) وتولي «الشيخ العربي التبسي» بعده، رئاستها».

لكل ذلك، فإننا إذا كنا قد نتفق مع كل تلك التساؤلات أو الإيماءات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فإننا نظل مع ذلك متحفظين إزاء حكمهم على موقفها، وهو الحكم الذي وصل بالبعض[116] إلى حد اتهامها بالخيانة. إن هذا التحفظ لا يعود فقط إلى تلك الحقيقة التي تقول «إنه لا يمكن أن نطلب، وكما لاحظ أحد حفدة البعض من رموزها[117] ممن تكوّن في ظل المساعي السياسية القديمة، وممن كان متشبعاً بروح الحلول الوسطى ومتعوداً على تقاليد الاحتراف السياسي، أن يتحول بين عشية وضحاها، إلى ثوري، خصوصاً بعد أن شاهد ثوريين تخلوا عن ثورتهم قبل نوفمبر 1954، وأصبحوا يؤمنون بالحلول السياسية، وبإمكانية تحقيق شيء عن طريق الانتخابات التي تنظم في إطار الشرعية الفرنسية»، بل إنه يعود كذلك إلى استحالة تصور أي عاقل لمثل تلك الخيانة وبخاصة من طرف كبار رموزها.

د ـ الاتحاد الديمقراطي للبيان ونوفمبر

ظلت قناعة «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري»، ممثلاً في قيادته العامة وفي زعيمه «فرحات عباس» خاصة، (الذي فوجئ بدوره، وبالرغم من

(115) د. أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج، 2، ص 65.

(116) محمد الميلي، مجلة **الباحث**، عدد، 4، 1984.

(117) المرجع السابق نفسه.

(118) F. Abbas: *Autopsie d'une guerre*, pp. 45 - 46

تأكيداته المتأخرة بعكس ذلك[118]، بحدث نوفمبر 1954)، قبل هذا الحدث، وبعده بزمن غير يسير (سنة كاملة تقريباً) متمثلة في رفضه، المبدئي، للعنف كوسيلة لحل القضية الوطنية الجزائرية، «نظراً إلى أنه لا يحل شيئاً»[119].

من هنا فإن «البديل لذلك العنف، ولذلك الإرهاب»، ولتلك الوضعية المأساوية للشعب الجزائري، الذي ما كان ليصل إليها، لو لم يغلق المستعمر، وتحت ضغط الإداريين والمعمرين، في وجهه أبواب كل تطور وكل حل سياسي لقضيته، يتمثل في ما يرى «البيان»، في تمكين الشعب الجزائري من الاختيار الديمقراطي لممثليه عن طريق انتخابات حرة، وصولاً إلى إقامة جمهورية جزائرية مرتبطة فدرالياً بفرنسا، واستعداده لقبول قانون عام 1947، في انتظار مثل تلك الجمهورية[120].

وكان يجب انتظار تصاعد مدّ نوفمبر، وبخاصة من خلال أحداث 20 آب/أغسطس 1955، التي شهدها الشمال القسنطيني (سكيكدة)، وتزييف المستعمر، مرة أخرى، لتلك الانتخابات (نيسان/أبريل 1955)، التي قبل بإجرائها، وتزايد رفض الإداريين والمعمرين لمحاولاته تلك الهادفة لحل القضية الجزائرية عن طريق الشرعية التطورية، ليتخلى فرحات عباس في النهاية، وبعد أن تخلت عنه قاعدته الحزبية، عن لعب دور رجل المطافئ الذي اعتقد أن بإمكانه لعبه لفرض نفسه، وسط انقسامات الأحزاب الوطنية الأخرى، كممثل وحيد للشعب الجزائري، وليبدأ، بعد أن تأكد أنه قد أصبح لعبة في يد الاستعمار، في تلك القطيعة الجادة معه والتي انتهت به إلى الانضمام، مثل جمعية العلماء، إلى مسيرة نوفمبر (25/ 4/ 1956).

هـ ـ الحزب الشيوعي الجزائري ونوفمبر

يرى بعض الباحثين «أن رد فعل قادة الحزب الشيوعي الجزائري[*] تجاه حدث نوفمبر 1954، كان أسوأ من رد فعلهم إزاء مجزرة الثامن من أيار/مايو 1945». ذلك ما تؤكده على أي حال وكما يضيف أولئك الباحثون تلك النتائج

---

(119) *La République Algérienne*, 12/11/1954.

(120) M. Harbi: *La Guerre Commence*, p. 43.

(*) كانت صحيفة *Alger Républicain* هي لسان حالهم (1936).

التي توصلوا إليها خلال الاجتماع الذي ضم يوم 2/ 11/ 1954 البعض من إطاراته التي أكدت احتمال أن تكون تلك العمليات، التي رأت فيها حركة أقلية لامسؤولة[121]، بمثابة الاستفزازات الهادفة إلى تبرير لجوء السلطات الاستعمارية، ومن جديد، إلى عمليات قمع (ضد الشعب الجزائري) كما فعلت ذلك في أيار/ مايو 1945[122].

وإذا كان البعض من القادة الشيوعيين الجزائريين، قد حاولوا، بعد ذلك تبرير موقفهم هذا من حدث نوفمبر 1954 بقولهم «إن العمل المسلح ضد المستعمر كان ضمن إستراتيجيتهم»[123]، وإنهم قد أدانوا القمع الاستعماري ضد الشعب الجزائري وطالبوا بتلبية مطالبه، من خلال حل ديمقراطي لقضيته، حل يأخذ بعين الاعتبار كل سكان الجزائر، من دون تمييز ديني أو جنسي، وأنهم قد شاركوا، ومن خلال منظمة «المقاتلين من أجل الحرية» (عام 1956) في القتال المسلح للمستعمر، فإن مثل تلك التبريرات لا تغير كثيراً من حقيقة موقفهم ذاك من حدث نوفمبر 1954.

وآية ذلك أن الدلالات المادية والمعنوية للعمليات التي أعلنت عن ميلاد نوفمبر، والبيان الذي تلاها مباشرة، كانت تحيل، ومنذ البداية، وبشكل لا لبس فيه، إلى الأحداث نفسها التي كانت تعيشها كل من تونس والمغرب، وتهدف إلى الأهداف نفسها، أكثر مما كانت تحيل إلى تلك المجازر التي قالوا إنهم بموقفهم ذاك، قد أرادوا العمل على الحيلولة من دون تكرارها مرة أخرى.

كذلك فإننا إذا كنا نسلم، بالمواقف الفردية الصادقة والشجاعة للبعض من رموز الحزب الشيوعي الجزائري، الذين أدانوا بوضوح ومن دون تردد القمع الاستعماري ضد الشعب الجزائري، متحملين من أجل ذلك الكثير، فإن

---

(121) J. Jurquet, *Mouvement et nationalisme algérien*, in M. Harbi, *la Guerre*, p.40.

(122) Ibid.

(123) Ibid.

(124) *Liberté*, 4/11/1954.Voir également:Frank Renken:FRANKREICH IM SCHATTEN DES ALGERIEN.Die Funfte Republik und Die Erinnerung an den letzten groben kolonilkonflikt. (La Cinquième République et la Mémoire du dernier grand Conflit Colonial), V&R Uni Press, Gottengen. 2006.

موقفهم المطالب بتلبية مطالب الجزائريين، ضمن جزائر متعددة الأجناس والأديان[124] لا يفعل سوى تبني وتأكيد طروحات قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي حول الأمة الجزائرية «التي هي في طور التكوين» (جوريس 1934)، وتجاهل حقيقة الأمة الجزائرية التي لا تختلف في شيء، وبالرغم من كل ما أصابها من محن ومن استعمار، عن حقيقة أي أمة أخرى، وفي مقدمتها الأمة الفرنسية كما لاحظ ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس[125].

وأخيراً، فإننا إذا كنا لا ننكر أن العديد من المناضلين الشيوعيين الجزائريين، («مايو» «إيفتون» «أودان» «توفيني». . الخ) قد شاركوا في الكفاح المسلح ودفعوا حياتهم في ساحات القتال وداخل الزنزانات والسجون وتحت أعواد المقاصل، فإن تلك المشاركة قد تمت بصورة فردية وبالرغم من تعليمات قيادة الحزب التي ظلت منشغلة عملياً بمصالح فرنسا أكثر من انشغالها بحق الشعب الجزائري في الحرية، رافضة بذلك وبالتالي، وحتى النهاية، الانضمام، وكما فعلت غالبية الأحزاب الوطنية، لجبهة التحرير الوطني.

إن مثل هذه المواقف وغيرها، هي التي جعلت قيادة الحزب الشيوعي الجزائري تقف عملياً، وبالرغم من كل شعاراتها، موقف المناقض لثورة نوفمبر1954، مؤدية بذلك بحزبها إلى المصير نفسه الذي لقيته ـ كما سبق أن أشرنا ـ العديد من الأحزاب الشيوعية في العالم الثالث.

---

(125) الشهاب، المجلد، 13، ج9، ص 402 ـ 404.

الفصل الخامس

نوفمبر وإشكالية التنظير

أولاً: نوفمبر والفلسفة الثورية

يعيب البعض من الباحثين الأجانب[1] منهم والوطنيين على حد سواء[2]، على الثورة التحريرية الجزائرية أنها لم تعرف منظرين ومفكرين مهدوا لها ووضعوا أسسها كالمنظرين والمفكرين الذين عرفتهم كل الثورات التحريرية الكبرى التي عرفتها الإنسانية عبر تاريخها الطويل.

فالثورة الفرنسية (عام 1789) مثلاً، عرفت مونتسكيو، فولتير، روسو، وسان جوست وغيرهم؛ والثورة الروسية (عام 1917) عرفت كارل ماركس وإنغلز ولينين وغيرهم؛ والثورة الصينية (عام 1949) عرفت ماوتسي ـ تونغ وغيره؛ في حين لم تعرف «الثورة الجزائرية» (التي يريد البعض من رموزها ومن أبنائها كذلك تقديمها على أنها واحدة من أكبر الثورات التحريرية المعاصرة) مثل هؤلاء المفكرين والمنظرين.

«وهذا لا يجب، وكما يضيف البعض من أولئك الباحثين الأجانب،أن نستغربه، لأن ما حدث في نوفمبر 1954، الذي يمثل، بحسب أصحابه، قمة نضج الحركة الوطنية الجزائرية لا يفعل سوى تأكيد تلك الأيديولوجيا المشرقية المستعارة التي استندت إليها تلك الحركة التي كانت دوماً منحصرة في

---

(1) Y. Courrière: *Les Fils de la Toussaint*, p. 178.

(2) M. Harbi: *Le FLN, mirage et réalité*, pp. 122 - 120.

مجموعات مشاغبين ومثقفين، وبعيدة عن الجماهير الشعبية والطبقات المتوسطة التي ظلت دوماً في منأى عن تلك الحركات السياسية، وغير مهتمة إلا بانشغالاتها اليومية»[3].

ولقد اعتقد أولئك الباحثون، أنهم قد وجدوا حججهم لا في الكتابات التاريخية الاستعمارية الفرنسية حول الحركة الوطنية، وفي بعض التصريحات الرسمية الفرنسية حول حدث نوفمبر 1954 فحسب، بل وفي كتابات وتصريحات بعض الجزائريين والمصريين، كذلك، وهي الكتابات والتصريحات التي سنعرض لها لاحقاً، حول الدور الذي قيل إن القاهرة قد لعبته، في ذلك الحدث بالذات، حججهم كافية في ما ذهبوا إليه حول الحركة الوطنية الجزائرية عامة، وحول ثورة نوفمبر بخاصة.

«لكل ذلك ولغيره، فإن ما حدث في نوفمبر 1954، كان في النهاية أقرب إلى العصيان والانتفاضة المسلحة، وفي أفضل الأحوال، حرباً انتهت لا بانتصار عسكري[4] لمن كانوا البادئين بها، بل بانسحاب وتخلّي الطرف (الاستعماري) الأقوى، نظراً إلى أنه لم يعد يفهم الأسباب التي من أجلها يقاتل[5] وإذا كانت تلك هي أراء أولئك الباحثين الأجانب، وبخاصة الفرنسيين منهم، حول ثورة نوفمبر 1954 وفلسفتها، فإن إيحاءات البعض من الباحثين الوطنيين حول الموضوع نفسه، إذا كانت تختلف شكلاً عن تلك الآراء، فإنها تكاد تلتقي معها عملياً في المضمون؛ «فجبهة التحرير الوطني بينت الانقسام، والتحضير للثورة تم في عجلة»[6] غيبت بالتالي كل تنظير[7] وتنظيم «وجعلت برنامجها يأخذ، خاصة في بدايته، ذلك الطابع «الغامض»، و«الضعيف وغير المكتمل»، بقدر ما جعلت هدفه الأول والأخير ينحصر في تحطيم النظام الاستعماري».

«ورجال جبهة التحرير الوطني الذين ينتمون، لا إلى البورجوازية الصغيرة،

---

(3) M. Lachraf: *L'Algérie, nation et société*, pp. 119 - 120.

(4) R. Gallissot: *Qu'est - ce que la Révolution Algérienne?* in Retentissement de la Rév - algérienne; pp. 196 - 204; Cf - Quotidien,El - Watan, Alger 21/12/1994.

(5) Gllissot: *Retentissement.*

(6) M. Harbi: *le FLN, mirage*, pp. 122 - 128 - 140 - 151 - 165.

(7) Ibid, pp. 115 - 1200.

كما توهم البعض، بل إلى عامة الشعب، وإلى بعض «الخيم الكبيرة»، والمتوسطين ثقافياً، (لم يتجاوز معظمهم مستوى الشهادة الابتدائية)، وسياسياً، (كلهم تقريباً من المغضوب عليهم من طرف الحزب)، كانت تحركهم فكرة واحدة، أخذوها عن «حركة الانتصار»، وهي أن الاستقلال لا يفرض (على العدو) إلا بالحرب»[8].

«إن هذه الفكرة التي آمنوا بها وتبنوها، من دون حدود، هي التي جعلت بالتالي إنهاء النظام الاستعماري أهم لديهم من احترام ممارسة الحريات».

«كما إنها هي التي جعلت كذلك الغاية لديهم تبرر كل الوسائل، كما يؤكد ذلك اللجوء إلى الحيل لحشد تأييد الفلاحين، وإلى الخطاب الديني للتقرب من الطبقات المسحوقة تحت وطأة حياتها اليومية، وإلى المناورة، والمساومة، بل وإلى التصفيات الجسدية لإسكات خصومهم»[9].

لكل ذلك، كانوا بخاصة في بداية مشروعهم، غير واثقين من أنفسهم، ومقتنعين بضعفهم السياسي إلى درجة ظلوا معها مترددين، بعد انطلاق مشروعهم، في فرض أنفسهم من خلاله، وفي الظهور على المسرح أو التحدث عن أنفسهم.

وإذا كان أولئك الباحثون الأجانب قد اعتقدوا أنهم قد وجدوا في تلك التصريحات الاستعمارية حجتهم حول نوفمبر وحول غياب أي تنظير فيه، فإن أولئك الباحثين الوطنين قد اعتقدوا أنهم وجدوا، وبدورهم، مثل تلك الحجج، في تصريحات البعض من رموز نوفمبر ذاته؛ فمصالي الحاج، مثلاً، قد أكد غداة نوفمبر، وكما سبق أن رأينا «أن من كانوا وراء نوفمبر. . . لم يفعلوا سوى وضع الحزب (حزب الشعب ـ حركة انتصار للحريات الديمقراطية) تحت وصاية جمال عبد الناصر»[10].

و«محمد بوضياف قد كتب سنة1974، وبعد عشرين سنة من نوفمبر 1954»،

---

(8) Ibid.

(9) Ibid.

(10) Ibid et p. 151.

أن ذلك المشروع قد جاء في وقت كان يجب فيه العمل، وبسرعة، على استغلال جو الغموض أو الحيرة (الذي أفرزته أزمة حزب الشعب)، وستار دخان المزايدات والنزاعات، للإفلات من قمع استعماري يظل دوماً ممكناً[11].

أما « لخضر بن طوبال»، فقد أكد بدوره، وفي السياق نفسه «أن المخرج الوحيد الذي كان أمام الشعب الجزائري كان الإسراع في تفجير الثورة المسلحة، من دون انتظار لتهيئة برنامج عمل أو للتنسيق على كل المستويات. لقد كان أمام مجموعة الـ (22) حلّان: التنظيم أولاً، ثم الانطلاق، أو الانطلاق ثم التنظيم. ولقد كنا مضطرين إلى اختيار الحل الثاني»[12].

لكل ذلك كانت، وكما أكد هؤلاء الباحثون، وبدورهم، «تلك التناقضات التي عرفها الكفاح التحريري والأزمات العديدة التي هزته»[13] «نتيجة لغياب برنامج قادر على حل المشاكل المتولدة عن مواصلة الحرب»[14].

1 ـ إشكالية أم إشكال؟

تلك هي، بصورة مختصرة، الإشكالية التي لا تزال تطرحها، ومنذ مدة، البعض من تلك المواقف والتصريحات، المتأخرة، الاستعمارية منها والوطنية على حد سواء، حول نوفمبر وحول علاقته بالتنظير عامة وبالفلسفة بخاصة.

وإذا كان التنظير يعني، عامة، طرح نظرية حول قضية أو مشكلة مّا، تلك النظرية التي تظل مجرد فرضية إلى أن تؤكد الوقائع صحتها، وهي الصحة التي لا تجعلها مع ذلك صحيحة بصورة نهائية، فإن الإشكالية، بمعناها العام الذي يميزها عن الإشكال، تعني طرح مشكلة حقيقية وليست مزيفة، كما يفعل الإشكال، وهي المشكلة التي تظل بالتالي، وفي غياب حل لها، موضع شك[15].

---

(11) M. Boudiaf: La préparation du 1er Nov - 1954, in *Al - Jarida*, organe du partie de la révolution socialiste, Nov - Déc 1974.

(12) L. Bentobal: in Harbi, *le FLN*, p. 122.

(13) M. Harbi: *le FLN*, pp. 122 - 165.

(14) Ibid.

(15) E. Kant: *critique de la Raison pure*, PUF, 1968, p. 222.

وإذا كان ذلك هو المعنى العام للإشكالية، فإن معناها الفلسفي، وهو الذي يهمنا هنا، والذي يرى فيها، وبدوره، طرحاً لقضية أو لمشكلة مّا يمكن أن تكون صحيحة أو محتملة[16]، لا يختلف بالتالي كثيراً.

لكل ذلك كانت، وكما كشف المنهج الأكسيوماتي[17] ذلك، كل فلسفة، بل وكل علم، وفي مقدمته الرياضيات والهندسة، صحيحة في الحدود التي تجيب فيها موضوعياً عن مجموعة الإشكاليات التي أثارتها أو تثيرها انطلاقاً من فرضياتها الأولى.

من هنا فإن هذه الدراسة إذا كانت ستعتبر، جدلاً، مثل تلك الإشكاليات السابقة التي لا تزال تثار حول نوفمبر وحول غياب أي فلسفة فيه فحسب، فإنها لا تفعل ذلك إلا لكي تحاول حلها، وذلك من خلال البرهان على خطئها وعلى تواجد مثل تلك الفلسفة بالتالي.

ضمن هذا الهدف، الذي يشكل، وكما سبق أن أشرنا في مدخل هذه الدراسة، واحداً من أبرز الأسباب التي كانت وراء هذه الأخيرة، نقول، إننا إذا كنا أول من يسلم أن الفلسفة» «أسئلة وتساؤلات، أي إشكاليات، حول الوجود والمصير»[18]، فإننا أول من يذكر كذلك، وفي الوقت نفسه، بتلك الحقيقة الأخرى التي تقول إن الفلسفة و«الفيلسوف الحقيقيين ليسا فقط، وكما لاحظ أحد الفلاسفة المعاصرين[19]، هما اللذان يحددان إشكاليتهم، بل إنهما كذلك القادرين على إعطائهم الحل الأكثر انسجاماً وموضوعية».

2 ـ توضيحات لابد منها

انطلاقاً من هذه الحقيقة، وأخذاً بعين الاعتبار لذلك الهدف نقول: إن ثورة نوفمبر، التي تستقي جذورها من أعماق ماضي الشعب الجزائري، ما

---

(16) Ibid.

(17) cf - R. Blanché: *L'Axiomatique*, PUF, 1955.

(18) M. M. Ponty: *Eloge de la philosophie*, NRF, paris, 1953, p. 11; H. Gouhier: la philosophie et son histoire, pp. 17 et 99.

(19) P. Ricoeur: *Histoire et Vérité*, Seuil, 1955, pp. 62 - 63, 2é, édition.

كان يمكنها أن تحقق، وبشهادة أولئك الباحثين[20]، وغيرهم[21] ما لم تحققه كل الثورات والانتفاضات الوطنية التي سبقتها فحسب، بل وما لم تحققه العديد من الثورات الأخرى المعاصرة لها في العالم الثالث، في غياب نظرية ثورية، لسبب بسيط هو أنه لا تصور، وكما سبق أن أشرنا، لثورة، أياً كانت، في غياب مثل تلك النظرية.

إن الثورة، كممارسة، تظل، في غياب الجهد التأملي المبدع للمفاهيم القادرة على مواكبة أحداثها وعلى توجيهها نحو أهدافها المنشودة، تراوح مكانها فوق أرض الواقع؛ تماماً كما إن الثورة، كمفهوم، تظل في غياب مثل تلك الممارسة العملية، متوقفة عند حدود ذلك التعامل النظري، المجرد والعقيم أمام الواقع.

إننا لو سلمنا، جدلاً، أن ثورة نوفمبر كانت مجرد حرب، فإن ذلك لا ينفي عنها مثل ذلك التنظير، بل يؤكده وذلك لعدة أسباب منها:

إن الحرب عامة، والحرب التحريرية خاصة، وما تتطلبه من تخطيط وتنظيم وتسيير لقوى، مادية وبشرية لا مجال لمقارنتها بالقوى المادية للمستعمر، أمر أخطر، وكما لاحظ أحد السياسيين الفرنسيين المعروفين، ألا وهو «جورج كليمانصو» (تـ 1929)، من أن توكل إلى المقاتلين وحدهم من دون قيادة منظرة ومنظمة.

إن الثورة الجزائرية إذا كانت قد لجأت فعلاً إلى «الحرب الثورية»، فإن ذلك كان بهدف إلى تسخيرها لخدمة هدفها السياسي الأول (أي فرضيتها الأولى) المتمثل في إمكانية «إجبار المستعمر على الاعتراف بالأمة الجزائرية وبحريتها»[22].

ذلك أن «أهداف الحرب، وكما أكد مؤتمر الصومام[23]، هي نقطتها النهائية التي تتحقق ابتداء منها، أهداف السلم.الذي يرغم انطلاقاً منه العدو

---

(20) M. Harbi: *la guerre*, p. 149.

(21) La Guerre d'Algérie, Dossier, *le Monde*, p. 6.

(22) El-Moudjahid, No,4 (1956) (Congrès Soumam).

(23) Ibid.

على قبول كل أهدافها السلمية». بذلك كانت الحرب، وكما أكد، ومن جديد، بعض رموز هذه الثورة(*)، وسيلة للسياسة وليس العكس بقدر ما تحولت الحرب كذلك وبالتالي، وكما أكدت كل تجارب الشعب الجزائري مع المستعمر، إلى أبرز أداة لإرغامه على التسليم بمثل ذلك الهدف والمتمثل في الاستقلال.

وذلك ما تحقق فعلاً من خلال نجاح ثورة نوفمبر 1954، لا في تحقيق انتصار عسكري على المستعمر، كما يزعم البعض[24]، فذلك لم يكن هدفها، بل في استعادة حرية الشعب الجزائري المغتصبة، وهي الحرية التي شكلت هدفها الأول والأخير (أي فرضيتها الأولى).

إن اقتصار برنامج ثورة نوفمبر، وجبهة التحرير الوطني على مثل تلك الفكرة أو الفرضية الواحدة المتمثلة في تحطيم الاستعمار وفي استعادة استقلال الشعب الجزائري منه، لا يعني بساطة ذلك البرنامج أو انعدام أي تنظير فيه وذلك لعدة أسباب منها:

أن أي فلسفة، قديمة أو حديثة أو معاصرة، ومهما كانت أصالتها، لا تفعل في النهاية سوى إعادة تناول قضية واحدة من القضايا الفلسفية الكبرى التي تناولتها الفلسفات السابقة عليها، لتحولّها، ومن خلال مقاربتها الجديدة لها، إلى المحور الذي تدور عليه كل طروحاتها الفلسفية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية «الجديدة»[25].

بذلك نفهم كيف شكلت قضية المعرفة، مثلاً، التي سبق أن شغلت العديد من الفلاسفة الذين سبقوا سقراط (تـ 399 ق م) المحور الأساسي لفلسفة هذا الأخير، والفلسفة السياسية عند أفلاطون(**)، محور فلسفة «الاشتراكيين الطوباويين»، (القرن 18)، وفلسفة «هيغل» (تـ 1834)، وغيره، محور الفلسفة الماركسية، وفلسفة «سقراط» و«نيتشه» (تـ 1900)، و«كيركيغارد» (تـ 1855)،

(*) Ait Ahmed, in Harbi, *Archives de la Révolution Algérienne*, édit, Jeune Afrique, paris, 1980, p. 46.

(24) R. Gallissot: *Qu'est - ce que la Révolution Algérienne?* in Retentissement de la Rév, alg, p. 196.

(25) H. Bergson: *La Pensée et le Mouvant*, PUF, 1969, pp. 117 - 118.

(**) أنظر: كتابه الجمهورية.

وغيره، حول الوجود والمصير الإنسانيين، محور الفلسفة الوجودية الألمانية منها والفرنسية على حد سواء.

ولأن الحقيقة نفسها تصدق على الثورات التحريرية، ومن ضمنها ثورة نوفمبر 1954، فإن اتخاذ هذه الأخيرة من استعادة الاستقلال الوطني كهدف لها، ذلك الهدف الذي لا يأخذ بذاته صفة الثورية، بل يأخذها من خلال الثورة والجماهير الملتحمة حوله، والذي ظلت الأجيال الجزائرية تعمل له، ومن دون جدوى حتى نوفمبر، ليمثل، بما يتطلبه من تجنيد للجماهير، ومن رفض لأنصاف الحلول ومن يقظة وعمل مستمرين تجاه مناورات المستعمر، لوحده برنامجاً كاملاً للنظر وللعمل لأي برنامج!؟

من هنا، فإن المهم ليس اقتصار برنامج نوفمبر على كلمة الاستقلال، كشرط أول وأخير لتوقفها، بل الكيفية التي استطاعت بها تجسيده فوق أرض الواقع ومدى أصالة تلك الكيفية وثوريتها.

إن البساطة أو التعقيد التنظري ليس معيار الجدية أو عدم جدية الفكرة عامة، والفكرة الثورية خاصة، لسبب بسيط وهو أن تعقد العديد من الأفكار والتنظيرات الفلسفية الثورية، وفي مقدمتها فلسفة كل من سقراط وهيغل والطوباويين، لم يجعلها مع ذلك تنفذ إلى كل من الواقعيين المزريين اليوناني والألماني، فضلاً عن تغييرهما له، في حين نجحت أفكار وفلسفات أقل تعقداً وأكثر بساطة، ومن ضمنها فلسفة نوفمبر، في اختراق واقعهما الوطني وفي تغييره رأساً على عقب، آخذة بذلك وبالتالي صفة الأصالة والثورية.

إن برنامج ثورة نوفمبر إذا كان قد بدا في مرحلته الأولى بتلك البساطة، فذلك بهدف عدم شغل الجماهير بجزئيات ذلك البرنامج على حساب مهمتها الأساسية المتمثلة في الكفاح، فإنه لم يلبث، وباعتراف أولئك الباحثين أنفسهم، أن بدأ، ومن خلال جدلية المواجهة العملية والمتنامية للواقع الاستعماري الملتهب والمعقد، في تحويل الوعي الوطني إلى وعي ثوري، والدفع الشعبي العارم إلى طاقة خلاقة[26]، مؤكداً بذلك، وباعتراف أولئك

(26) El-Moudjahid, N, 12, 15 Nov - 1957.

الباحثين نفسهم، بعد، ذلك «أنه مشروع مفكر فيه، وأن علاقة القوى كانت غير غائبة عنه»[27].

بذلك نفهم لماذا عجز عمالقة في الفلسفة وفي التنظير، وذلك من أمثال «سقراط»، و«أفلاطون»، و«هيغل»، و«نيتشه»، وغيرهم في تغيير واقعهم الوطني المزري وكيف انتهوا بالتالي إلى الاستلام له؛ في حين نجح بسطاء، من أمثال «غاندي»، و«هوشي مينه»، و«جمال عبد الناصر»، و«بن مهيدي»، و«بن بولعيد»، و«عبان رمضان»، و«عيسات إيدير»، و«عميروش»، و«ديدوش مراد»، و«العقيد لطفي»،و«زيغود يوسف» و«الطالب العربي»، وغيرهم كثيرون، في تغييره جذرياً.

وبذلك أيضاً نتبين أن قيمة أي فكرة أو فلسفة لا تكمن فحسب في مدى تعقدها النظري، أو في مدى اتساقها المنطقي فحسب، بل وفي مدى قدرتها على النفاد إلى الواقع المتواجدة فيه وعلى تغييره بالواقع الذي تنشده.

ولأن ذلك هو المعيار الذي تتمايز وفقه الفلسفات والأفكار، وبخاصة الثورية منها، عن غيرها من كل أشكال التنظير غير المجدي للواقع، وعن أشكال الأفكار الطوباوية والمراهقة الثورية، فإن العديد من الأفكار والفلسفات المعقدة والمتسقة قد تحولت، نتيجة لفشلها أمام اختبار الواقع إلى شعارات فارغة، في حين نجحت أفكار وفلسفات أقل تعقيداً وأكثر بساطة أمام مثل ذلك الاختبار، آخذة بذلك، وعن جدارة، مثل تلك الصفة الثورية.

إن مثل هذه الحقيقة هي التي تفسر لنا بالتالي سرّ ذلك القلق وذلك الخوف اللذان ينتابان صاحب كل مشروع ثوري جاد وحقيقي.

من هنا فإن ذلك القلق وذلك الخوف اللذان انتابا طلائع نوفمبر بدورهم، واللذان تعد تصريحات كل من محمد بوضياف ولخضر بن طوبال، وغيرهم، أصدق صورة له لا يعنيان، وكما اعتقد أولئك الباحثون، عدم الثقة في أنفسهم[28] و في مشروعهم أو انعدام أي فكر فيه، بل خوفاً عليه، وعلى

(27) M. Harbi: *la Guerre*, p. 168.

(28) M. Harbi: *le FLN, mirage*, pp. 115 - 120.

الفكرة التي من ورائه ومن العواقب الوخيمة (القمع الاستعماري الجديد) التي سيترتب في حالة فشله، بالنسبة إلى الشعب الجزائري.

إنه لا يضير بالتالي ثورة نوفمبر 1954 كثيراً، البساطة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية للرجال الذين شكلوا طلائعها الأولى وواكبوا انفجارها وانتصارها، وذلك لعدة أسباب كذلك من بينها: أن معظم الثورات الدينية[29] والسياسية، التي عرفتها الإنسانية منذ فجر تاريخها وحتى اليوم كانت طلائعها من البسطاء وهذا ابتداء من اليهودية والمسيحية والإسلام، وانتهاء بكل من الثورة الفرنسية (عام 1789) والروسية (عام 1917).

إن ثورة نوفمبر 1954، قد استطاعت بدورها، ومثل العديد من تلك الثورات، أن تؤكد، وبشهادة أولئك الباحثين أنفسهم[30]، أن أولئك البسطاء كانوا الوحيدين من بين كل الأحزاب السياسية الوطنية ورموزها، الذين أدركوا أن الجوّ الوطني ملائم للثورة، وأول من آمنوا كذلك بقدرة الشعب الجزائري على الدخول مع مستعمره في ثورة مسلحة من أجل حريته، وصمموا، على تلك الثورة، وسط شك وتشكيك البعض من تلك الرموز في إمكانية نجاحها.

ولعل أصدق من صور لنا مثل ذلك التصميم هو محمد بوضياف الذي أكد، عشية ثورة نوفمبر، استعداد طلائعها الأولى للقيام بها «حتى لو كان ذلك بقردة جبال الشفة»، ثم تأكيد تلك الطلائع غداة الاندلاع الفعلي لتلك الثورة «على تقديم» أغلى ما عندها، أي (حياتها)، في سبيل الوطن[31].

كما إن أولئك البسطاء، هم الذين كانوا وبشهادة، أولئك الباحثين أنفسهم أيضاً، وراء شلّ الآلة السياسية والعسكرية والاقتصادية والدعائية الاستعمارية الفرنسية، ووراء إسقاط الجمهورية الرابعة (سنة 1958) وهو ما لم يحدث أثناء الثورة الفييتنامية، بكل عظمتها التي لا يشك أحد فيها، فضلاً عن غيرها من

---

(29) أنظر: العهد القديم، «صافانيا»، 2، 3؛. انجيل متى 11 ـ 27؛ القرآن الكريم، الآية 5، سورة القصص؛ والآية 27 سورة هود.

(30) M. Harbi: *la Guerre*, p. 72.

(31) بيان 1 نوفمبر 1954.

المقاومات الوطنية المسلحة، وغير المسلحة الأخرى في المغرب العربي وفي أفريقيا، وغيرها، ضد المستعمر نفسه.

بذلك فتقت ثورة نوفمبر عبقرية الشعب الجزائري العسكرية والسياسية والإعلامية والأخلاقية والإنسانية، التي كانت من قبل مجمدة، وأنجبت في فترة لا تتجاوز الثماني سنوات، قادة سياسيين وعسكريين وإعلاميين، لم تعرفهم، وكما لاحظ فرحات عباس، الجزائر طيلة 128 سنة من الاستعمار[32]، بل لم تفرقهم العديد من بلدان العالم الأخرى ومن ضمنها البلدان الأوربية الغربية.

أنه لا يضير ثورة نوفمبر 1954 كثيراً، كذلك، أن تكون بنت انقسام[33]، لسبب بسيط، وهو أن الثورة باعتبارها، وكما سبق أن أشرنا في فصول هذه الدراسة، انفصاماً في الواقع الاستعماري والاستبدادي القائم، وقطيعة جذرية معه ومع الممارسات المعهودة تجاهه، لا يمكنها أن تكون بالتالي إلاّ بنت انقسام، لأنها لو كانت غير ذلك لما كانت ثورة، أي حدثاً غير عادي.

وبالنسبة إلى المشاكل والتناقضات والتصفيات والتجاوزات التي عرفتها ثورة نوفمبر أثناء سيرها، فإننا لا نظن أننا في حاجة إلى التذكير، مرة أخرى، بأن ذلك هو شأن كل الثورات الكبرى وفي مقدمتها الثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة الصينية.

ثانياً: نوفمبر وجمال عبد الناصر

أما في ما يتعلق باتهامات مصالي الحاج، من جهة، لبعض رجال نوفمبر «بوضع الحزب تحت وصاية جمال عبد الناصر» (تـ 30/ 9/ 1970)، واتهامات البعض من هؤلاء الآخرين، من جهة أخرى، للبعض الآخر منهم «بالعمالة لمصر»[34]، فإننا لا نعتقد أنه بإمكان أحد اليوم تصديقها، تماماً كما إنه ليس

---

(32) أنظر خطاب فرحات عباس بمناسبة الإعلان عن قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، أيلول/ سبتمبر 1958.

(33) M. Harbi: le FLN, mirage, pp. 115 - 120.

(34) Ibid, p. 183.

بإمكان أحد كذلك أخذ تلك الكتابات المصرية حول الدور الأول الذي قالت إن مصر الناصرية قد لعبته في ثورة نوفمبر 1954[35]، مأخذ الجد، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها :

أن تصريحات مصالي الحاج كان مبعثها، في ما نعتقد، ذلك الصراع بين الزعيم وبين أبنائه الذين تجاوزوه وخرجوا عليه، وذلك من خلال إقدامهم على إشعال فتيل تلك الثورة، بعيداً عنه وعن حزبه.

ذلك ما أكدته على أي حال الاعترافات المتأخرة لمصالي الحاج نفسه، الذي أكد «الطابع الوطني لثورة نوفمبر 1954 التي ولدت من لهيب الواقع الاستعماري واستمدت مضمونها منه»[36].

إن الحقيقة تصدق نفسها، تقريباً، على اتهامات البعض من رجال نوفمبر، للبعض الآخر من زملائهم، وبخاصة، «أحمد بن بلة»، «بالعمالة لمصر»[37].

ذلك ما تؤكده كذلك التصريحات المتأخرة لواحد من أبرز أولئك الرجال، ألا وهو، «آيت أحمد»، الذي أوضح في هذا الصدد[38] «أن مثل تلك الاتهامات «لأحمد بن بلة» ليست جدية، لأن ما كان يربطه بمصر، هو مفهوم معين للكفاح، وهو المفهوم الذي يقلل من شأن الكفاح السياسي ولا يركز إلا على العمل المسلح».

«لقد فهمت ذلك، وكما أضاف آيت أحمد، يوم أن أخبرت فتحي الذيب) تـ 2003 (برغبتنا في الذهاب إلى باندونغ (عام 1955)، وحين أجابني: أنتم أيضاً تريدون ممارسة السياسة مثل صالح بن يوسف[*]!؟»،

---

(35) فتحي الذيب: عبد الناصر والثورة الجزائرية، دار المستقبل، القاهرة، 1984.

أنظر أيضاً: Feghour Daho: *Nasser and the algerian revolution*, M.A, 1980, University of Denver, Colorado, U.S.A .

(36) Messali Hadj: *Mémoires*, Lattès, paris, 1982, p. 213.

EL-Moudjahid, No, 4 Spécial, (Soumam)

(37) M. Harbi: le FLN, p. 183.

(38) El- Moudjahid No, 4, (Congrès Soumam).

(*) صالح بن يوسف: أحد رجال الحركة الوطنية التونسية، (الحزب الحر الدستوري)، عارض منذ عام 1955 سياسة المراحل التي اتبعها الزعيم الحبيب بورقيبة مع فرنسا حول استقلال تونس (عام 1956)، والذي اغتيل في فرانكفورت (ألمانيا الغربية سابقاً) سنة 1961.

«لقد طلب بن بلة من عبد الناصر أسلحة وحصل عليها».

أننا إذا كنا لا ننكر مدى عمق العلاقة التي ربطت دوماً الجزائر ومصر، والتي تجلت في كل أبعادها أثناء ثورة نوفمبر 1954، وإذا كنا لا ننكر كذلك الدور المعنوي والمادي الكبير الذي لعبته، وباعتراف ثورة نوفمبر نفسها، مصر إلى جانب كل من تونس والمغرب وليبيا بخاصة، وغيرها من الدول العربية وغير العربية. (يوغوسلافيا سابقاً، الصين)، لدى اندلاع هذه الثورة وأثناء مسيرتها، أو إسهامها في حل العديد من الأزمات التي عرفتها خاصة من خلال الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[39]، فإننا نرفض بالتالي تلك الصورة السوداء التي يحاول البعض من الحاقدين على كل من الجزائر ومصر رسمها لعلاقاتهما أثناء هذه الثورة[40].

ذلك أن العلاقة التي ربطت جزائر ثورة نوفمبر بمصر ثورة يوليو، إذا كانت قد خضعت في بعض الأحيان لمتطلبات سياسة مصر الخارجية، وهو الموقف الذي لم تكن فيه وحدها، بل شاركتها فيه البعض من الدول الشقيقة والصديقة[*]، والضغوط الاستعمارية التي كانت تواجهها ثورة يوليو 1952، من جهة، ولمحدودية إمكانيات مصر المادية والعسكرية، ولبعض محاولات تدخل هذه الأخيرة في سير الثورة[**]، وللوقف المؤقت لبرامجها الإذاعية الموجهة من «صوت العرب»، ولحجز السلاح، واتهام بعض قادة ثورة نوفمبر لبعض أجهزتها السرية وللأمير عبد الكريم الخطابي كذلك، بالتورط في ما عرف بـ «محاولة انقلاب محمد لعموري» (عام 1959) الخ، فإن كل ذلك وغيره، لا يجب أن يحجب عنا تلك الصورة المضيئة التي ظلت تتسم بها علاقة ثورة نوفمبر بثورة يوليو[41].

---

(39) M. Harbi: le FLN, pp. 163 - 168 - 216 - 220.

(40) cf: A. Camus: Chroniques Algériennes (1939 - 1958) Paris,Gallimard, 1958, p. 203.

(*) cf: M. Harbi, Le FLN, mirage, pp. 220, 223, El MOUDJAHID n 27, 22 - 07 - 1958 nn 83, 19 - 07 - 1961.

(**) اتهم البعض من قادة ثورة نوفمبر المخابرات المصرية والأميرعبد الكريم الخطابي بالوقوف وراء محاولة انقلاب محمد لعموري (الحدود الجزائرية ـ التونسية 1959)

(41) G. Meynier: les Algériens vus par le pouvoir égyptien d'après les mémoires de Fathi Dhib, in Rev, Naqd (Alger) N4, janv - mars, 1993.
M. Harbi, *le FLN*, p. 168 - 174.

لكل ذلك فإننا لا نظن أننا نقفز كثيراً فوق الحقائق حينما نقول إن تلك الكتابات المصرية المضخمة لدور مصر وجمال عبد الناصر في ثورة نوفمبر، إنما كانت تستهدف في الأساس التصدي لتلك الحملة الشرسة التي تعرضت لها مصر عبد الناصر أثناء حكم الرئيس السادات (تـ 1981)، أكثر مما كان تستهدف التقليل من شأن هذه الثورة أو المساس بالبعض من رجالها.

ثالثاً: نوفمبر والتيارات الثورية العالمية: انفعال أم تفاعل؟

إن تلك الاتهامات التي سبقت، تقودنا إلى اتهامات أخرى أكثر خطورة، بالنسبة إلى الحركة الوطنية الجزائرية عامة، وبالنسبة إلى ثورة نوفمبر بخاصة، وهي الاتهامات التي تذهب إلى أن هذه الأخيرة لم تفعل سوى استعارة الأيديولوجيا المشرقية، (تلك الأيديولوجيا التي لا تحمل أي رسالة تاريخية والتي لم تتفاعل بالتالي معها سوى بعض الحركات المشاغبة من الغوغائيين ومن المثقفين).

ورداً على تلك الاتهامات، وغيرها، نقول: إن الحركات الوطنية عامة، ومن ضمنها الحركة الوطنية الجزائرية، والثورات التحريرية خاصة، وفي مقدمتها ثورة نوفمبر، باعتبارهما ظواهر غير منعزلة عن المعطيات الوطنية والإقليمية والعالمية، لا يمكنها الإدعاء بأنها لم تتأثر، بشكل أو بآخر، بمثل تلك المعطيات.

ليس المهم بالتالي تأثر هذه الحركة الوطنية أو تلك، أو هذه الثورة التحريرية أو تلك، بالتيارات الإقليمية والعالمية المتواجدة في عصرها، بل إن المهم هو الكيفية التي تم بها توظيفها لتلك التيارات والمعطيات للإطاحة بالنظام الاستعماري، أو الاستبدادي واقتلاع جذوره.

ضمن هذا المنظور، فإن هذه الدراسة، إذا كانت أول من يسلم أن الحركة الوطنية الجزائرية قد تأثرت بالحركة الثورية العربية في المشرق، بل وبالعديد من الأيديولوجيات الوطنية والعالمية الأخرى، فإننا أول من يلاحظ كذلك، وفي الوقت نفسه، أن ذلك التأثر لا يجب أن يعني، وبخاصة بالنسبة إلى تلك الأيديولوجيات الأجنبية، النقل الأعمى لها.

لقد تأثرت ثورة نوفمبر، وإلى حد كبير، بالتيار النهضوي العربي الإسلامي الذي غمر، منذ مطلع هذا القرن، العالم العربية والإسلامي، وذلك من خلال دعاوى الثورة، (جمال الدين الأفغاني)، ومن خلال دعاوى الإصلاح (محمد عبده، تـ 1905)، تلك الدعوات المنادية كلها بضرورة نهضة العرب والمسلمين من جديد، كشرط لتحررهم السياسي ولتقدمهم العلمي والثقافي والاجتماعي

أما على المستوى الدولي، فإن تأثر الحركة الوطنية الجزائرية عامة، وثورة نوفمبر بخاصة، قد تمثل في استفادة هذه الأخيرة بصورة خاصة، من المد الثوري الذي غمر العالم الثالث بعد فترة من انتصار الثورة الروسية، كما تمثل كذلك في استفادتها من الحركات التحررية ومن المقاومات الوطنية المسلحة التي بدأ العالم الثالث ينشدها، خاصة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وما أحدثته من تغيرات في موازين القوى الدولية.

بذلك شكل انتصار الثورة الفيتنامية، وشروع كل من تونس (عام 1953) والمغرب (عام 1954) في المقاومة المسلحة ضد المستعمر نفسه، إضافة إلى قيام الأمم المتحدة ومناداتها بحق كل الشعوب في تقرير مصيرها (عام 1946)، ونجاح حركة الضباط الأحرار في مصر (تموز/يوليو1952). .الخ، عوامل مشجعة وملهمة لثورة نوفمبر.

غير أن تلك الأيديولوجيات، والتيارات الثورية والفلسفية، وفي مقدمتها الفلسفة الماركسية والوجودية، وكل تلك التغيرات في موازين القوى العالمية والإقليمية، لا تكفي، على الرغم من أهميتها، من التمكين لثورة نوفمبر، أو لأي ثورة أخرى في حجمها، ومن إرساء مثل تلك الفلسفة المتكاملة والفاعلة بعمق فوق أرض الواقع الاستعماري في الجزائر.

فالبعض من تلك التيارات النهضوية العربية الإسلامية، وبخاصة تلك التي انتشرت أكثر من غيرها في الجزائر، وهي تيارات الإصلاح، طرحت وكما سبق أن أشرنا، قضية تحرير العالم العربي والإسلامي من دون مراعاة للظروف الاستعمارية في كل بلد فيه، ومن دون وعي كافٍ منها بطبيعة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بخاصة، ذلك الاستعمار الاستيطاني الصليبي

العنصري، الذي لا يمكن أن يرحل عنها وعن غيرها إلا بالقوة، لسبب بسيط وهو أنه لم يقم ولم يستمر إلا بالقوة.

وبالنسبة إلى تلك الثورات التحريرية وتلك المقاومات الوطنية المسلحة التي عرفها العالم الثالث بصورة عامة، ومن ضمنه العالم العربي والإسلامي، فإننا نلاحظ أنها لم تكن تواجه بالتالي الوضعية الاستعمارية نفسها التي كان يواجهها الشعب الجزائري.

فالبعض منها، مثل فيتنام، التي لا نقلل من عظمة ثورتها التحريرية، كانت بعيدة جداً عن المركز الاستعماري، في حين كانت المقاومة الوطنية المسلحة في كل من تونس والمغرب تعمل، انطلاقاً من دول خاضعة للحماية.

أما بالنسبة إلى الجزائر، فقد كانت وضعيتها مختلفة تماماً وذلك نظراً إلى ذلك الاستعمار الاستيطاني الذي تعرضت له، ونظراً إلى مجاورتها للضفة الجنوبية لفرنسا، وهي الوضعية التي كانت واحدة من العوامل التي دفعت الاستعمار الفرنسي إلى اعتبارها، ومنذ عام 1865، «جزءاً لا يتجزأ من فرنسا».

لكل ذلك ولغيره، لم تستفد ثورة نوفمبر، ومثل الثورة الفييتنامية، من عامل البعد الجغرافي عن المركز الاستعماري، كما لم تستفد كذلك، ومثل كل من تونس والمغرب، من التخفيفات الاستعمارية المترتبة عن وضعيتها كحماية.

ولذلك لم يكن بإمكان فلسفة الثورة الجزائرية المراهنة على الملل الحتمي للمستعمر، نتيجة لذلك، بل أدركت ومنذ البداية أنها أمام وضعية استعمارية خاصة في تعقدها وأنها مطالبة بالتالي بابتكار أسلوبها الثوري الخاص إزاءها، من دون رفض للاستفادة من دروس تلك المقاومات الوطنية، كلما كان ذلك ممكناً في الوقت نفسه.

وفي ما يخص تلك الأيديولوجيات والفلسفات الثورية العالمية، وبخاصة الفلسفة الماركسية، والفلسفة الوجودية، ممثلة خاصة في جناحها الفرنسي، فإننا نلاحظ، وكما سبق أن أشرنا في الفصول السابقة من هذه الدراسة، أنه

إذا كانت الماركسية، والأحزاب التابعة لها في العالم الثالث، وغيره لم تنظر إلى قضايا تحرير الشعوب، وبخاصة شعوب العالم الثالث، إلا من خلال استراتيجيتها المتمثلة في المواجهة بين المعسكرين، الاشتراكي والرأسمالي، متناسبة بذلك خصوصية تلك الثورات الوطنية التحريرية المضادة للاستعمار، والتي تتطلب معطيات تناقض أطروحات واستراتيجية الماركسية، فإن الفلسفة الوجودية الفرنسية، ممثلة بصورة خاصة في «جان بول سارتر» (تـ 1980)، وفي مدرسته، على الرغم من مناداتها بالحرية، ومن ربطها لهذه الأخيرة بالالتزام[42]، فإن تلك الحرية تظل، نتيجة لمضمونها الفردي ولهدفها المتمثل في إرادتها لذاتها، حرية أشبه بالجزر المنعزلة، وغير القابلة بالتالي للانصهار في مشروع جماعي من أجل حرية المجموع كما تهدف إلى ذلك كل ثورة.

إن مثل هذه الحقائق، وغيرها، هي التي كانت وراء إدراك فلسفة نوفمبر، لضرورة إبداع فكرتها المتميزة التي تتماشى وخصوصية المعطيات الاستعمارية التي ترزح تحتها الجزائر، ووراء تميزها بالتالي، ممارسة وأهدافاً ونتائج، عن العديد من الثورات التحررية المعاصرة لها.

كما إن مثل هذه الحقائق هي التي كانت كذلك وراء أصالة وتميز تلك الفلسفة التي جاءت، وكما سبق أن أشرنا في الفصول الأولى من هذه الدراسة، بمثابة الثمرة الفريدة لعبقرية الشعب الجزائري، والتعبير الصادق عن آلامه وآماله، والتجسيد الحي لفاعليه قيمة العربية الإسلامية ولتقاليد النضالية العريقة.

بذلك لم يزد اختبار الواقع الوطني تلك الفلسفة إلا اتساقاً، ومنهجها إلا فاعلية، تماماً كما لو يزد استلهام العالم الثالث لها، في كفاحه الثوري، آفاق تحرره إلا اتساعاً.

وبذلك أيضاً، كان لثورة نوفمبر وللفلسفة التي كانت من ورائها، ذلك التميز في الأسلوب وفي النتائج، لا بالنسبة إلى كل المقاومات والانتفاضات

---

(42) P. Foulquié: Cours de philosophie, Col,livre de poche, lib, A.Colin, paris,1954,T. II, pp. 409 -411.

الوطنية التي سبقتها فحسب، بل وبالنسبة إلى العديد من الثورات التحريرية المعاصرة لها.

على ضوء هذه التوضيحات والتصريحات، تتحول كل تلك الادعاءات والطروحات، وبخاصة الاستعمارية منها، حول الحركة الوطنية الجزائرية عامة، وحول ثورة نوفمبر 1954 بخاصة، وحول غياب التنظير فيها إلى مجرد إشكالات وإلى حجج عليهم، لا لهم.

لقد ولدت الفكرة الوطنية الجزائرية، وخاصة الحديثة، من التعسف الاستعماري الفرنسي، وهو التعسف الذي أضفى عليها وعلى كفاح الشعب الجزائري من خلالها، ذلك الطابع المأساوي الذي سبقت الإشارة إليه والذي جعلها تتطابق في النهاية مع الكفاح من أجل الحياة ومن أجل البقاء.

إن هذه الحقيقة لتتأكد مرة أخرى، حينما نعلم أن أولئك الوطنيين «المشاغبين» وأولئك المثقفين، ظلوا، وبالرغم من تلك «الأيديولوجيا المستعارة» مرتبطين، وبعمق، بوطنهم، الذي كان متقبلاً « لعدوى» وطنيتهم ولأيديولوجيتهم تلك، وهذا بالرغم من كل أشكال القمع الاستعماري، الاقتصادي والعسكري، التي وإن كانت موجهة في الأساس ضدهم،(أي الوطنيين)، فإنها لم تلبث أن أحدثت وسط الجماهير الجزائرية ردود أفعال نفسية كانت وراء ذلك التسارع الذي شهده تبلور وعيها الوطني والثوري الذي قادها في النهاية إلى ثورة نوفمبر 1954[43].

كما إن هذه الحقيقة حول الفكرة الوطنية الجزائرية، الحديثة والمعاصرة هي التي تفسر لنا، بالتالي حقيقة فلسفة نوفمبر 1954، التي كانت بمثابة التتويج النهائي والحاسم لتلك الفكرة، وذلك من خلال تمثلها العميق لكل التجارب التي واكبت هذه الأخيرة، ومن خلال تجاوزها لها بعد ذلك.

بذلك نفهم، كيف استطاعت ثورة نوفمبر، بالرغم من «بساطة» الأفكار التي كانت وراءها في البداية، أن تبلور الوعي التاريخي والوطني الجديد

---

(43) M. Lachraf: *l'Algérie, nation et société*, p. 120.

لدى الجماهير الجزائرية، وأن تضفي عليه التزامها تجاه ذلك الكفاح السياسي والمسلح الذي جاءت حاملة له بدورها والذي أخذ من خلالها معنى ومضموناً، أكبر بكثير من كل تلك الأفكار التي كانت وراءها في البداية[44].

إن ذلك، يعني أن ما كان يشغل ثورة نوفمبر 1954 بالدرجة الأولى ليس الشعارات أو التنظيرات المنطقية والمجردة فحسب، بل وحدة الشعب الجزائري وتجنيده معنوياً ومادياً حول معركة استعادة حريته وكرامته المغتصبتين بحد السلاح.

بذلك فاجأت ثورة نوفمبر 1954، بتجاوزها للأطر الفكرية والثقافية والاجتماعية والنضالية التقليدية، لا الجماهير الجزائرية أو المستعمر فحسب، بل رجالها أنفسهم، الذين اعترفوا، أن سبب الصعوبات، التي بدأوا يعرفونها وسط تصاعد تلك الثورة، هو المساهمة الجماعية، غير المتوقعة، بهذا الشكل وبهذه السرعة للشعب في الثورة[45].

وبذلك أيضاً تجاوزت ثورة نوفمبر من خلال عملها السياسي والعسكري، اللذين لا تصور لهما في غياب نظرية ثورية، كل الممارسات الوطنية السابقة، الإصلاحية، والمتذبذبة، القاصرة وغير الفاعلة في الواقع الوطني المأزوم الذي توهمت أنها قادرة على تغييره.

على أنه يجب أن نلاحظ هنا أن هذا التحول الجذري والشامل الذي حققته ثورة نوفمبر في الوعي الوطني الجزائري لا يجب أن يفهم، وكما لاحظ ذلك بعض الباحثين[46]. «على أنه تآكل للحس الوطني، أو استبدال له بأيديولوجية مغايرة، بل إنه تعميق عضوي لوعي، ظل محتفظاً بطابعه الوطني، ذلك الطابع الذي لم تفعل تلك الثورة سوى إدماجه وصهره ضمن نظرة أوسع وأشمل».

---

(44) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 138 - 139; L. Bentobal: Conférence aux cadres, in Harbi, le FLN, mirage, 1960.

(45) R. Malek: *Tradition et Rév*, p. 139.

(46) M. Lachraf: l'*Algérie, nation*, 138 139.

إن ذلك الوعي الوطني الجديد، بما يجسده من تحقق ومن انسجام وانتظام على المستوى الوطني والكوني، والذي يشكل حجر الأساس لكل مشروع ثوري حقيقي، ليعد أول وأبرز إنجاز لثورة نوفمبر 1954، بل وللجزائر المعاصرة بأكملها. لسبب بسيط وهو أن الجزائر لا تعني اليوم شيئاً بالنسبة إلى ذاتها، وإلى غيرها، إلا بفضل ذلك الوعي[47].

من هنا فإن المهم يصبح لا الاستمرار في التوقف عند مثل تلك «الإشكاليات»، بل إبراز تلك الفلسفة التي كانت وراء تلك الثورة التي حققتها.

---

(47) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 138 - 139.

الفصل السادس

فلسفة نوفمبر ما هي؟

أولاً: فلسفة نوفمبر بين مشكلة التعرف وإشكالية التعريف

تعتبر فلسفة الثورة، الفلسفة الوحيدة، من بين كل فروع الفلسفة الأخرى، التي تعكس بصورة مباشرة، واضحة وعملية، تاريخ وحضارة وتطلعات وقيم الأمة النابعة منها.

وهذه الميزة التي تتميز بها فلسفة الثورة عن غيرها من فروع الفلسفة الأخرى مرجعها، في ما نعتقد، إلى أن الثورة، بما تفجره من طاقات في الجماهير، وبما تكشف عنه من إبداعات لديها، وبما تحققه من إعادة التئام في ما بينها من جهة أخرى، تعد بالتالي أصدق من يعكس نفسية الأمم والشعوب، وقدرتها على تجاوز محنها وعلى النهوض، قتالاً وتضحية، من كبواتها الحضارية، وعلى العودة من جديد إلى الفعل المؤثر في التاريخ، ذلك الفعل القادر وحده على إعادة انتظامها معه، بعد توهم أعدائها، وبخاصة المستعمرين، أنهم قد نجحوا في إبعادها، بقوة الحديد والنار، عنه نهائياً.

لكل ذلك ولغيره، كانت فلسفة الثورة أصدق دليل للأمة وأنجع فعل لها في مسيرتها نحو مستقبلها ونحو انبعاثها وتجددها المستمرين.

وفلسفة الثورة لا تأخذ مثل ذلك الدور المصيري في مصير ومسار الأمم والشعوب، إلا لقدرتها على التفاعل بعمق مع الواقع الوطني والعالمي المتواجدة فيهما، ذلك التفاعل الذي نلاحظ أنه إذا كان يضفي عليهما بالتالي

تلك الأبعاد الوطنية والعالمية، فإنه هو ذاته الذي يجعل عملية التعرف عليها وتحديد مضمونها وطبيعتها وخصائصها المتميزة، عملية صعبة.

وهذه الصعوبة لا تعود، وكما سنرى، إلى ذلك التداخل بين هذه الفلسفة وبين غيرها من تلك الفلسفات الوطنية والعالمية السابقة والمعاصرة لها فحسب، بل إنها تعود كذلك وفي الوقت نفسه إلى الطابع المتغير والمتطور للثورة المجسدة لها، ذلك التغير والتطور اللذان يجعلان بداية هذه الأخيرة مختلفة بصورة كلية تقريباً عن نهايتها، كما إنها تعود كذلك إلى الخلفيات الأيديولوجية لمن يحاولون مقاربتها والتعرف عليها لتعريفها، أي لتحديد هويتها.

ذلك أن التعرف على أي شيء أو ظاهره عامة، وعلى الظاهرة الثورية بخاصة، وصولاً إلى تعريفها وتحديد خصائصها المميزة لها، عن غيرها من الظواهر الثورية الأخرى أو المماثلة لها، أي لتعريف هويتها، ولتأكيد استمرارية تماثلها مع ذاتها على حد تعبير أرسطو[1] وغيره من الفلاسفة المسلمين الذين ساروا على نهجه[2]، أو «نفس شيئيتها» على حد تعبير «فولتير»[3] لا يمكن أن تتحقق إلا بعد إدراكنا المباشر لها (أي للظاهرة الثورية) أو غير المباشر (وذلك من خلال آثارها كما هو الحال بالنسبة إلى الذكاء والكهرباء مثلاً)، وليس قبل.

لكل ذلك فإن عملية تحديد الهوية لأي شيء أو ظاهره من فعل العقل ومن فعل الذاكرة في الوقت نفسه، وليست من فعل الشيء أو الظاهرة التي لا تعي ذاتها؛ فهي من فعل العقل لأن مبدأ الهوية يشكل المضمون العميق للعقل[4]؛ وهي من فعل الذاكرة، لأنها عملية تقوم أساساً على تأكيد استمرارية مطابقة الصورة الحالية لشيء أو لظاهرة وعدم تناقضها مع تلك الصورة التي سبق أن كوناها عنها.

---

(1) Gresson (A): Aristote, PUF, 1963, Collection « Philosophes », p. 80.

(2) Voltaire: (F.M.A de): Dictionnaire Philosophique, paris, Flammarion, (Voir Identité).

(3) Ibid.

(4) E. Meyrson: *Identité et Réalité*, Alcan, paris, 1907.

وحين نعجز عن التعرف عن الهوية المعهودة للشيء أو للظاهرة، كما يحدث لنا ذلك كثيراً، فإن ذلك العجز قد يكون، وكما تذهب المدرسة الشكلية، ناتجاً إما من فقدان الظاهرة لمعظم خصائصها المميزة لها، وحلول خصائص أخرى وهوية أخرى مكانها[5]، أو من خلل في ذاكرتنا[6]، أو من خلفيات ثقافية أو أيديولوجية[7].

إن هذه الحقائق حول الهوية إذا كانت تصدق على كل الأشياء والظواهر، فإنها تصدق أكثر على الظاهرة الثورية والفلسفة المجسدة لها كذلك.

كما إن هذه الحقائق هي التي تجعل بالتالي المفهوم الهيغلي الجدلي للهوية أقرب إلى الثورة وإلى فلسفتها من المفهوم «الأرسطي السكوني».

لقد رأى «هيغل»[8] أن الوجود مسار من المتناقضات المتجددة والمتجسدة أبداً، عبر صيرورته الثلاثية الجدلية المعروفة: القضية ونقيضها ثم مركبهما، ذلك المسار الذي يحدد مضمون وتطور كل واقع وصولاً إلى تحقيق الفكرة الأبدية التي تتجلى في المكان بوصفها طبيعة، وفي الزمان بوصفها روحاً، والتي لا يتطابق فيها الواقع مع العقل إلا لكي تصبح الطبيعة جزءاً من التاريخ الإنساني، ولا يتوحد فيها بالتالي مضمون التاريخ مع مضمون العقل، إلا لكي تصبح فلسفة التاريخ مجرد عرض لتاريخ مضمون العقل ممثلاً في تلك الفكرة، أو الروح الأبدية، الهادفة، من خلال عملها على مطابقة التاريخ للإمكانيات البشرية، إلى الحرية بمفهومها العقلي المطلق، والتي تشكل جوهر الوعي الإنساني والغاية الحقيقية والنهائية لكل تاريخ ولكل فعل لذلك الوعي فيه[9].

ولأن مثل هذه المطابقة لا تتحقق، وكما أضاف هيغل، إلا من خلال الدولة،(التي اعتبر الدولة الجرمانية التي عاصرها نموذجها الأمثل)، التي تشكل، مثل الدين، المجال الوحيد الذي يتوحد فيه الكوني مع الإرادة

---

(5) P. Guillaume: la *Psychologie de la forme*, paris, Flammarion,1937, pp. 22-77.

(6) cf: J. Delay: *les Maladies de la Mémoire*, PUF, 1942.

(7) J. Cazenave: Dix grandes notions de la sociologie, col/points, paris, seuil, 1976, pp. 61 - 67- 167.

(8) Hegel: *La raison dans l'histoire*, p. 47 -299 - 93.

(9) Cf:- J. Spenlé: *la Philosophie Allemande*, paris, H, corbin, 1942, pp. 96 - 101.

الفردية، وتلتقي وتتفاعل ضمنه كل أوجه الحياة الإنسانية، ممثلة بصورة خاصة في مختلف الفنون وفي القانون وفي الأخلاق.. الخ، فإن الدولة تعتبر بالتالي المجال الأول الذي تتجلى فيه الفكرة الأبدية، والحقيقة الإيجابية الوحيدة، والوسيلة الأولى لتجسيد مثل تلك الحرية الفردية والجماعية على حد سواء، ولمعايشتها كذلك في الوقت نفسه[*].

بذلك ينتهي التناقض بين الهوية والمغايرة، بين الثبات والتغير، بين الذات والموضوع، بين الفكر والواقع، ذلك التناقض الذي ما كان ممكناً لولا اغتراب الفكر في الطبيعة، ذلك الاغتراب الذي لا حلّ له بالتالي إلا باستعادة الذات، عن طريق الصراعات التي تتخلل تاريخها، لوعيها بذاتها باعتبارها أولاً وقبل كل شيء فكراً أو عقلاً إلهياً.

إن هذا المفهوم الجدلي للوجود هو الذي جعل هيغل يؤكد بالتالي، أن الشيء لا يكون واقعياً ما لم يستطيع حفظ وجوده في صراع الحياة والموت المتجدد عبر تدفق تلك الصيرورة، وهو الصراع الذي رأى أنه يدور أساساً بين الإنسان وبين أوضاع حياته.

لذلك كانت الواقعية عند «هيغل» هي تلك المجسدة لمسيرة الوجود المتجددة والتي يغدو فيها ما هو كائن أو واقع شيئاً غير ذاته باستمرار.

وبذلك تتحول الهوية عند هيغل إلى عملية سلب مستمر للوجود، أو الواقع، الناقص، وصولاً إلى استكماله وكماله، وذلك من خلال وعي الذات الواعية له بحريتها تجاهه، وهو الوعي الذي يشكل في النهاية المضمون الترانسندنتالي، أي المتسامي، للتاريخ.

بمثل هذا المفهوم الدينامي، أي الحركي للهوية، وهو المفهوم الذي نلاحظ أنه قد سبق لكل من «هراقليطس»[10] «وابن خلدون»[11] توظيفه، تتحول الهوية إلى مشروع متفتح على الواقع المتجدد والمتواجدة فيه، تفتحاً

(*) cf: Hegel: *la raison dans l'histoire.*

(10) J. Brun: *Héraclite, Séghers*, paris, 1969, p. 35.

(11) إبن خلدون: المقدمة، فصول: العمران والمعاش، والمنطق.

لا يلغي خصوصيتها بالتالي، بل يجعلها حقيقة حيّة، متجددة باستمرار، بعد أن كانت لدى «أرسطو» ثابتة وسكونية.

وبمثله كذلك يتحول الإنسان وإنجازاته، ومن ضمنها التاريخ إلى تاريخ مضاف للطبيعة وإلى حصيلة لحركة إنسانية واعية ومتجددة فيه، ومجددة له في الوقت نفسه.

على ضوء هذه الملاحظات حول التعرف وعلاقته بالتعريف من جهة، وعلاقة كل منهما بالهوية من جهة أخرى، نعرض الآن لفلسفة نوفمبر لنقول إنها قد شكلت، شأنها شأن غيرها من الفلسفات الثورية الأخرى، بما شهدته من تطورات وبما جسدته من أحداث ومن تحولات، لأصحابها ولمحلليها على حد سواء، صعوبات، في التعرف عليها وفي تعريفها.

إن هذه الصعوبات التي ميزت مقاربات نوفمبر عامة وفلسفته بخاصة، تتجلى في كل أبعادها، حينما نذكر أن نوفمبر، الحدث، لم يكن منفصلاً عن غيره من الأحداث التي سبقته والذي جاء، وكما سبق أن أشرنا، بمثابة التتويج النهائي والحاسم لها، تماماً كما إنه لم يكن منفصلاً كذلك وفي الوقت نفسه عن غيره من الأحداث الإقليمية والعالمية التي سبقته وعاصرته، لسبب بسيط، وهو أن الجزائر التي كانت مسرحاً له، لم تكن، في أي يوم من الأيام، وحتى في أحلك ظروفها الاستعمارية، منقطعة عما يجري حولها أو في العالم من أحداث، وذلك نظراً إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي، لا بالنسبة إلى منطقة المغرب العربي أو أفريقيا فحسب، بل وبالنسبة إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وبخاصة الغربية منها.

إن الحقيقة نفسها تصدق كذلك على فلسفة نوفمبر التي لم تكن منفصلة بدورها عن العديد من التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية لعصرها.

لكل ذلك ولغيره، فإنه إذا كانت مقاربة نوفمبر، الحدث، للتعرف عليه ولتعريفه تتطلب بالتالي الأخذ بعين الاعتبار لكل الأحداث الوطنية والعالمية التي سبقته وعاصرته، فإن مقاربة نوفمبر، الفلسفة، تتطلب كذلك وبدورها، الأخذ بعين الاعتبار لكل تلك التيارات الفكرية الوطنية والإقليمية والعالمية التي سبقتها وعاصرتها.

وهكذا فإنه إذا كان من المتعذر الحديث عن نوفمبر الحدث من دون التعرض، مثلاً، لكل من مقاومة الأمير عبد القادر وأحداث الثامن من أيار/مايو 1954، وغيرها من الأحداث الوطنية الأخرى، فإنه من المتعذر كذلك الحديث عن فكرة «المنظمة السرية «وعن اللجنة الثورية للوحدة والعمل من دون تعرض كذلك، لا لأبطال الإسلام الأوائل، وذلك من أمثال علي بن أبي طالب (ﷺ) وحمزة (ﷺ) وعمار بن ياسر وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وعبد الكريم الخطابي وغيرهم فحسب، بل و«لزباتا» حركة «سين ـ فاين» (أيرلندا)، و«أصحاب الحواجز»، «الباريكاديست» 1830 ـ 1871 من شيوعيي بلدية باريس، والثوار «الاجتماعيين الوطنيين»، و«الاشتراكيين الأوروبيين» وغير الأوروبيين، وذلك من أمثال «بوليفار»(*) و«ماو ـ تسي ـ تونغ» و«غاندي» وجمال عبد الناصر وهو شي مينه،. إضافة إلى حركات المقاومة الوطنية الأوروبية للنازية، ومن ضمنها المقاومة الفرنسية.

إن الحقيقة نفسها تصدق أيضاً على فلسفة نوفمبر التي لا يمكن لأي باحث مقاربتها بصورة موضوعية، من دون التطرق، من ناحية إلى الفكرة الوطنية التي سبقتها ومهدت لها؛ تلك الفكرة التي «ولدت من لهيب الواقع الاستعماري المعاش وتطورت وسط صراعات قمعه وقهره وإذلاله واستغلاله وإرهابه اليومي للشعب الجزائري، والتي ظلت فاعلة، وبعمق في الواقع الوطني الجزائري، ومنتشرة بالتالي داخل الجماهير نتيجة لتلك العلاقة الجدلية بينها وبين ذلك الواقع الاستعماري، الرازحة تحته، وهذا حتى قبل أن تجد تعبيرها المنظم والفاعل من خلال الجماعات والأحزاب السياسية الوطنية»[12]، ومن خلال كل التيارات الفكرية الفلسفية التي سبقتها وعاصرتها كذلك.

فمن مثل تلك الفكرة أو الأيديولوجيا الوطنية، استقت فلسفة نوفمبر نظرتها المتميزة للواقع الوطني الجزائري، ومن مثلها كذلك استلهمت

(*) Zapata; Sin Fein; Bolivar.

(12) A. Mahsas: *Le Mouvement Révolutionnaire*, p. 45.

مفاهيمها الثورية وقيمها النضالية وأساليبها التعبيرية وشعاراتها السياسية.

ومن مثل تلك الفلسفات والأيديولوجيات الثورية العالمية، ممثلة في تلك الأفكار والدروس التي اكتسبتها الإنسانية من خلال نضالها الشاق والطويل ضد كل أشكال الاستبداد، استلهمت فلسفة نوفمبر نظرتها الأصيلة تلك، التي مكنت لها من الوصول بنضال الشعب الجزائري إلى هدفه المنشود.

وإذا كانت النتائج المباشرة لتلك العلاقة التي ربطت بين فلسفة نوفمبر وبين الأيديولوجيا الوطنية عامة، وأيديولوجيا «حزب الشعب وحركة الانتصار» بخاصة، ستتجلى من بين ما ستتجلى في تأكيد فلسفة نوفمبر بدورها على وجود الأمة الجزائرية، الواحدة والموحدة، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً خلت، أرضاً وشعباً، عقيدة وثقافة، تاريخاً وحضارة؛ وعلى اعتبار الاستعمار الفرنسي الذي حل بها، بالتالي، والذي حاول من دون جدوى، نفي وجودها ظاهرة عابرة وغير طبيعية بالنسبة إليها، وهي التي عرفت دوماً، كيف تهزم كل جحافل الاحتلال التي استهدفتها، فإن النتائج المباشرة التي ربطت، وكما سبق أن أشرنا، تلك الفلسفة نفسها بالعديد من الفلسفات التحريرية الإقليمية والقومية والعالمية، ممثلة خاصة في فلسفة الجناح الثوري لحركة النهضة العربية الإسلامية، وفي فلسفة المقاومة الوطنية لكل من الشقيقين، تونس والمغرب، وفي فلسفة الثورة الفييتنامية، سوف تتجلى كذلك وبدورها، من بين ما ستتجلى، في تبنيها لطريق الكفاح الثوري المسلح كطريق للتحرير وفي ذلك الطابع القومي الثوري، الراديكالي والإنساني، الذي ميز تلك الفلسفة بدورها.

ثانياً: نماذج من مقاربات فلسفة نوفمبر

إن هذه الحقائق وغيرها، هي التي ستكون وراء تلك الاختلافات، حتى لا نقول الخلافات، التي ميزت العديد من المقاربات التي حاولت التعرف على فلسفة نوفمبر وتعريفها وصولاً إلى الوقوف على مدى ما تمثله من استمرارية أو من قطيعة، ومن إبداع، أو اتباع لتلك الأفكار والتيارات الأيديولوجية الفلسفية، الوطنية منها، والعالمية، التي سبقتها وعاصرتها، وهي الاختلافات التي نقدم في ما يلي البعض من نماذجها.

1 ـ المقاربات الإسلامية والإسلاموية(*)

يؤكد كل رموز الفكر الإسلامي في الجزائر المعاصرة، ومن ضمنهم العديد من رجالات جمعية العلماء، ومن قادة الحركة الإسلامية في الجزائر اليوم، أن فلسفة نوفمبر كانت، شكلاً ومضموناً، فلسفة إسلامية ثورية جهادية.

وهم يستندون في ما يذهبون إليه، إلى العديد من الحجج التي وإن اختلفت في الشكل فإنها تلتقي، وكما سنرى، في المضمون؛ فنوفمبر، وكما يؤكد أحد الرموز القدماء لجمعية العلماء[13]، ثورة إسلامية شأنها في ذلك شأن كل الثورات والانتفاضات التي ما انفك الشعب الجزائري يقودها ضد المستعمر الفرنسي، باسم الإسلام ومن أجله، فهي بالتالي سلسلة من حلقة، وخطوة من طريق، وليست ظاهرة جديدة أو منفصلة عما قبلها، بل إنها استمرار له.

ولأن ثورة نوفمبر كذلك، فإن فلسفتها إسلامية شكلاً ومضموناً، وليست اشتراكية أو رأسمالية، فضلاً عن أن تكون ماركسية.

ضمن هذا المنظور سيعمل أولئك الرموز، وتلامذتهم[14](**)، ومن خلال العديد من الجمعيات والصحف والمساجد، على «العودة» بالجزائر إلى إسلامها وذلك من خلال مطالبة نظامها السياسي الوطني الذي رفع، بعد انتصار تلك الثورة واستعادة الجزائر لاستقلالها السياسي، شعارات الاشتراكية[15] بالعودة بالدولة الجزائرية الجديدة إلى المبادئ الإسلامية، تجسيداً للبيان الأول لهذه الثورة الذي أكد أن هدفها هو «استعادة الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الإسلامية»[16].

(*) نقصد بالإسلاموية هنا الحركات السياسية التي تتخذ من الإسلام ومن استعادة دولته منطلقاً لها وهدفاً.

(13) أنظر: عبد اللطيف سلطاني: أحفاد محمد، دار البعث، قسنطينة، 1982.

(14) cf: A. Rouadjia: *Les Frères et la Mosquée*, Bouchène,Alger, 1990, Aissa Khelladi: *Les Islamistes Algériens face au Pouvoir*, Edit, Alfa Alger,1992.

(**) بخاصة من خلال جمعية القيم (عام 1965)

(15) عبد اللطيف سلطاني: المزدكية هي أصل الاشتراكية، المغرب الأقصى (1974).

(16) بيان أول نوفمبر.

إن المقاربة لفلسفة نوفمبر نفسها نجدها لدى المفكر الإسلامي «مالك بن نبي» الذي أكد بدوره «أن الحديث عن الثورة، عامة، دينية كانت أو سياسية، لا يكون إلا في إطار التكامل بينها وبين ما قبلها، وبين ما بعدها، لأن الثورة لا ترتجل، لسبب بسيط وهي أنها اطراد طويل يحتوي ما قبل الثورة، والثورة نفسها وما بعدها»[17].

ولأن الثورة، عامة كذلك، «فإن الثورة نوفمبر قد استمدت روحها من تاريخنا الإسلامي المجيد وأنه لا حاجة للحديث عن أصالة هذه الثورة وإسلاميتها، لأنه يكفينا دليلاً، أن كل فرد جزائري كان يعلم أن ثورة نوفمبر إسلامية شعارها «الله أكبر» وروادها مجاهدون، وعدوهم «الكفار»[18].

«لكل ذلك فإنه لا يمكن أن نفهم، وكما يضيف «مالك بن نبي»، معنى فاتح نوفمبر، وتحرير الإنسان، إذا غابت عن أذهاننا عمليات التلويث التي عاناها الإنسان (الجزائري) طيلة قرن ونصف»[19]، وردود فعله تجاهها.

ولكل ذلك فإن مشروع العصرنة والتقدم الذي طرحه العلمانيون كهدف للدولة الوطنية التي برزت من جديد في الجزائر وفي العديد من الدول الأخرى التي استعادت استقلالها السياسي، لم يفعل في النهاية سوى محاكاة النموذج الحضاري والثقافي الغربي، الغالب، وتحويل التغريب بالتالي إلى فكر وممارسة للدولة وإلى حالة داخلية، ونمط حياة طبيعي، من دون اعتبار كبير للقيم وللعادات الوطنية المتأصلة في الجماهير التي كانت وراء تحقيق مثل ذلك الاستقلال السياسي.

ضمن هذا المنظور سيرجع «مالك بن نبي»، وبدوره، جزءاً كبيراً من المشاكل التي بدأت تعرفها الثورة منذ سنة 1958، وهذا على مستوى النظر وعلى مستوى العمل، والتي أفقدتها في النهاية جزءاً كبيراً من مضمونها ومن

---

(17) مالك بنبي: **بين الرشاد والتيه**، 1977، طرابلس، ص 115.

(18) عبد اللطيف عبادة: **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، دار الشهاب للطباعة و النشر الجزائر (د.ت.)

(19) مالك بن نبي: **بين الرشاد والتيه**، ص، 44.

روحها ومن صفائها واطرادها، إلى ابتعادها عن مبادئها الأولى[20]، وفي مقدمتها المبادئ الإسلامية[21].

وكذلك سيفعل بعده رموز الحركة الإسلامية في الجزائر اليوم، الذين رأوا بدورهم «أن الحدث المعلن عن ميلاد ثورة نوفمبر قد انطلقت شرارته بالله أكبر و«بالجهاد»، وذلك عن طريق فئة قليلة صادقة من المؤمنين الذين وهبوا أنفسهم لإعلاء دين الله في هذه الأرض الطيبة»[22].

لكل ذلك كانت فلسفة نوفمبر، وكما أضافوا، استمراراً للفلسفة الجهادية الإسلامية التي كانت دوماً وراء الحركة الوطنية بأكملها، كما كان هدفه، وبدورها، وكما أكد ذلك بيانها الأول، العمل على التمكين للإسلام في هذه الديار.

ضمن هذا المنظور سيعيب رموز الحركة الإسلامية في الجزائر اليوم، وبدورهم، على السلطة الوطنية السياسية الجزائرية «انحرافها» عن تلك الروح الإسلامية واستبدالها بأيديولوجيات غربية لا علاقة لها بالشعب الجزائري[23] سوى علاقة الدمار والضياع الروحي والفكري، كما أكدت ذلك المشاكل والأزمات التي تعصف به اليوم، والتي لا حل لها إلا بالعودة إلى الإسلام وإلى تطبيق مبادئه[24].

2 ـ المقاربات العلمية والعلمانية

وإذا كانت تلك هي مقاربات الإسلاميين والإسلامويين لنوفمبر ولفلسفته، فإن مقاربات العلمانيين والثوريين، التي استندت من بين ما استندت إليه، إلى ماضي الحركة الوطنية عامة، وإلى تصريحات مصالي الحاج بخاصة الذي اعترف في مذكراته[25]، من بين ما اعترف، «أنه لم يكن يدري إذا كان قد

---

(20) مالك بنبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1988، ص، 123.

(21) مالك بنبي: بين الرشاد والتيه، ص، 11.

(22) المنقذ: جريدة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، العدد 31، تشرين الثاني/ نوفمبر 1990 (الافتتاحية).

(23) المنقذ: العدد، 7 ذو القعدة، 1990هـ.

(24) عباسي مدني: أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامية، مطبعة رحاب، الجزائر، 1990.

(25) H. Merssali: *Mémoires*, lattès, 1982, p. 213

ظل يسير، ودون أن يعلم، على طريق الثورة». إذا كانت لا تنفي مثل ذلك البعد الأساسي عن نوفمبر أو عن فلسفته، فإنها لا تعتبره مع ذلك البعد الأساسي الوحيد فيها[26].

هكذا ذهبت البعض من تلك المقاربات إلى أن نوفمبر الحدث، شأنه شأن أي حدث ثوري، آخر، لم يولد من فراغ، بل كان وليد جهود الشعب الجزائري النضالية عبر تاريخه الطويل، والنتاج المباشر للحركة الوطنية التي كانت، وكما أكد ذلك البيان الأول لثورته هذه «قد اقتربت من مراحلها الأخيرة»، تماماً كما كانت فلسفته، وإلى حد بعيد، انعكاساً لأيديولوجيتها[27].

فجبهة التحرير الوطني، التي جسدها نوفمبر وجسدته، «بنت المبادرة الشعبية وتفاعلها مع القوى الوطنية ومع قيم ومثل قديمة وحديثة، لأن عمل الأمير خالد وفرحات عباس وبن باديس ومصالي الحاج وغيرهم، واضح في التحضير لفكرة الجزائر الحديثة»[28].

«إن تلك الفكرة التي انتهت بحرب تحرير دامت ما يقرب من ثماني سنوات، هي التي شكّلت الجدلية التاريخية التي تكونت عبرها الروح الوطنية في مفهومها الحديث».

وجبهة التحرير التي ولدت من المنظمة السرية وشكلت بالتالي الامتداد الأيديولوجي لحزب الشعب ولحركة الانتصار لم تفعل في الحقيقة سوى إنقاذ المد الوطني الطلائعي وإحياء النضال القاعدي من خلال مضاعفة إمكانيات وعدد الأقلية الفاعلة فيها[29].

لكل ذلك، فإن نوفمبر ليس بالتالي، وكما أكدت ذلك مجموعة الـ (22)، والبيان الأول لنوفمبر، ومؤتمر الصومام، حزباً جديداً، بل حركة ثورة هدفها

---

(26) M. Harbi: *La Guerre Commence*, p. 117.

(27) Ibid. p. 117.

(28) Ibid.

(29) M. Boudiaf: La préparation du 1er Novembre, in *Al-jarida* organe du parti da la Révolution socialiste, N 15, Nov - 1974.

إنقاذ تلك الحركة الوطنية من الانهيار، وذلك عن طريق إيجاده لجميع الظروف الثورية للقيام بعملية التحرير[30].

وإذا كان نوفمبر قد بدا بمثابة الحزب أو الإئتلاف الواسع الذي ضم مختلف الاتجاهات الوطنية، فإن ذلك لا يجعله مع ذلك حزباً بالمفهوم المتعارف عليه للأحزاب[31].

وإذا كان نوفمبر، الحدث، كذلك، فإن فلسفته التي جاءت مثل فلسفة الحركة الوطنية الثورية بمثابة التعبير الصادق عن رغبة الشعب الجزائري التي لا تقاوم في الحرية والاستقلال[32]، كانت وبدورها وفي ما يرى أولئك الباحثون، فلسفة نضال[33] أو كفاح مسلح[34] مضاد للاستعمار، ومن أجل الحرية والتحرر السياسي والاجتماعي في الوقت نفسه[35].

وإذا كانت قد ظهرت مع فلسفة نوفمبر بعض المبادئ الكبرى بصورة أكثر وضوحاً وديناميه وفاعلية، بشكل تجاوز الكتل الحزبية والحساسيات الشخصية والتعصب الأعمى، فإن ذلك لا يغير شيئاً من تلك الحقيقة التي تؤكد أن تلك الفلسفة ليست في النهاية سوى استمرار لفلسفة الحركة الوطنية عامة، ولحركة حزب الشعب وأيديولوجيته بصورة خاصة، وذلك قبل أن يعطي لنفسه سنة 1946 واجهة شرعية[36].

تلك هي الأرضية التي تغذت منها فلسفة نوفمبر، وإن بدت للبعض أنها قد طغت وتجاوزت بعد ذلك ومن خلال تطورها، لا الأفق التقليدي للحركة الوطنية فحسب، بل ولفكرة روادها الأوائل أنفسهم[37].

ذلك ما يؤكده، وكما لاحظ أولئك الباحثون، وبدورهم، استمرار تأثير

---

(30) بيان أول نوفمبر 1954.

(31) المصدر نفسه.

(32) M. Harbi: *Le FLN, mirage*, p. 117.

(33) El - Moudjahid, N 4, 1956.

(34) Ibid.

(35) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 184.

(36) M. Lachraf: *L'Algérie Nation*, pp. 132 - 134.

(37) R. Malek; *Tradition et Révolution*, pp. 118 - 124.

تلك الذهنيات والممارسات السلبية التي عرفتها الحركة الوطنية عامة، وحركة حزب الشعب، وحركة الانتصار ـ وهي السلبيات التي سنتعرض للبعض منها بشيء من التفصيل في الفصل الأخير من هذه الدراسة، والخاص بنقد فلسفة نوفمبر ـ في هذه الفلسفة بدورها وفي تلك الثورة المجسدة لها، وهذا على الرغم من كل التأكيدات المتكررة لرموزها[38] بضرورة القطيعة الجذرية والكاملة مع تلك الذهنيات والممارسات التي عابتها على تلك الحركة عامة، وعلى حزب الشعب وحركة الانتصار خاصة.

3 ـ المقاربات الشعبوية والماركسية

وإذا كانت تلك هي المقاربات الإسلامية والإسلاموية والعلمية، والعلمانية، لنوفمبر ولفلسفته، فإن المقاربات الشعوبية والماركسية لها وإن اختلفت منطقاً ومناهج، فإنها تلتقي معها، بالرغم من ذلك في النتائج.

وآية ذلك أنه إذا كان العلميون والعلمانيون قد نفوا، صراحة، أو ضمنياً، استناداً إلى الدور الذي لعبه الإسلام ولا يزال يلعبه في حياة ووجدان الشعب الجزائري من جهة، وإلى الماضي الحركي والسياسي للوطنية الجزائرية، لا الطابع الثوري لفلسفة نوفمبر، بل وتميزها كذلك عن كل من الحركة الجهادية وعن الحركة الثورية الوطنية الفرنسية، فإن الشعبويين والماركسيين، لم يؤكدوا، وعلى العكس من ذلك تميز مثل تلك الفلسفة عن كل من تلك الحركة الجهادية والوطنية الجزائرية، إلا لكي يعتبروها بعد ذلك مجرد امتداد تلقائي، وانعكاس باهت لفلسفات شعبوية واشتراكية وماركسية. .

فنوفمبر الحدث «ليس»، وكما ذهبوا حزباً، «بل إنه ائتلاف واسع يعكس تكتل مختلف الاتجاهات حول برنامج كفاح مكثف ونشيط»[39].

وهو ليس مجرد حركة وطنية، بل «إنه، بحكم التناقض الاستعماري، حركة ثورية وطنية واجتماعية في نفس الوقت»، «حركة ذات مضمون

(38) R. Malek: *Tradition et Rév*, pp. 116 - 117.

(39) M. Lachraf: *L'Algérie, nation*, pp. 132 - 134.

شعبوي، في مفهومه الروسي (النارو ـ ديشاتغو») تارة[40]، مضافاً إليها «نبرة عربية إسلامية»، تارة أخرى[41]، وذلك بحجة انه لم يستند إلى صراع الطبقات بل إلى الشعب بالمعنى الذي يعني الدهماء والذي تختلط فيه الطبقة العاملة بالفقراء عامة دونما هوية متميزة أو مصلحة خاصة[42].

وفلسفة نوفمبر ليست فقط استمرارية للفلسفة الاشتراكية كما يؤكد ذلك «إدخال النجم لفكرة الاشتراكية، وبدون تعديل يذكر، إلى الجزائر، باعتبارها العلاج الوحيد لتسلط الكولون»[43] بل «إنها فلسفة ماركسية. ذلك ما يؤكده على أي حال وكما يضيفون بلجوئها إلى منهج العنف الثوري، كوسيلة لمقاومة الاستعمار ومضادتها العلنية والعملية للإمبريالية»[44].

«وإذا كانت النخبة المجسدة لتلك الفلسفة لم تعتنق في النهاية النظرية الماركسية، فإن ذلك راجع إلى أن الاستعمار لم يخلق في الجزائر بورجوازية أو بروليتارية وطنية قادرة على قيادة النضال من أجل الاستقلال». وهذا ما يؤكد تناقضهم حول حقيقة الشعب الجزائري «لكل ذلك أيضاً استحال الربط بين المسألة الوطنية وبين المسألة الاجتماعية». ولكل ذلك استحال تحول تلك النخبة، ممثلة في جبهة التحرير إلى حركة ثورية[45].

ولكل ذلك أخيراً، فقدت هذه الأخيرة، ونتيجة لبروز تلك الصراعات اللامعقولة داخلها، منذ سنة 1958[46]، لا فقط صفتها كحزب مجسد للسلطة السياسية وكقائدة للأمة، بل وصفتها الثورية ذاتها[47]، وتحولت، و«بالرغم من كل تصريحاتها وتأكيداتها حول الصرامة والنزاهة.. الخ، إلى مجرد مفهوم روتيني وآلي، وهي النتيجة التي كان يمكن تلافيها لو كان أصحاب فلسفة

---

(40) Guy Pervillé: *les étudiants algériens de l'université française*, (1880 - 1962), CRNS, paris, 1984, pp. 22-23.

(41) Ch. R. Ageron: Introduction, au livre, sus - cité.

(42) M. Harbi: *le FLN, mirage*, p. 14.

(43) د. أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ش. و.ن. ت. الجزائر 1980، ج، 2، ص 442.

(44) هذه أطروحة البعض من الشيوعيين الجزائريين حتى سنة 1956 حول ثورة نوفمبر.

(45) M. Harbi: *le FLN, mirage*, p. 2.

(46) M. Lachraf: *L'Algérie, nation*, p. 292.

(47) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 138 - 143.

نوفمبر قد قرأوا دروس الثورة الصينية، مثلاً، وما تحمله من تواضع واعتدال تجاه إمكانياتها وتجاه نقائصها كذلك».

بذلك خاب أمل أولئك الثوريين الماركسيين الذين انضموا إلى فكرة نوفمبر الثورية، نتيجة لتحول ذلك الاختيار الاشتراكي الماركسي، (الذين عملوا بكل جهودهم، خاصة أثناء صياغة مشروع ميثاق طرابلس (عام 1962)[48] على ترسيخه «باعتباره وحده القادر على الاستجابة للمشاكل المتعلقة بما بعد التحرير)، إلى ستار يخفي وراءه عمليات نهب للبلاد، محولاً بذلك تلك الاشتراكية، التي أرادت أن تكون التعبير عن الحداثة، إلى مطية لهذه الأخيرة وإلى عودة للأوهام القديمة»[49] (التسلط ـ الفساد).

وبذلك أخيراً وليس آخراً، كان ذلك الفراغ الأيديولوجي الذي لا يمثل انعكاساً لعجز أو لقصور المثقفين، بل إنه يمثل اختياراً سياسياً كان من أبرز نتائجه ذلك التعثر وتلك اللاعقلانية وذلك الاحتكار الأيديولوجي الذي جعل ثورة نوفمبر غير قادرة بالتالي على إعطاء أي شيء جديد، خاصة بعد عملية التحرير، متحولة بذلك إلى سلطة، لا إلى التزام حرّ، وإلى دولة وحزب، حولاً مناضليها إلى موظفين وإلى انتهازيين[50].

إننا لا نعتقد أننا بحاجة إلى تكرار ما سبق أن قلناه حول خطأ مثل هذه المقاربات، الماركسية بخاصة، وعدم جدواها الكبير بالنسبة إلى الثورة الجزائرية، بل وخطرها على أصحابها أولاً الذين وجدوا أنفسهم معزولين عن هذه الثورة وعن غيرها من الثورات التحريرية الأخرى التي قادها العالم الثالث، ومتخلفين بالتالي عن التاريخ الذي بدأت هذه الأخيرة في صنعه.

ثالثاً: فلسفة نوفمبر: الاستمرارية والقطيعة

فهل يعني ذلك أن فلسفة نوفمبر لم تكن في النهاية سوى تكرار رديء للفلسفات وللأيديولوجيات الوطنية والعالمية التي سبقتها وعاصرتها؟

(48) M. Harbi: *le FLN, mirage*, pp. 327 - 321.

(49) M. Harbi: *L'Algérie et son destin, croyants ou citoyens*, Médias associés, Alger, 1994, p. 230.

(50) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 141.

وإجابة عن مثل هذا السؤال نقول، إنه لو كان الأمر كذلك، لما كان هناك مبرر أو حاجة، أصلاً إلى مثل هذه الدراسة، ولدراسات أخرى مماثلة لا نشك أنها ستتلوها.

من هنا فإن المهمّ، ليس نفي أو إثبات مثل تلك الاستمرارية أو القطيعة، بين فلسفة نوفمبر، وبين تلك الفلسفات والأيديولوجيات الوطنية والعالمية، ذلك لسبب بسيط وهو أن تلك الثورة شأنها شأن الحدث المجسد لها إذا كانت لم تولد من العدم، بل من أيديولوجيا الحركة الوطنية خاصة، فإن ذلك لا يعني أنها لم تمثل نوعاً من القطيعة معها.

إن هذه القطيعة الثورية إذاً، كانت هي التي تفسر بالتالي سرّ نجاح هذه الفلسفة في ما فشلت فيه أيديولوجيا وفلسفة الحركة الوطنية التي سبقتها، فإنها لم تكن مع ذلك، وكما اعتقد البعض، جذرية أو كلية لسبب بسيط وهو أن القطيعة، أياً كانت، بالرغم من أنها تعني في أبسط تعريف لها «الانفصال، أو الانقطاع عمّا كان سائداً، وتغييراً في الوضع المعهود»[51]، فإن ذلك الانفصال أو الانقطاع الثوري الإيبيستيمولوجي، لا يمكن أن يكون جذرياً، حتى بالنسبة إلى العلم، فضلاً عن الفلسفة أو الثورة وذلك نظراً إلى استحالة فصل أي ظاهرة كانت عما قبلها وعما بعدها كذلك فصلاً كلياً.

وإذا كانت هذه الحقيقة حول القطيعة تصدق على العلم، فإنها تصدق كذلك على الثورة. ذلك أن ما يربط بين كل من الثوري والعالم هو رفضهما العملي والموضوعي للواقع القائم وذلك من خلال مواجهتهما له بتلك «الكلمة ـ الموقف ـ والمشروع» والمتمثلة في «اللا»[52] التي إذا كانت تطرد على مستوى العلم، كل أشكال «اللا علم»، فإنها تطرد كذلك، وعلى مستوى الثورة، كل أشكال «اللا ثورة»، لتشكل في النهاية قطيعة ـ تظل في كل الأحوال، كما سبق أن أشرنا ـ نسبية وليست مطلقة، كما يتوهم

---

(51) cf. G. Bachelard: *la Psychanalyse de feu*, Gallimard, 1940; *La philosophie du Non*, PUF, 1940.
- La Nouvel Esprit Scientifique, PUF, 1934.

(52) H. Bareau: L'Epistémologie, Q. S.J? PUF, 1990.

البعض، مع كل من شبه العلم ومن شبه الثورة، وصولاً إلى العلم وإلى الثورة الحقيقيين.

وإذا كان مثل ذلك الهدف لا يتحقق بالنسبة إلى العلم إلا بعد تمثله وحذفه لكل الفرضيات الخاطئة التي سبقت مرحلته الحاضرة، فإن ذلك لا يجب أن ينفي الدور الكبير وغير المباشر، الذي لعبته وتلعبه هذه الأخيرة في توصله إلى تلك الفرضيات الإيجابية والجديدة[53].

إن الحقيقة نفسها تصدق على الفلسفة الثورية التي لا تنجح في التجسد بدورها فوق أرض الواقع الوطني إلا بعد تمثلها لكل الأفكار غير الموفقة للحركة الوطنية التي سبقتها والتي لا يقل دورها إيجابية بالنسبة إليها عن دور تلك الفرضيات الخاطئة بالنسبة إلى العلم وإلى تقدمه.

ولا نعتقد أن الطابع البطيء نسبياً، للقطيعة الثورية، وهو البطء الذي يرجع أساساً، وكما لاحظ ذلك أحد الباحثين[54]، إلى الظروف الخاصة للعمل الثوري ولما يتطلبه من تحضير ومن استعداد مادي ونفسي لمواجهة ولمواصلة نتائج ذلك التغيير، خاصة على مستوى الجماهير، يغير من هذه الحقيقة كثيراً.

لكل ذلك ولغيره، كانت مثل تلك الصعوبات الخاصة في التعرف على الثورة وعلى فلسفتها، وفي تعريفها بالتالي.

على ضوء، هذه الملاحظات نعرض الآن لفلسفة نوفمبر لنقول: إن تلك الفلسفة إذا كانت قد تغذت من الفكرة الوطنية الجزائرية النابعة من الإسلام ومن فلسفته الجهادية والتوحيدية للشعب، فإنها لم تلبث بحكم تفاعلها مع الواقع أن أخذت، إلى جانب ذلك، أبعاداً سياسية وفكرية جديدة، مكنت لها، من دون غيرها من كل أشكال فلسفات الحركة الوطنية التي سبقتها، من الوصول بالشعب الجزائري، ولأول مرة وكما أشرنا، نحو هدفه المنشود المتمثل في الحرية والاستقلال.

---

(53) G. Lebon: *La vie des vérités*, Flammarion, paris, 1924, pp. 15 - 19.

(54) A. Touraine: *Pour la sociologie*, col/points, seuil, paris, 1974, pp. 179 - 204.

بمثل ذلك التمثل للإسلام المبادئ، وللإسلام المعاش، في الزمان وفي المكان، كذلك وفي الوقت نفسه، وللجهاد في أبعاده الإسلامية وللاجتهاد في مفهومه السياسي والعلمي والعملي، ولكل القيم الإيجابية القديمة والحديثة، حققت فلسفة نوفمبر ومن خلال تلك الثورة المجسدة لها، ذلك الانتصار الساحق، (الذي يعد الأول من نوعه، لا في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية الحديثة فحسب، بل وفي تاريخ المقاومة الوطنية العربية الإسلامية الحديثة في الوقت نفسه)، على واحد من أعتى أنواع الاستعمار الحديث، وأحبطت كل خططه التي مكنت له حتى ذلك الوقت من إجهاض كل انتفاضات ومقاومات الشعب الجزائري.

وبمثله كذلك، أكدت تلك الفلسفة أن الشعب الجزائري لم يكن مدفوعاً في ثورته تلك باعتبارات دينية فحسب، بل إنه كان مدفوعاً كذلك وفي الوقت نفسه باعتبارات اجتماعية وسياسية وثقافية[55].

وبمثله أيضاً، جددت فلسفة نوفمبر، ومن خلال تطور الثورة المجسدة لها، تلك المبادئ الإسلامية التي أعلن بيانها الأول أنها قد اتخذتها كإطار للدولة الجزائرية المستعادة[56] تجديداً بدا للبعض، خاصة من الإسلاميين منذ مؤتمر الصومام، وكأنه تخل منها، لا عن تلك المبادئ الإسلامية فحسب، بل وعن العديد من المبادئ الأخرى[57] التي تضمنها البيان نفسه والتي سنعرض لها بشيء من التفصيل في الفصل التاسع من هذه الدراسة.

وبمثل ذلك أخيراً بددت فلسفة نوفمبر تلك الصورة المزرية التي أفرزتها بالنسبة إلى المسلمين، عهود الاستبداد والانحطاط، لتستبدلها في النهاية، ومن خلال تلك الروح الجديدة التي بثتها في الشعب الجزائري، والتي تذكرنا، بما تميزت به من صفاء ومن طهارة ومن تضحية واستشهاد بطوليين، بالعهود المجيدة للإسلام، وبالصورة الحقيقية للإسلام وللمسلمين.

---

(55) M. Lachraf: *L'Algérie, Nation*, p. 11.

(56) بيان أول نوفمبر 1954.

(57) أنظر الفصل الأخير من هذه الدراسة.

كذلك فإن فلسفة نوفمبر، إذا كانت قد ولدت من زخم الحركة الوطنية وتغذت من أيديولوجيتها، ممثلة بصورة خاصة وكما سبق أن أشرنا في أيديولوجيا كل من حزب الشعب وحركة الانتصار، فإنها لم تلبث، أمام ذلك الطريق المسدود الذي انتهت إليه تلك الأيديولوجيا، نتيجة لفشل كل وسائلها، السياسية والإصلاحية، القائمة على وهم إمكانية تحقيق الاستقلال ضمن الإطار الاستعماري، أن تجاوزت ذلك المأزق الذي وصلت إليه القضية الوطنية بالتالي، لتصل بها، قتالاً واستشهاداً، ولأول مرة نحو هدفها المنشود.

إن هذه الحقيقة الكبرى، هي التي جعلت أولئك الباحثين نفسهم، الذين لم يروا في هذه الفلسفة سوى استمرارية للأيديولوجيا الوطنية، يعودون ليؤكدوا أن جبهة التحرير الوطني والفلسفة المجسدة لها ليست امتداداً لحزب الشعب[58] أو لحركة الإصلاح فحسب، بل إنها تمثل حركة وفلسفة جديدة تبين كل الجدّة «إنها انتقام أمة من وهم «الجزائر الفرنسية»، وقطيعة مع حزب الشعب الذي ولدت منه، وذلك من خلال المنظمة السرية، وإدانة له ولممارساته»[59] (أي الاستعمار).

وهي وإن كانت وليدة الانقسام الذي ضرب حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فإنها بتبنيها، العملي، للكفاح المسلح، قد وضعت حداً فاصلاً أو حاسماً بين ماضٍ انقسامي، انهزامي ومشلول، وبين الأفق التاريخي الجديد الذي أرادت أن تكون المولدة له»[60].

كما إن هذه الحقيقة الكبرى هي التي جعلت كذلك رواد تلك المقاربات الاشتراكية والماركسية أو المتمركسة والشعبوية يؤكدون بعد ذلك، وبدورهم[61]، أن فلسفة نوفمبر خاصة، وأيديولوجيا الحركة الوطنية عامة،

---

(58) M. Lachraf: *L'Algérie, Nation*, pp. 132 - 134.

و أنظر أيضاً: محمد عباس: ملامح الإيديولوجية الوطنية قبل العام الخامس من الثورة، جريدة الشعب الجزائري، العددين، 7919، و7925/ 4 1989 و 24/ 4/ 1989.

(59) M. Harbi: La Guerre, p. 5.

(60) R. Malek: *Tradition et Révolution*, P. 121.

(61) محمد عباس، الشعب، 17/ 4/ 1989.

لم تكن اشتراكية، بالمعنى المعهود لهذه الكلمة؛ فضلاً على أن تكون ماركسية وذلك لسبب بسيط، وهو أنه إذا كانت ثورة نوفمبر لم تذكر ولو لمرة واحدة في بيانها الأول الاشتراكية، ولو لفظاً،(وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى برنامج حزب الشعب)، فإنها لم تقف الموقف نفسه من الماركسية، بل أكدت، نظراً وعملاً، وكما فعل ذلك النجم من قبلها، ومن خلال انفصاله المبكر عن الحزب الشيوعي الفرنسي، أنها مناقضة لها وللعديد من طروحاتها الأساسية كما سنرى ذلك لاحقاً[62].

من هنا فإننا إذا كنا لا ننكر المضمون الاشتراكي لحركة «النجم» خاصة، فإننا نلاحظ أن تلك اشتراكية استهدفت وضع بعض القطاعات الزراعية والصناعية التي كانت في أيدي الكولون في خدمة الشعب الجزائري، الذي لم تكن غالبيته الساحقة تملك شيئاً، كانت أقرب إلى المفهوم الإسلامي للعدالة الاجتماعيته منها إلى المفهوم الماركسي.

إن الحقيقة نفسها تصدق، ولأسباب مختلفة، على تلك الشعبوية التي اعتقد باحثون آخرون[63] أنهم قد وجدوها في فلسفة نوفمبر وبخاصة في أيديولوجيا الحركة الوطنية ممثلة في حركة حزب الشعب على وجه التحديد.

وآية ذلك، أن فلسفة نوفمبر إذا كانت لم تخل، ككل فلسفة ثورية، من مثل ذلك البعد الشعبوي، كما يؤكد ذلك تغنيها بالشعب وتمجيدها له، فإن تلك الشعبوية كانت أقرب إلى المفهوم الذي سبقت الإشارة إليه[64] منها إلى المفهوم الماركسي وما يحمله من صراع طبقي.

ولأنها كذلك، فإن تلك الشعبوية لم تعتمد، وكما اعتقد البعض[65]، على العمال فحسب، كما هو الحال لدى بعض الماركسيين، الروسيين منهم بخاصة، أو على الفلاحين فقط، كما هو الحال بالنسبة إلى الثورة الصينية

---

(62) A. Saadallah: Les Tendances culturelles et intellectuelles du mouvement national, *El - Moudjahid*, Alger, 16/11/1981.

(63) Guy Pervillé, *les étudiants Algériens*, pp. 28 - 30.

(64) أنظر الفصول السابقة من هذه الدراسة.

(65) M. Harbi: *le FLN, mirage*, P, 14.

(ماو ـ تسي تونغ)، بل على الشعب بالمعنى الذي تختلط فيه الدهماء، لا بالطبقة العاملة أو بالفلاحين فحسب، بل بالشعب كله اختلاطاً يتجاوز الهوية الخاصة والمصالح المشتركة، كما اعترف بذلك أولئك الباحثون أنفسهم[66].

إن الفكرة نفسها نجدها كذلك عند بعض الباحثين الآخرين[*] الذين يرون «أن جبهة التحرير الوطني ليست حزباً يتطابق أيديولوجياً مع الحزب الليبرالي، ولا حزباً طبقياً بحسب المفهوم الماركسي، ولا حزباً أرستقراطياً ومحافظاً مثل الفاشية، بل إنها حزب ثوري يسوي بين كل الشرائح الاجتماعية».

لكل تلك الأسباب، ولغيرها، فإننا نظل متحفظين إزاء كل تلك الآراء حول فلسفة نوفمبر، وحول تلك النتائج التي توصلت إليها انطلاقاً منها، والمؤكدة أن تلك الثورة لم تكن سوى استمرارية وتكرراً رديئاً، للفلسفات وللأيديولوجيات، الوطنية والعالمية، التي سبقتها وعاصرتها، لسبب بسيط وهو أن فلسفة نوفمبر كانت استمراراً لها، وقطيعة في الوقت نفسه معها.

فما هي إذاً، وعلى وجه التحديد هذه الفلسفة ؟ وما هي أسسها وخصائصها المتميزة ؟

رابعاً: حقيقة فلسفة نوفمبر

حين يعرّف البعض من الباحثين، الوطنيين منهم والأجانب، فلسفة نوفمبر 1954، أنها فلسفة ثورية[67] تارة، وأنها فلسفة نضال أو كفاح من أجل الحرية[68] تارة أخرى، فإننا لا نعتقد أنهم يفون بذلك هذه الفلسفة حقها أو خصوصيتها المتميزة بالتالي، وذلك لسبب بسيط، وهو أن مثل تلك التعاريف وأشباهها، التي تصدق على كل الثورات التحريرية، تقريباً، لا تعرف بالتالي أي واحدة منها على وجه التحديد.

---

(66) Ibid.

(*) Cf: Bedjaoui Med: *La Rév. Algérienne et le droit*, édit AIJD, Bruxelles, 1961, p 91.

(67) G. Pervillé: Les étudiants, pp. 28 - 30.

أنظر أيضاً مؤتمر الصومام وبرنامج طرابلس.

(68) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 118..

فأين هي الفلسفة المجسدة للثورة التي ليست ثورية ؟ وأين هي الثورة التي ليست متضمنة، نظرياً على الأقل، للنضال وللكفاح من أجل الحرية؟ (في شكلها السياسي خاصة، وهو الذي يهمنا هنا،أكثر من الشكل الاجتماعي). وأين هي الفلسفة التحريرية التي ليست وطنية، في البداية على الأقل؟

ولا نعتقد أن محاولات البعض من أولئك الباحثين تمييز فلسفة نوفمبر عن غيرها من الفلسفات التحريرية الوطنية الأخرى، وذلك من خلال التركيز على الفلاحين كقوة أساسية محركة لها[69] تارة، ومن خلال إضافة التحرر الاجتماعي لهدفها المتمثل في التحرر السياسي تارة أخرى[70]، يغير كثيراً من ذلك التصور الذي ميز تلك المقاربات لتلك الفلسفة، لسبب بسيط، وهو أن دور تلك القوى الريفية كان، قبل وبعد ثورة نوفمبر وفلسفتها، وبعدهما، حاسماً أيضاً، وذلك في العديد من الثورات الوطنية الجزائرية، وغيرها ومن ضمنها الثورة الصينية[71] والثورة الكوبية والفييتنامية، فضلاً عن تواجده في العديد من الثورات الأخرى التي عرفتها الإنسانية طيلة ماضيها البعيد. تماماً كما إن كل ثورة وطنية تحريرية لا يمكنها إلاّ أن تحدد للجماهير، ومن ضمنها الجماهير الريفية التي تشكل قوتها الأساسية الضاربة، الحرية الاجتماعية كمضمون لتلك الحرية السياسية المنشودة من وراء كفاحها وتضحياتها.

وإذا كنّا أول من يدرك أن مثل ذلك القصور الذي ميّز تلك المقاربات لفلسفة نوفمبر يعود إلى العديد من الأسباب، (طبيعة الظاهرة الثورية ذاتها، ومن ضمنها ثورة نوفمبر، وما تتميز به من تطور ومن تعقد، وللخلفيات الأيديولوجية التي حكمت، ولا تزال تحكم ـ وكما سبق أن أشرنا ـ البعض من تلك المقاربات، ارتباط تاريخ الشعب الجزائري المعاصر، وبخاصة منذ

(69) Cf: Tranz Fanon: *Les Damnés de la terre*, Maspéro, paris, 1968; M. Lachraf: *L'Algérie, Nation*.

(70) R. Malek: Tradition et Révolution, p. 184.

(71) Le Marxisme: Dictionnaire, Col, livre du poche, EDMA, paris, 1979, pp. 61 - 129.185.

الاحتلال الفرنسي لأرضه(عام 1830)، بالثورات وبالمقاومات المسلحة وبما تحمله من مفاهيم ومن قيم ومن فلسفات وطنية وعالمية، الصورة الذاتية التي لا يمكن إلا أن تترسخ، وبصورة نهائية عن الثورة أياً كانت في أذهان كل من كانوا ضمن طلائعها ومن بينهم طلائع ثورة نوفمبر، لتحكم بعد ذلك مقارباتهم لها. . الخ)، فإننا أول من يعتقد كذلك أن كل ذلك لا يجب أن يحول من دون العمل على الابتعاد بنوفمبر وبفلسفته، لا فقط عن كل أشكال التاريخ العاطفي والرسمي، بل وعن كل أشكال التاريخ الانتهازي والابتزازي وفي الوقت نفسه، وصولاً إلى فهم التاريخ وتفسيره، لا إلى التاريخ السردي والتبريري .

على ضوء هذه الملاحظات، نعرض الآن لفلسفة نوفمبر لنقول إنها فلسفة تحرير وطني ترى أنه أمام استعمار استيطاني كالاستعمار الفرنسي الذي تعرضت له الجزائر، والذي لم يقم ولم يستمر على أنقاض «دولتها» الوطنية، التي لم يغتصبها ولم يحطمها مثل الوطن الجزائري المجسدة له، إلا لكي يسهل عليه بعد ذلك، لا فقط، إنكار أي وجود له ولها، بل ولكي يلغي كذلك وفي الوقت نفسه حرية الأمة الجزائرية المنتمية إليها وذلك من خلال عمله على مسخ واستلاب شخصيتها الوطنية وإلغائها، لحساب دولته وشخصيته الوطنيتين الدخيلتين.

لذلك فإن مطلب استعادة مثل تلك الدولة الوطنية منه، التي رأت أنه يجب أن يشكل بالتالي المطلب الأول لكل مواجهة جديدة معه، لا يتحقق إلاّ بالتقويض الداخلي والشامل للنظام الفكري والمادي المستند إليه، لا في الجزائر بل وفي العالم العربي، وفي أفريقيا كذلك فحسب[72]، وذلك عن طريق الكفاح الثوري المنظم والمسلح لكل الشعب ممثلاً بكل قواه الاجتماعية والسياسية، والحشد الكامل والمتكامل لكل دروس نضاله الماضي ضده، والتوظيف العقلاني لكل طاقاته المعنوية والمادية، ولكل الدروس الإيجابية لنضال الإنسانية، الماضي منه والحاضر، من أجل حريتها

---

(72) EL Moudjahid, N 18, 15/02/1958.

كذلك. بمعنى آخر، إنها فلسفة تحرير شامل للإنسانية من الاستعمار عن طريق الكفاح الوطني المسلح.

إن هذا التعريف لفلسفة نوفمبر إذا كان يؤكد، من بين ما يؤكد، أن المضمون الأساسي لها، كان أساساً، ونتيجة للمعطيات الاستعمارية المتميزة التي تغذت منها، مضموناً ثورياً مسلحاً، قبل أن يكون مضموناً سلمياً سياسياً، وهو المضمون الذي إن كان قد جعلها بالتالي أقرب إلى فلسفة التحرير الفييتنامية، مثلاً، وإلى «هوشي مينه»، منها إلى الثورة التحريرية الهندية، مثلاً، وإلى «غاندي»، فإن ذلك لا يعني مع ذلك أنها فلسفة حربية.

من هنا طابع الاستمرارية والقطيعة، في الوقت نفسه، لهذه الفلسفة بالنسبة إلى الأيديولوجيا الوطنية بخاصة، وإلى الفلسفات الثورية التحريرية العالمية عامة.

وتتجلى استمرارية فلسفة نوفمبر مع أيديولوجيا الحركة الوطنية، من بين ما تتجلى، في تبني هذه الفلسفة، بدورها ومثلما فعلت أيديولوجيا الحركة الوطنية الممثلة بصورة خاصة في أيديولوجيا حزب الشعب، لمبدأ الاستقلال كهدف أوحد ووحيد لها، وللعديد من شعارات وأدبيات وممارسات هذا الأخير، في كفاحها الثوري ضد الاستعمار.

من هنا ذلك التطابق، خاصة في المضمون، الذي اعتقدت تلك المقاربات أنها قد توصلت إليه، بين هذه الفلسفة وبين أيديولوجيا حزب الشعب وحركة الانتصار بالذات.

ومن هنا كذلك اعتبار البعض من تلك المقاربات للطليعة المجسدة لتلك الفلسفة، والممثلة في جبهة التحرير الوطني، لا مجرد حركة داخلية داخل حزب الشعب فحسب، بل «وخلاصة لصراع داخلي على السلطة بين من يملكونها من أعضاء اللجنة المركزية، وبين من لا يمتلكونها»[73].

إن الحقيقة نفسها تصدق على الاستمرارية التي شكلتها فلسفة نوفمبر

---

(73) M. Harbi: *le FLN, mirage*, P, 165.

بالنسبة إلى بعض من الفلسفات الثورية التحريرية الإقليمية والعالمية، وهي الاستمرارية التي تتمثل، كذلك، من بين ما تمثل، في تبني هذه الفلسفة لمبدأ الكفاح الثوري، كوسيلة أولى، لمقاومة المستعمر، وفي اعتمادها في ذلك الكفاح على الشعب ممثلاً خاصة في كل فئاته الاجتماعية والسياسية المختلفة، وفي مضادتها، النظرية والعلمية، للاستعمار لا في الجزائر فحسب، بل وفي كل مكان متواجد فيه. . الخ. إن هذه الاستمرارية هي التي كانت وراء اعتقاد البعض بتبعية فلسفة نوفمبر وثورته لبعض الفلسفات والثورات العالمية المعاصرة له وبخاصة الاشتراكية.

وإذا كانت تلك هي بعض مظاهر الاستمرارية التي شكلتها فلسفة نوفمبر مع كل من أيديولوجيا الحركة الوطنية ومن الأيديولوجيات والفلسفات الثورية التحريرية العالمية، فإن مظاهر القطيعة معها لا تقل عدداً عنها.

فعلى مستوى الأيديولوجيا الوطنية، ممثلة بصورة خاصة في أيديولوجيا كل من حزب الشعب وجمعية العلماء، فإن تلك القطيعة تتجلى، من بين ما تتجلى، لا فقط في قطيعتها النظامية، خاصة مع حزب الشعب، وتحريرها، لأول مرة، لمناضليه القدماء من هيمنة إدارته المركزية، ومن هالة الزعيم[74]، بل أنها تتجلى كذلك وفي الوقت نفسه في تجاوز هذه الفلسفة للعمل السياسي النظري والتقليدي الذي تبناه هذا الحزب، وللأساليب والممارسات والشعارات غير المجدية كذلك، للحركة الإصلاحية، ممثلة في جمعية العلماء، نحو العمل الثوري الفاعل، أو البرغماتي[75]، لكل الشعب ذلك العمل الذي رأت أنه القادر وحده على الوصول به إلى حريته المنشودة.

ذلك ما يؤكده على أي حال، رفع هذه الفلسفة ومنذ البيان الأول[76] للثورة المجسدة لها، لمبدأ ضرورة تصحيح مسار القضية الوطنية، وذلك من خلال تجاوز العديد من تلك الذهنيات والأساليب والممارسات والشعارات، غير المجدية، التي ظلت منذ سنة 1830، مسيطرة وعائقة لمثل ذلك العمل

(74) محمد عباس، ملامح الإيديولوجيا الوطنية، الشعب، 17/ 4 1989.

(75) M. Harbi: *l'Algérie et son Destin*, p. 93.

(76) بيان أول نوفمبر 1954.

الثوري الشعبي الجماهيري الفاعل، الذي تحول لديها وبالتالي إلى معيار أول لكل نضال حقيقي ضد المستعمر.

ولكل، ذلك فإن الذي انتصر في النهاية للقضية الوطنية وللشعب الجزائري ليس الإصلاح أو الثورة السياسية، النظرية والمجردة فحسب، بل ذلك الكفاح الثوري المسلح الذي جاءت تلك الفلسفة وثورتها رافعة له.

لقد قالت هذه الفلسفة إنه أمام تعسف المستعمر وإرهابه اليومي وتفوقه المادي، فإن الثورة الحقيقية لا تكون إلا بالفكر والعمل الموحدين لكل الشعب الجزائري ممثلاً في كل فئاته الاجتماعية والسياسية، بعيداً عن أي عمل فردي أو جهوي أو عشائري منعزل، وعن أي إقصاء سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو جنسي. بذلك أكدت فلسفة نوفمبر، ومن خلال تلك الجبهة التحريرية الوطنية، الفريدة من نوعها[77]، التي أقامتها، والتي ذابت فيها، نسبياً، العديد من الفوارق السياسية والاجتماعية والجنسية والجهوية، لا تجاوزها فقط، شكلاً ومضموناً، قولاً وعملاً، لفلسفة الأحزاب الوطنية وللعديد من الفلسفات العالمية كذلك، بل ووجود الشعب الجزائري وتميزه الجنسي والديني والحضاري والثقافي والجغرافي عن فرنسا، المستعمرة، وغير المستعمرة.

وقالت فلسفة نوفمبر أنه أمام الإجهاض المتكرر الذي نجح المستعمر في إلحاقه بكل الانتفاضات والمقاومات الوطنية الجزائرية الماضية، فإن المشروع الثوري الجديد الذي جاءت حاملة له يجب أن يصل، هذه المرة، ومهما كانت التضحيات والتكاليف[78]، إلى نهايته الحتمية، والمتمثلة في تمكين الشعب الجزائري من انتزاع، بحد السلاح لدولته ولوطنه المغتصبين من الدولة ومن المستوطنين الفرنسيين.

بذلك تحولت الدولة الجزائرية والأمة المجسدة لها، التي أنكر المستعمر أي وجود، ماضٍ أو حاضر لها، لا إلى حقيقة مخترقة للتاريخ الوطني

(77) M. Harbi: *l'Algérie et son Destin*, p. 96.

(78) بيان أول نوفمبر 1954.

فحسب، بل وإلى عامل انتظام بين مختلف مراحله من جهة، وبين تلك الأمة الصانعة له من جهة أخرى، لترتسم في النهاية، ومن جديد، وبفضل تلك الجهود النضالية السياسية والدينية والثقافية التي بذلها، خاصة كل من حزب الشعب ومن جمعية العلماء والبيان، في أفق هذه الأمة، كدليل وكهدف، للاستمرارية في ذلك التاريخ.

وقالت فلسفة نوفمبر أنه أمام الأيديولوجيا الاستعمارية الاستيطانية، فإن الأيديولوجيا الوطنية الثورية المتمثلة لكل القيم الدينية والنضالية الوطنية، الإيجابية، الماضية للشعب الجزائري، ولكل المعطيات العالمية العسكرية والسياسية والعلمية والاجتماعية الحاضرة، هي وحدها القادرة على هزيمتها وعلى انتزاع حرية ودولة الشعب الجزائري المغتصبتين منها ومن الاستعمار المجسدة له.

بذلك أعادت فلسفة نوفمبر للشعب الجزائري ثقته في نفسه وفي قيمه وتقاليده، بقدر ما أفقدت الأيديولوجيا الاستعمارية والاستعمار المجسدة له كل قيمهما وركائزهما، لا في الجزائر فحسب، بل وفي العديد من البلدان العربية والأفريقية.

وإذا كانت تلك هي بعض نماذج لتلك الاستمرارية ولتلك القطيعة الذين شكلتهما فلسفة نوفمبر بالنسبة إلى أيديولوجيا الحركة الوطنية، فإن نماذج كل من الاستمرارية والقطيعة اللتين شكلتهما كذلك بالنسبة إلى الفلسفات التحريرية، الإقليمية منها والعالمية، لا يقلان عنهما عدداً أو أثراً.

وهكذا، فإنه إذا كانت استمرارية فلسفة نوفمبر مع الفلسفات التحريرية الإقليمية قد تمثلت، من بين ما تمثلت، في تبني هذه الفلسفة لفلسفة النهضة العربية الإسلامية، تلك النهضة التي طالبت بالوصول بها إلى أهدافها الأولية والحقيقية، التي رسمها لها روادها الأوائل[79]، وفي تبنيها كذلك لكل أهداف الفلسفات التحريرية الأخرى، التي عرفها العالم الثالث ممثلاً بصورة خاصة في أفريقيا وآسيا، فإن تلك الاستمرارية قد تمثلت بالنسبة إلى الفلسفات

---

(79) El - Moudjahid: N 35, 15/01/1959.

التحريرية العالمية في الفلسفة الماركسية. في تبني فلسفة نوفمبر كذلك للعديد من طروحات وشعارات تلك الفلسفة، وفي مقدمتها منهج العنف الثوري والمضادة للاستعمار، القديم منه والجديد، إضافة إلى رفعها، خاصة أثناء مؤتمري الصومام (عام 1956) وطرابلس (عام 1960)، لشعار الديمقراطية الشعبية، كمضمون سياسي للدولة الجزائرية المستقلة وللاشتراكية كمضمون اجتماعي لها.

وإذا كانت تلك هي بعض نماذج تلك الاستمرارية بين فلسفة نوفمبر، والفلسفات الإقليمية والعالمية، فإن نماذج القطيعة بينها وبين تلك الفلسفات لا تقل فحسب، وكما سبق أن أشرنا عدداً أو أثراً، بل إنها قد وصلت، وكما سنرى، بالنسبة إلى البعض منها إلى حد التناقض والتضاد، بل والقطيعة.

وآية ذلك أن هذه القطيعة إذا كانت قد تمثلت من بين ما تمثلت، وبالنسبة إلى فلسفة النهضة العربية الإسلامية، في تجاوز فلسفة نوفمبر للعديد من طروحات هذه الأخيرة، التي لا تتماشى، وكما سبق أن أشرنا في الفصول السابقة من هذه الدراسة، مع الواقع الاستعماري المتميز الذي كانت الجزائر رازحة تحته، فإنها قد تميزت كذلك عن الفلسفات التحريرية التي عرفها العالم الثالث، بذلك الطابع الوطني الذي جعلها مختلفة من جهة،عن كل من تلك الفلسفات التحريرية،وبخاصة تلك التي لم تكن وليدة الشعوب الأصلية لتلك البلدان، بل كانت وليدة الأقليات الأوروبية الاستعمارية الوافدة، التي أرادت الانفصال بمستعمراتها عن الوطن الاستعماري الأم، وتكريس الواقع الاستعماري نفسه، (كما حدث ذلك في العديد من بلدان أمريكا الشمالية منها والجنوبية على حد سواء).

«لذلك توهم الكثيرون استحالة انتصار هذه الثورة التي ظلت بعيدة عن أي تبعية شرقية كانت أو غربية»[80].

ذلك ما يؤكده على أي حال، رفض فلسفة نوفمبر، التي سبق أن أشرنا

---

(80) Z. Pécar: in, Retentissement, pp. 274 -291.

إلى مدى تأثرها بالإسلام وبروحه القائمة على الحرية والوحدة والتعاون، وعلى العكس مما فعلت الفلسفة الماركسية، رفضها اعتبار البروليتاريا وما تحمله من صراع طبقي، القاعدة الوحيدة لمشروعها التحريري، واستبدالها لها بالشعب، ممثلاً في كل فئاته الحضرية والريفية، العمالية والمثقفة، البورجوازية والمعدمة.

وذلك ما تؤكده كذلك، محاولة تحويلها للدولة الوطنية، في أبعادها السياسية والثقافية والاجتماعية والمضادة للاستعمار، تلك الدولة التي قيل أنه لا وجود[81] حتى لمجرد اسمها في كتاب **رأس المال**، كهدف أوحد، ووحيد لها.

بذلك حولت فلسفة نوفمبر مشروع الكفاح الوطني التحرري الحاملة له، من مشروع طبقي إلى مشروع شعبي، مؤكدة بذلك انعدام أي تناقض بين مختلف فئات الشعب، الذي لم يعرف بالتالي، وبسبب رفض المستعمر لأي عملية تصنيع حقيقي للجزائر، لا فقط البورجوازية بالمفهوم الذي قصده «ماركس»، بل ولم يعرف كذلك أي تناقض بين المدينة وبين الريف، كما حدث ذلك في الثورة الصينية مثلاً. وبذلك أيضاً، أكدت أن الثورة في الجزائر إذا كانت قد بدأت في المدينة وتطورت، نتيجة لمطاردة الاستعمار لها[82] في الريف، فإنها قد عادت من جديد وفي النهاية للتغذي منه.

وبذلك أخيراً، أكدت فلسفة نوفمبر، لاخصوصية الثورات التحريرية الوطنية التي لم يعرف منها «كارل ماركس «سوى الثورة الإيرلندية فحسب، بل أكدت كذلك وفي الوقت نفسه، وكما يثبت ذلك إفشالها لكل المخططات الاستعمارية الجديدة، داخل الجزائر وخارجها، إمكانية، بل وضرورة تلك الخصوصية وفاعليتها التي لا تقدر.

ولا نعتقد أن فلسفة نوفمبر كان بإمكانها تحقيق مثل كل تلك الخصوصيات، وغيرها، إلا لأنها نجحت في تحويل الثورة المجسدة لها،

(81) R. Gallissot: in, Retentissement, pp. 196 - 204.

(82) A. P. Lentin: in Retentissement de la Rév. Algérienne, pp. 225 -234.

إلى ثمرة فريدة لعبقرية الشعب الجزائري ولتقاليده النضالية القديمة من أجل الكرامة والحرية، بقدر ما نجحت كذلك وبالتالي في التحول إلى مصدر إلهام للعديد من شعوب العالم الثالث المكافحة من أجل حريتها.

ولقد تم كل ذلك من خلال تلك النظرة العقلانية المتميزة لهذه الثورة المتمثلة في نظرتها الموضوعية، للواقع الاستعماري للشعب الجزائري، وفي تجاوزها العملي له، نحو ذلك الواقع الذي يجب أن يكون، والذي جاءت عاملة له، والذي لم توحد فيه الريف مع المدينة، والوعي الفردي المتذبذب الفوضوي والهامشي، مع الوعي الجماعي المنظم، الملتزم والفاعل، إلا لكي تحول، في النهاية، ولأول مرة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، فكرة الاستقلال، التي كانت من قبل مجرد مجموعة من المفاهيم النضالية المجردة، ومن الاستعدادات المجهضة، ومن الشعارات الثورية النظرية، إلى فكرة مترابطة، موحدة ومقتحمة، ومن جديد، للتاريخ الذي لم يلبث أن انحنى أمامها.

القسم الثالث

فلسفة نوفمبر: النظرية وتطبيقاتها

تمهيد

إذا كانت الفلسفة الجديرة بهذا الاسم، ومن ضمنها الفلسفة الثورية، في ما يرى «غرامشي»[1]، هي تلك الهادفة إلى التجسد فوق أرض الواقع المتواجدة فيه، فإن مثل ذلك الهدف لا يتحقق لها، من جهة، إلا بعد تمثلها الموضوعي له وللأسس المستند إليها، وصولاً إلى تقويضها وإلى استبدالها بأسس الواقع الجديد الذي تريد إقامته على أنقاضه، وذلك بعد تمكينها، ومن جهة أخرى، للجماهير المتبنية لها، من تمثل تلك الأسس بدورها، تمثلاً كفيلاً بدفعها، بعد ذلك، إلى العمل وفقها.

بذلك تحوّل الفلسفة، أسسها إلى منطلقات للجماهير، وإلى موجهة لمسار فعلها، أي إلى قواعد عامة عليها التصرف، من دون قيد ضمنها، ولكن من دون تجاوز في الوقت نفسه لإطارها العام كذلك.

بمثل ذلك الفعل تكتشف الفلسفة مدى طبيعة المسافة التي تفصل بين أسسها، أو مبادئها النظرية، وبين الواقع، بقدر ما تكتشف كذلك وفي الوقت نفسه، مدى نجاحها، أو فشلها، في تجسيدها لذلك الواقع الجديد، وللخصائص المميزة لها عن غيرها من الفلسفات السابقة والمعاصرة لها خاصة تلك التي عجزت عن تخطيها.

ولأن الفلسفة، أيا كانت، لا تستطيع، ومهما كانت موضوعية أسسها وفاعلية وسائلها، الإفلات من تأثيرات العديد من العوامل الظرفية، الإنسانية منها والمادية، المتوقعة منها، وغير المتوقعة، فإنها لا تلبث أن تجد

(1) Cf: A. Gramsci: cahiers, Flammarion, paris 1978.

نفسها، وفي النهاية، من دون العديد ممّا كانت تتوق إليه من نتائج.

من هنا ذلك النقد، وذلك الانتقاد، الذي لا يمكن إلاّ أن تتعرض لهما كل فلسفة، عامة، وكل فلسفة ثورية بخاصة.

وإذا كان النقد يهدف إلى محاولة التصحيح لمسار الفلسفة وللثورة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية، المجسدة لها، فإن الانتقاد لا يفعل سوى محاولة النيل معنوياً منهما، بعد فشل المحاولات المادية في مثل تلك العملية.

الفصل السابع

الأسس الفلسفية لنوفمبر

إننا لا نقصد هنا بالأسس المعنى العام لهذه الكلمة، والذي يعني القاعدة أو المنطلق الذي يبني أو يؤسس عليه غيره من الأشياء أو الأفكار أو المشاعر، بل إن المعنى الذي نقصده هنا، ومن خلال حديثنا عن فلسفة نوفمبر، هوّ ذاك الذي يحدد القبول الحرّ، من طرف الفرد والجماعة، على حد سواء، لفكرة مّا أو لشيء مّا، يعرض عليهما، انطلاقا من الطروحات أو من المبررات المتضمنة في ذلك الشيء أو في تلك الفكرة، والتي تجعله يقتنع بها ويعمل وفقها.

بذلك تتحول الأسس والمبادئ، ولا سيما في الفلسفات الثورية، إلى نقطة انطلاق لسلوك الأفراد والجماعات، وإلى نسق فكري لديهم، لا يلبث، ومن خلال تلك الفكرة وذلك الوعي الجديدين المتضمن لهما، أن يدفعهم إلى استخلاص تصورات وأفكار ومعارف وقيم وسلوكات جديدة، أي إلى ما نسميه بالتحول الثوري لديهم.

ولأن ذلك هو دور الأساس في كل فلسفة عامة، وفي الفلسفة الثورية التحريرية بخاصة، فإن هذه الأخيرة حريصة أكثر من غيرها على طرح مشروعها المتمثل في استعادة حرية الفرد والجماعة المغتصبة من طرف المستعمر، للجماهير في أفضل صورة ممكنة من الموضوعية ومن الوضوح، ومن التناسق بين غاياته ووسائله حتى يتسّنى للجماهير تأمله، وقبوله عن قناعة، ثم العمل على تجسيده، بعد ذلك، انطلاقاً من تلك القناعة نفسها.

بذلك نفهم لماذا تجعل كل فلسفات الثورات التحريرية من مطلب استعادة حرية الشعب المغتصبة من طرف المستعمر، أو المستبد، المحور الأساسي لها، الذي يجب أن يتوجه إليه كل عمل جماهيري في الداخل وفي الخارج، سياسياً كان أو عسكرياً، اجتماعياً كان أو ثقافياً.

كما نفهم كذلك لماذا تحرص كل الفلسفات الثورية التحريرية أيضاً على تذكير جماهيرها بأنها كانت، من قبل اغتصاب المستعمر، أو المستبد لحرياتها، حرة، وهو الحرص الذي تهدف من ورائه، ومن خلال ذلك التذكير بمسؤولية كل فرد منها في الإسهام العملي في المشروع الحاملة له، إذا ما أراد استعادة تلك الحرية المغتصبة، إلى تحويل الكفاح، المسلح منه، والسياسي، الرافعة لشعاره، إلى هدف لكل واحد منهم.

على ضوء هذه الملاحظات حول الأساس وحول دوره في الفلسفة عامة، وفي الفلسفة الثورية بخاصة، نعرض الآن لأهم أسس فلسفة نوفمبر، (التي سبق أن عرفناها في الفصل الماضي، بأنها فلسفة تحرير وطني عن طريق الثورة)[1]، التي عملت بدورها، وبالتالي على إرساء مشروعها التحريري الثوري ذاك على تلك أسس التي جعلتها متميزة عن غيرها من الفلسفات التحريرية الوطنية الأخرى، وبخاصة تلك التي عرفها العالم الثالث في القرن العشرين.

إن ذلك يعني أننا لن نتوقف كثيراً عند بعض الأسس أو المبادئ، المتعارف عليها في كل ثورة، وذلك مثل الوحدة، (وحدة الشعب والأرض، الشمال والجنوب[2]، الريف والمدينة، الأغنياء والفقراء، الماضي والمستقبل. . الخ) والالتزام، وروح التضحية والسرية، بل إننا سنركز بصورة خاصة على تلك التي نعتقد أن فلسفة نوفمبر قد تميزت بها على مستوى النظر والممارسة، لا بالنسبة إلى فلسفة الحركة الوطنية فحسب، بل وبالنسبة إلى العديد من تلك الفلسفات الثورية التحريرية الأخرى؛ فما هي إذاً تلك الأسس أو المبادئ المتميزة ؟

---

(1) El - Moudjahid, N 11, 1/4/1957.

(2) El - Moudjahid N 4, 28/8/1956. N 19, 28/2/1958.N 17,17/2/1958, N 27, 22/07/1958. N 79, 15/04/1961.

إن هذه الأسس تتمثل، في ما نعتقد، في خمسة محاور أساسية، وهي: التفاؤل، الوضوح، العمل، الديمقراطية، والتكامل.

أولاً: التفاؤل

لعل أول أساس من أسس فلسفة الثورة الجزائرية، يتمثل في نظرتها المتفائلة والواعية للإنسان وللكون. لقد أرادت هذه الفلسفة أن تكون، أمام ذلك الواقع الاستعماري الذي كان يتخبط فيه الشعب الجزائري، فلسفة أمل، وكانت بالفعل كذلك.

ولأن ذلك الأمل كان، بالنسبة إلى فلسفة نوفمبر، أقرب إلى الإيمان الراسخ بإمكانية تلك الحرية، التي ظلت أجيال الشعب الجزائري تتوق إليها وإلى استعادتها باستمرار منه، إلى الرغبة الغامضة وغير المحددة الوسائل، فإن هذه الفلسفة قد رأت، وعلى العكس من كل الفلسفات المتشائمة، أن الإنسان ليس حصيلة ما هو كائن أو ما كان فحسب، بل إنه قبل كل شيء ثمرة لما يريد ويمكن أن يكون، ولأنه كذلك فإن التاريخ الإنساني ليس وليد قدر أبله أو حتمية عمياء لا حول ولا قوة للإنسان للإفلات منهما، بل إنه أولاً وأخيراً ثمرة إرادته وجهوده في ذلك التاريخ.

ولذلك رأت هذه الفلسفة أن التاريخ يجب أن يتحمّل لا أن يحتمل، ولأنه كذلك فإن الشعوب لا تصبح ضحية ماضيها إلا حينما ترفض النظر المسؤول إلى المستقبل ولا تصبح ضحية الحاضر، الاستعماري بصورة خاصة، ومهما بلغت قسوته، إلا حينما تستسلم للتصالح معه أو للتعايش مع معطياته.

ولذلك أيضاً نفهم كيف أن الفلسفة الثورية الحقيقية يجب أن تكون في نظر فلسفة الثورة الجزائرية، حاملة للأمل أو لا تكون. إنها دعوة ملحة إلى المستقبل من خلال التفكير المستمر بضرورة وبإمكانية تجاوز الحاضر وقيوده.

إن مثل هذه النظرة المتفائلة للإنسان هي التي مكنت هذه الفلسفة عشية الأول نوفمبر 1954، من الوثوق في قدرة الشعب الجزائري، الغارق في ظلمات الفقر والجهل والمرض، على الدخول مع المستعمر في معركة

مسلّحة، لا تجهل تكاليفها، وعلى الانتصار النهائي فيها بالرغم من التفوق المادي الساحق للعدو. ذلك ما تؤكده هذه الفقرة من بيان أول نوفمبر «إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء وتتطلب تجنيد كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، حقيقة أن الكفاح سيكون طويلاً ولكن النصر محقق»[3].

وإن انعدام مثل هذا التفاؤل كذلك، بشكل كلي أو جزئي لدى الأحزاب الوطنية، التي نكرر مرة أخرى أننا لا نشك في حسن نواياها أو في جهودها الوطنية، هو الذي جعلها لا ترى الشعب الجزائري إلا من خلال حاضره الاستعماري المزري فحسب، بل أدّى بالبعض منها لا إلى التشكك. لا في قدرته على انتزاع حقه في الحرية بالقوة من المستعمر فحسب، بل إلى التشكيك في وجوده ذاته[4].

لذلك لم تطرح هذه الفلسفة قضية الثورة المسلحة ضد المستعمر كإمكانية أو كعدم إمكانية، بل طرحتها كحتمية يجب البحث عن أفضل الطرق للإسراع من نهايتها ـ المتمثلة في الوصول بالشعب الجزائري، وبحد السلاح، إلى حريته المنشودة ـ بأقل قدر ممكن من الضحايا ومن الآلام بالنسبة إليه وإلى المستعمر على حد سواء، كما توضح ذلك هذه الفقرة من بيان أول نوفمبر، «وتحاشياً للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم وتحديداً للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة»[5].

ذلك موقف لا يمكن أن ينبع إلا من فلسفة إنسانية متفائلة ترفض اليأس شكلاً ومضموناً، وتؤمن ومن دون حدود، بقدرة الشعب اللامحدودة على قهر كل الصعاب وعلى تحرير نفسه بنفسه، بل وعلى تبؤ مكان الصدارة في حركة التحرر في العالم الثالث.

---

(3) بيان أول نوفمبر.

(4) F. Abbas: *L'Entente*, franco- musulmane, N 24, 27/2/1936.

على أننا نلاحظ أن موقف فرحات عباس، الذي لا يمكن لأحد أن يشكك في وطنيته، قد تغير إيجابياً بعد ذلك إلى حد مكنه من ترؤس أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية (1958). كما إن هذا التشكك كان في وجود الدولة الجزائرية.

(5) بيان أول نوفمبر.

وماذا عسى أن يعنيه في مثل هذه الحالة مثل ذلك التفاؤل وتلك الثقة في الشعب إن لم يكن يعني أنه قد أصبح بالنسبة إلى من وضع فيه ذلك التفاؤل وتلك الثقة حراً سلفاً؟!

ثانياً: الوضوح

لكن هل يكفي التفاؤل وحده، ومهما بلغت قوته، وفي غياب موضوع محدد له من تحقيق ثورة؟

إن تجارب الشعب الجزائري المريرة مع المستعمر قد أكدت لهذه الفلسفة، ولا شك أنها قد أكدت لغيرها من الفلسفات الثورية الأخرى، أن الشعوب لا يمكن أن تأمل فضلاً عن أن تتفاعل أو تطالب إلا بما تدركه بوضوح، أي بوعي وبفكر متمثلين بعمق لمعطيات الواقع المتواجدين فيه ولذاتهما ولسلوكهما تجاهه في الوقت نفسه.

ذلك أن أعظم الوعود الثورية بالحرية والعدالة والديمقراطية تظل، من دون ذلك المضمون الواضح، مجرد كلمات من دون محتوى حتى لا نقول خداعات، بالنسبة إلى الأفراد والشعوب على السواء، ولا تستطيع بالتالي أن تثير فيهم ذاك الحماس الضروري الكفيل وحده بتحويلها إلى طاقات للتحرير.

ولذلك التزمت فلسفة الثورة الجزائرية منذ أول لحظة لاندلاع ثورتها بالوضوح باعتباره المعيار الحقيقي لأي ثورة جديرة بهذا الاسم.

لقد أدركت فلسفة نوفمبر أن المهمّ في الثورة ليس مجرد دفع الجماهير إلى الثورة، بل إن المهمّ هو تمكين حركتها الثورية الرافضة تلك من الارتفاع إلى مستوى الثورة، انطلاقاً من مثل تلك الأهداف الواضحة ومن ذلك الوعي المتمثل لها بعمق. بذلك تحوّل الثورة الاحتمال السلبي للجماهير لواقعها الاستعماري المزري، إلى تحملّ واع له ومسؤول وذلك من خلال عملها بعد ذلك على إعادة تشكيله، قتالاً وتضحية، في تلك الصورة التي ترى أنها يجب أن تكون له.

ذلك انه أمام الخطر الاستعماري المتصاعد، والذي أصبح يهدد، أكثر من أي وقت مضى، الجزائر، أرضاً وآمة، ماضياً ومستقبلاً، بالزوال، فإن المهمّ

ليس الشعارات، بل تجسيدها، قتالاً وتضحية، فوق أرض الواقع بالجماهير ومن أجلها، بعد تمكينها من التمثل بوضوح للإستراتيجية الثورية ولوسائلها، تمثلاً لا يلبث أن يحولها في النهاية، من منفعلة بالتاريخ إلى فاعلة فيه.

انطلاقاً من هذا المنظور، أعلنت فلسفة نوفمبر، وبكل وضوح، أن السلم مع المستعمر يتبع الكفاح الثوري الشعبي المسلح، الهادف إلى إجباره على الاعتراف بالأمة الجزائرية الواحدة والموحدة، وبدولتها المستقلة(6)، ولا يسبقه(7).

وانطلاقاً منه كذلك، أعلنت فلسفة نوفمبر أن المهمة التاريخية للثورة المجسدة لها تتمثل بالتالي في التحطيم النهائي، ومن دون رجعة، للنظام الاستعماري الفرنسي(8)، مؤكدة بذلك، وبصورة عملية، أن حرية الشعب الجزائري لا تتوقف على رغبة أو إرادة الحكومات الفرنسية، بل إنها تبنى وتتجسد من طرف جماهيره(9).

وإدراكاً من فلسفة نوفمبر أن الشعب لا يمكن أن يموت إلاّ من أجل أهداف واضحة ومحددة الوسائل، فإنها سلمت منذ البداية بأنه لكي يتحقق للشعب الجزائري مثل ذلك الوضوح ولكي يرتبط بالتالي بأهدافه، فإنه لا بد من معرفته ومعرفة طموحاته الحقيقية، وهي المعرفة التي أيقنت كذلك أنها لا تحقق بدورها إلاّ من خلال التحامها به لمعايشة واقعه وللوقوف على المستقبل الذي يرنو إليه.

ذلك أنه من دون مثل تلك المعرفة العميقة بالشعب ومن دون تلك المعايشة لواقعه ولطموحاته، يستحيل الوصول به إلى مثل ذلك الوضوح، ويستحيل بالتالي دفعه إلى أي عمل كان ولأنها نبعت من أعماق الشعب وكبرت وترعرعت بين أحضانه وعاشت عن قرب واقعه، فإن تلك الطلائع الثورية لجبهة التحرير الوطني المبشرة بهذه الفلسفة كانت الوحيدة التي

---

(6) بيان أول نوفمبر.

(7) El - Moudjahid, N 4, (Spécial Soumam).

(8) Ibid, N 4.

(9) Ibid, N 9, 20/08/1958.

استطاعت أن تبعث في تلك الشعارات التي ظلت تردد على مسامع الشعب الجزائري، من دون أن تأخذ يوماً أي محتوى مجسد لديه، وضوحاً لم يلبث أن أضفى عليها حياة جديدة وحّدتها وصهرتها في بوتقة واحدة ألهبت بها بعد ذلك عقل الجزائر وقلبها.

إن ذلك الوضوح الثوري، بكل أبعاده وبكل الشجاعة والصدق اللذين يتطلبهما بالنسبة إلى الشعب والمستعمر على السواء، هو الذي جعل هذه الفلسفة لا تتلاعب بالألفاظ أو تهوّن من جسامة العمل المطلوب من الشعب للوصول إلى حريته، تماماً كما إنه هو الذي جعلها تحدد للمستعمر وبصورة نهائية هدفها الأول والأخير الذي لا يقبل مساومة أو مناقشة أو مماطلة والمتمثل في «إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الحرة»[10].

بل إن ذلك الوضوح، وتلك الشجاعة التي لا يمكن إلا تنبثق عنه، قد وصلت إلى حد الإعلان على الملأ أن هدفها لا ينحصر في العمل من أجل استقلال الجزائر فحسب، بل وفي استقلال كل الشعوب المستعمرة «وذلك من خلال تحطيم أسس ذلك الاستعمار وتهديم قلاع مقاومته في الشمال الأفريقي وانتزاع كل نقط ارتكازه، في الجزائر، يمكن أن تمكنه من مواصلة أهدافه التوسعية والاستعمارية»[11].

بذلك تحقق التفاف الشعب الجزائري بأكمله، ولأول مرة، حول ثورته، ذلك الالتفاف الذي حمى في ما بعد مسيرتها الشاقة والطويلة من كل المناورات العسكرية والسياسية والنفسية والاقتصادية للمستعمر، ومن كل أنصاف الحلول التي استهدفتها واستهدفت من ورائها حرية ووحدة الشعب ووطنه، بقدر ما حماها من ضعف وتزعزع إرادة البعض من أبنائها، ومن كل شكل من أشكال التدخلات الخارجية التي كانت ولا تزال، وكما سبق أن أشرنا، السبب المباشر في فشل أكثر من ثورة في العالم الثالث عامة وفي العالم العربي وبخاصة (فلسطين).

---

(10) Ibid, N 4, (Spécial Soumam).

(11) Ibid.

ثالثاً: العمل

إذا كان من البديهي أن يكون العمل الثوري المباشر الهدف النهائي لذلك التفاعل الواعي ولذلك الوضوح الملتزم، حيث إنه وحده القادر على صنع الثورة والحيلولة من دون تحول ذلك التفاؤل إلى وهم وذلك الوضوح إلى هلوسة، فإننا نفهم بالتالي سرّ حرص فلسفة نوفمبر على تجنب أي تباعد[12] بين الفكرة الثورية الحاملة لها، وبين تطبيقها، إدراكاً منها بأن تلك الاستمرارية الجدلية، بين النظر وبين العمل، هي القادرة وحدها على تمكين الشعب الجزائري من استعادة شخصيته وحريته المغتصبتين[13].

إن ذلك يعني أن المهم بالنسبة إلى فلسفة نوفمبر ولرجالاتها الأوائل، ليس التوقف عند مجرد التنظير للثورة فحسب، بل العمل كذلك وفي الوقت نفسه على تجسيدها فوق أرض الواقع.

غير أن هذه البديهية على الرغم من بساطتها، قد وضعت مع ذلك هذه الفلسفة وثورتها أمام وضعية صعبة لم تعرفها الكثير من الفلسفات الثورية الأخرى.

ذلك أن المشكل لم يطرح بالنسبة إليها على مستوى مبدأ ذلك العمل في حد ذاته، فقد أدركت هذه الفلسفة منذ البداية، وكما سبق أن أشرنا، أنها أمام مستعمر لا يمكن إجباره على التسليم بحق الشعب الجزائري إلا بالعنف، لأنه لم يقم ولم يستمر إلا بالعنف، بل إن المشكل طرح بالنسبة إليها على مستوى تجسيد ذلك العنف.

فقد كان عليها (وهي التي قدمت نفسها للشعب الجزائري، على أنها محصلة لكل فئاته وقواه الاجتماعية والسياسية التي انصهرت طوعاً في جبهة التحرير الوطني المجسدة لها، والمنفذة الأولى لإرادته)، لكي تدفع الشعب الجزائري من جديد إلى تلك المواجهة المسلحة مع مستعمره، أن تحطم تلك الحواجز النفسية التي خلفها في أعماقه الفشل المتتالي لكل مواجهاته

---

(12) R. Malek: *Tradition et Révolution*, pp. 120 - 121.

(13) El - Moudjahid, N 10, 01/9/1957, N 11, 11/04/1957.

السابقة مع المستعمر، وأن ترتفع به فوق جراح الذكريات المؤلمة للمجازر الاستعمارية الرهيبة التي تعرض لها إثر كل فشل، والتي تعد مجازر 8 أيار/ مايو 1945، التي ذهب ضحيتها ما يزيد على 45 ألفاً من أبنائه، أبرز نموذج لها.

وكان عليها أن تقنعه عملياً أن عدوه يجب أن يرضخ هذه المرة، وعلى يده بالذات، للتسليم بمطالبه، وأن تضحياته وآلامه لن تذهب سدى[14].

وكان عليها كذلك، أن تحطم أمام الرأي العام الفرنسي والدولي أكذوبة الجزائر الفرنسية، وأن تدحض عملياً، وفي الوقت نفسه، كل أطروحات الأحزاب السياسية الوطنية التي انتهت كلها عشية الأول من نوفمبر 1954، إلى استحالة نجاح الشعب الجزائري في أي مواجهة مسلحة مع المستعمر، وحصرت بالتالي كفاحها ضده في الجانب السلمي، وقصرت مطالبها منه على بعض الإصلاحات الشكلية أو على المطالبة باستقلال كانت أول من رآه بعيداً وغير مؤكد بالتالي.

وكان عليها أيضاً أن تدخل في حرب ضروس وغير متكافئة مع مستعمر لم يعوِّد الشعب الجزائري إلا على القمع والعنف، ومصمم أكثر من أي وقت مضى لا على عدم السماح بتكرار «ديان بيان فو جديدة» فوق أرض الجزائر فحسب، بل وعلى غسل عار تلك الهزيمة التي ألحقت به في الهند الصينية بدماء وأشلاء الشعب الجزائري، وأن تمكنه من انتزاع حقوقه منه[15].

وكان عليها أخيراً، أن تحقق مثل هذا الهدف دونما تجاوز في الوقت نفسه لمبادئها الدينية[16] والأخلاقية والإنسانية، تلك المبادئ التي ألزمت نفسها بها، قبل أن يلزمها بها غيرها، وذلك إيماناً منها أن الثورة إما أن تكون أخلاقية أو لا تكون.

بذلك جاء ذلك العنف الثوري المجسدة له بمثابة الرد الطبيعي على العنف الاستعماري اللاإنساني في العديد من الأحيان.

---

(14) بيان أول نوفمبر.

(15) R. Girardet, *L'Idée Coloniale*, p. 331.

(16) El - Moudjahid, N 4 - N 12, 15/11/1957.

وبذلك أيضاً لم يكن ذلك العنف الثوري الشعبي والمنظم، وكما ادعى المستعمر، عنفاً هامشياً أو أعمى، كما لم يكن همجياً كذلك، بل كان الدليل الحي على الميلاد الجديد للإنسان الجزائري المستَعمَر، الذي تحول سلاحه إلى أداة لاستعادة إنسانيته، تلك الإنسانية التي لم يعد يجدها إلا عبر الموت الذي تحول لديه بالتالي إلى المنبع الوحيد الذي يستقي منه في كل لحظة، إنسانيته الجديدة تلك[17].

وبذلك أخيراً، انصهرت جدلياً، في لهيب ذلك الكفاح الوسيلة والغاية انصهاراً لم يفقد الخصائص الخارجية لكل منهما إلا لكي يوحد من خلالهما الجماهير التي تحولت بدورها إلى غاية وإلى وسيلة لتلك الثورة الصانعة لها، مؤكدة بذلك ومن خلال التزامها الثوري، أن الأخلاق الحقيقية ليست تلك الغارقة في المثالية التي لا تربطها بالواقع أي صلة تذكر فحسب، بل إنها تلك التي تتغذى من الواقع المعاش والملتهب لتلك الجماهير والتي لا يتحقق فيها الإنسان إلا بالكفاح وبالعمل.

ولأول مرة في تاريخ الشعب الجزائري، تأخذ المواجهة المسلَّحة مع المستعمر شكلاً شاملاً امتد إلى كل نقطة في الوطن، شماله وجنوبه، شرقه وغربه، أريافه ومدنه، جباله وصحاريه، من دون أن تنحصر، كما كان الحال في السابق، في منطقة محددة يسهل على جيش المستعمر الاستفراد بها، والقضاء عليها، على مرأى ومسمع من بقية الشعب الجزائري الذي لا يبدي حراكاً[18].

وذلك واحد من المعاني العميقة لأحداث 20 آب/أغسطس 1955، وأهدافها الثورية العسكرية منها والسياسية[19].

ولذلك كانت ثورة نوفمبر الثورة الوطنية الجزائرية الوحيدة التي لم تنسب إلى هذا الزعيم أو ذاك أو إلى هذا القائد أو ذاك أو إلى هذه القبيلة أو

(17) J- P Sartre: *Introduction aux Damnés de la terre*, pp. 15 - 25.

(18) وذلك ما حاوله المستعمر، بعد ساعات فقط من اندلاع ثورة نوفمبر، وذلك من خلال تركيز عمله العسكري على منطقة الأوراس بصورة خاصة. انظر Y. Courriére: *les Fils*..p, 181.

(19) لعل المرة الوحيدة التي لجأت فيها المقاومة الوطنية إلى حرب العصابات كانت أثناء معركة المقطع (عام 1845).

المجموعة البشرية أو تلك، بل نسبت إلى كل الشعب الجزائري الذي صنعها.

ولذلك أيضاً كانت الثورة الوحيدة التي لم تعرف على رأسها زعيماً يقودها وحده، بل إن الزعامة فيها كانت للشعب، وللأبطال العديدين الذين خرجوا من بين صفوفه، والذي أثبت بالتالي أنه وحده القادر على صنع التاريخ وعلى الخلود فيه ولذلك لم تسم هذه الثورة إلا باسم ذلك التاريخ الذي نجحت في صنعه: ثورة أول نوفمبر.

ولأول مرة كذلك، لا تأخذ المواجهة المسلحة مع العدو شكل الاصطدام المباشر، فذاك ما أثبتت تجارب الماضي عدم جدواه، بل أخذت، ومنذ مؤتمر الصومام (آب/أغسطس 1956) على وجه التحديد، شكل حرب العصابات المتمثلة في الاشتباك الخاطف مع العدو عن طريق مجموعات مقاتلة صغيرة تستفزه وتنشر عدم الأمن في كل مكان حوله قبل أن تلحق به ضربات موجعة، ثبت بعد ذلك أنها لم تلحق به طيلة كل حروبه الاستعمارية السابقة مجتمعة.

هكذا جسدت هذه الفلسفة عملياً تلك الشمولية في الكفاح على مستوى الوطن، وحولت العنف الفردي الهامشي والفوضوي، إلى عنف جماعي منظم وسياسي هزم التفوق المادي للمستعمر، وأعاد للشعب وحدته وثقته من جديد في نفسه، بقدر ما فتق لهيبه عبقريته التي أمدت الشعب الجزائري بجحافل من القادة العسكريين والسياسيين لم يعرفهم طيلة تاريخه بأكمله أولئك القادة الذين قوضوا القواعد العسكرية والسياسية للمستعمر وراحوا يبنون على أنقاضها الأسس العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والقانونية والاقتصادية الجديدة للدولة الجزائرية المقبلة.

ولأول مرة لم ينحصر الكفاح الوطني ضد المستعمر في الجانب العسكري وحده، كما حدث ذلك أثناء معظم المقاومات الوطنية السابقة، أو في الجانب السياسي وحده، كما فعلت ذلك الأحزاب السياسية الوطنية، بل جاء بذلك الشكل الشامل والمتكامل بين الحرب والسياسة، بين الداخل والخارج. بذلك تحولت الحرب إلى أداة للسياسة، وهذه الأخيرة إلى سند لتلك. وبذلك أيضاً تحول الكفاح التحريري للشعب الجزائري إلى أداة، لا لاستعادة حريته

السياسية فحسب، بل ولانبعاثه السياسي والاجتماعي والثقافي والعلمي.

ولأول مرة في التاريخ أخيراً، وليس آخراً، تسهم ثورة في العالم الثالث في تحرير شعوب شقيقة وصديقة في أكثر من مكان في العالم العربي والإسلامي ومن العالم الثالث، بل وفي تحرير الشعب الفرنسي ذاته من فاشية عسكرية مؤكدة.

فلا أحد ينكر أن تصاعد الثورة الجزائرية هو الذي دفع المستعمر إلى الإسراع في منح الشقيقتين تونس والمغرب الاستقلال بهدف التفرغ لسحق هذه الثورة، ولا أحد ينكر كذلك أن التصاعد نفسه هو الذي دفعه بعد ذلك وللغرض نفسه إلى منح الاستقلال سلمياً لكل مستعمراته الأفريقية حتى تلك التي لم تكن تطالبه به.

ولا أحد ينكر كذلك أن ثورة أول نوفمبر كانت أول ثورة عربية وإسلامية مسلّحة وحدت عملياً العالم العربي والإسلامي، وغيرت من صورته المزرية التي أصبحت، خاصة بعد هزيمته في فلسطين سنة 1948، بفرضها على أوروبا بأكملها، بل على العالم بأكمله، صورة أخرى للقيم وللفضائل التي تحكم سلوك أبناء هذا العالم العربي الإسلامي، وذلك مثل قيم الجهاد والوفاء والتضحية والإخاء والشجاعة والحرية والعدالة والإنسانية.. الخ، تلك القيم والفضائل التي قال عنها الكاتب الفرنسي أ. كامو السياسي، (Camus,le politician)، ذات يوم من أيام سنة 1936، وفي معرض حديثه عن الشعب الجزائري «إن فضائل هذا الشعب تسهم في انحطاط مصيره»[20] إن الفكرة نفسها نجدها عند العديد من المثقفين الفرنسيين.

---

(20) لقد ظل (كامو) مرتبطاً قلباً وجسداً لا بأمه، وهو ما قد نفهمه، بل بفرنسا وبالجزائر المرتبطة مع فرنسا حتى آخر حياته، أنظر تصريحه الذي أدلى به في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1957م، بمناسبة استلامه جائزة نوبل للآداب في (ستوكهولم) والذي أكد فيه «أنه يؤمن بعدالة ثورة الشعب الجزائري ولكنه سيدافع عن أمه (فرنسا) قبل أن يدافع عن العدل». وأضاف «لقد كان يجب علي قبول المقاومة الجزائرية ولكنني فرنسي».أنظر تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع في: (Herbert R. Lottman: *Albert Camus*, Trad, Mariane Véron, édit, Seuil paris, 1978, pp. 615, 627, 633).

وفي سنة 1958، كتب يقول إنه «يجب اعتبار المطالبة بالاستقلال الوطني الجزائري إلى حد ما بمثابة مظهر لهذه الإمبريالية العربية الجديدة التي تدعى مصر المعجبة بقواها وقيادتها والتي تستعملها روسيا في الوقت الحالي لأغراضها الاستراتيجية المضادة للغرب»: أنظر: (A. Camus: *Chroniques algériennes*, III, paris, Gallimard, 1968, p. 230.

ولا أحد ينكر كذلك، أن تصاعد الثورة الجزائرية كان أحد الأسباب التي كانت، لا وراء تغيير العقلية السياسية في فرنسا فحسب، بل وفي حماية الحرية والديمقراطية داخلها، حيث كشفت تلك الثورة للرأي العام الفرنسي عن مدى مخاطر النزعات الفاشية لجيشه الذي بدأ يعمل على تعويض فشله العسكري في الجزائر بالانقلاب على الشرعية والديمقراطية داخل فرنسا، كما حدث ذلك أثناء «ثورة الجنرالات» في الجزائر (عام 1961)[21]، التي دفعت «ديغول» وحكومته إلى العمل على الهروب إلى خارج فرنسا لمقاومة تلك «الثورة» أو الانقلاب.

بل إن تلك المخاطر، ظلت، وبشهادة المفكرين الفرنسيين أنفسهم، قائمة بعد ما يزيد على ربع قرن من طرد الثورة الجزائرية لذلك الجيش من فوق أرضها[22].

---

(21) يذكر في هذا الصدد، أن ديغول وجماعته قد انتابهم قلق شديد من جراء تمرد الجنرالات في الجزائر حيث إن ذلك التمرد العسكري في أفريقيا الشمالية (الجزائر) ونشاط دعاة الجزائر الفرنسية داخل فرنسا ذاتها قد أخاف «ديغول» من الإطاحة به من طرف اليمنيين في فرنسا، فقد أصاب وزيره الأول «ميشال دوبريه» جزعاً شديداً في حين كانت الفوضى الكاملة تسود الحكومة. ولذلك فقد تقرر في حالة حدوث انقلاب عسكري يميني داخل فرنسا مغادرة المجموعة الديغولية سراً، فرنسا عن طريق الجو إلى بلد أجنبي لم يحدده الكاتب (ويقول البعض (أنه ألمانيا. غ) وآخرون أنه سويسرا)، أين يتمكنون انطلاقاً منه من توجيه الكفاح ضد تلك الطغمة.

غير أن الكفاح ضد الثورة المنتصرة لا بد له من النقود لذلك «طلب المتعاونين مع ديغول ووزير دوبريه (M. Debré) من رئيس المصالح المالية (S. D.E.C.E). بالعمل اللازم لإخفاء مبالغ مالية، جمعت معظمها من الغرامات الخاصة بالمخدرات المحتجزة، في سويسرا، تحسباً للكفاح الذي يمكن أن يقاد في المستقبل ضد هذه الطغمة».

و هكذا غادر (Louis Fauvet) رئيس قسم المصالح المالية باريس مباشرة إلى(جنيف)و (بيرن) لاستئجار خزائن في بنوك عديدة وتحت أسماء مختلفة مستفيداً في ذلك من التشريع السويسري الخاص بالمالية لفتح حسابات مؤقتة كذلك.

«وبعد عودته إلى باريس، جمع من جديد عدة ملايين من الدولارات ومن العملات الصعبة الأخرى. . وهي المبالغ التي أدخلها بعد ذلك وخلال تنقلات رسمية عديدة إلى سويسرا في أكياس بريدية فرنسية رسمية تحمل الخاتم الرسمي الذي يضفي عليها الطابع الدبلوماسي.

وهكذا استمرت تلك المبالغ المالية السرية في التراكم بالبنوك السويسرية، إضافة إلى سبائك الذهب، وكانت قلة قليلة من الأشخاص المقربين من «ديغول» و«دوبريه» هم الذين يعلمون أين توجد تلك الودائع، كما كانوا الوحيدين الذين بإمكانهم القيام بعملية سحب من تلك المبالغ.

(Thyaud de Vosjoli: In A. Jaubert: *D. Comme Drogue*, édit, Alain Moreau, paris, 1973, pp. 514 - 515);

(22) P. Vidal Naquet: *Les crimes de l'armée française*, Maspéro, 1980 (introduction).

بمثل ذلك العمل الثوري تبخرت وتلاشت كل تلك التساؤلات حول إمكانية الشعب الجزائري على مواجهة المستعمر وحول ملاءمة الظروف الدولية لمثل هذه المواجهة. وفشلت كل المؤامرات الاستعمارية السياسية والعسكرية، النفسية والاجتماعية منها، وهذا ابتداء من «الاستسلام دون قيد أو شرط». والربع ساعة الأخير للقضاء على هذه الثورة وارتقاءً إلى «سلم الأبطال» مروراً بكل مشاريعه الانتخابية والاندماجية والاقتصادية المزيفة.

وبمثله كذلك تبددت أحلام المستعمر حول الجزائر ودحضت كل دعاياته حولها وحول شعبها ابتداء من «الجزائر الفرنسية» حتى «الجزائر الجزائرية»، لتبقى في النهاية حقيقة واحدة هي الجزائر العربية الإسلامية الحرة.

وبمثله أخيراً بلورت فلسفة نوفمبر الوعي الثوري الجزائري، وذلك من خلال الكفاح المسلح الذي ما لبث أن انبثقت عنه أفكارها الكبرى التي استطاعت، وعلى الرغم من السلبيات التي ميزت بناءها، أن تعطي دفعاً وديناميكية جديدين للجماهير وأن تضفي على التزامها الثوري معنى وأثراً أكبر[23].

وهاهو ذلك الفلاح الجزائري، المتخلف، يطيح في النهاية، وبمجرد لمسه لسلاحه من جديد، بالآلة الاستعمارية الفرنسية الرهيبة، ويجعل أوهامها وأحلامها القديمة تندثر وتتبخر وسط دخان طلقات رصاصه، وها هي المحرمات تزاور وتنقلب رأساً على عقب[24].

وها هو ذلك الجزائري، «الوبش»، الغارق في أتون التخلف، والمزود ببندقية صيده تلك، يتحول بفضل تلك الفلسفة إلى رجل جديد، راح يعيد، وبفاعلية أكبر، كفاح كل إخوانه الذين سبقوه، ويدكّ بدوره، حصون المستعمر دكاً لا بهدف هزيمة جيشه عسكرياً[25]، وكما ذهب البعض، بل بهدف انتزاع حرية شعبه، بل وحرية كل الشعوب الأخرى الجاثم عليها منه، وذلك بكل الوسائل المتوافرة لديه وفي مقدمتها الوسائل العسكرية.

---

(23) J. P. Sartre: Introduction, *Aux Damnes de la terre*- F.Fanon: pp. 10 - 25 - 41 - 43.

(24) Ibid, *Introduction*,

(25) R. Gallissot: Retentissement, p. 139.

ولعل أفضل من يصور لنا ذلك الأثر الذي أحدثته هذه الثورة على المستعمر، هو تلك الشهادة التي سبق أن قدمناها، لأحد السوّيسريين الذي كتب سنة 1958، أي بعد خمس سنوات من اندلاعها، ما يلي: «إن حرب الجزائر، قد أعطت حياة للأساطير بدلاً من الوقائع، لقد شلّت الأمة (الفرنسية) وجمدت هياكلها وعرقلت قدر فرنسا في أفريقيا وشوهت حضارة الحرية التي ظلت تشكل حتى الآن الصورة المضيئة لفرنسا في العالم»[26].

وإذا كانت تلك الثورة، وذلك العنف الثوري الحاملة له لم يسلما من بعض الأخطاء، ومن بعض التجاوزات[*] التي ذهب ضحيتها لا فقط الكثيرين خاصة ممن عرفوا بالخونة أو «بالحركة»[**]، بل وأبرياء كذلك من المناضلين الصادقين الذين أزهقت أرواحهم لمجرد الشك فيهم وفي إخلاصهم للثورة، فذلك أمر إذا كنا نأسف له كثيراً، فإننا نظل مع ذلك نعتقد أنه كان متوقعاً، أمام دوامة العنف الجماعي التي ظل المستعمر يزج فيه الشعب الجزائري طيلة ما يزيد على الـ 130 سنة من تواجده فوق أرضها، كما إنه لا يعني شيئاً كثيراً أمام تلك المجازر والمذابح الجماعية التي ارتكبتها كل الثورات الحديثة والمعاصرة وفي مقدمتها الثورة الفرنسية التي يعرف الجميع العدد المهول لضحاياها من الأبرياء[27].

رابعاً: الديمقراطية

قد يعتقد البعض أن مثل تلك النتائج، التي سبقت الإشارة إلى البعض منها، إنما هي الثمرّة الطبيعية بل والحتمية لتنظيم مثل تنظيم جبهة التحرير الوطني، ذلك التنظيم الذي وجد فيه المناضلون هيكلاً معبراً عن حماسهم، وإطاراً ملائماً لما كانوا يريدون[28].

---

(26) Ch. H. Favord: *La Révolution Algérienne*.

(*) يقدر البعض (Ch.R..Agron) عدد الحركة الذين قتلوا على يد الوطنيين أثناء الأيام الأولى لاستعادة الجزائر لاستقلالها بحوالى 57000 حركي.

(**) سنعرض للبعض من تلك التجاوزات في الفصل التاسع والأخير من هذه الرسالة.

(27) Michelet: *Scènes de la Révolution française*, p. 103. P,Gaxotte: *La révolution française*, Paris, Fayard, 1928, pp. 75 - 111 -349

(28) R.Malek; *Tradition et Révolution*, p. 120.

ومثل هذا الاعتقاد صحيح مبدئياً ولكن هل تنجح كل الفلسفات الثورية ومن ضمنها فلسفة نوفمبر، في دك مثل تلك الهياكل ومثل تلك الأطر الاستعمارية؟ إن تاريخ الأحزاب الوطنية بخاصة، وتاريخ الأحزاب السياسية والعديد من الفلسفات المعاصرة الرافعة لشعارات الثورة عامة، يقول لنا إن ذلك ليس أمراً مؤكداً في كل الأحوال.

وآية ذلك، أن الحرية بالرغم من أنها تمثل مطلباً مشتركاً تتساوى فيه كل الثورات التحريرية، تساوي رغبتها في تغيير الواقع الاستعماري بواقع أفضل منه، فإن مفهومها لتلك الحرية يختلف مع ذلك تبعاً لطبيعة التغيير الذي تستهدفه من ورائها ولعملها من أجل تجسيده كذلك.

ولعل ذلك هو السبب في انتهاء الكثير من الثورات التحريرية الحديثة والمعاصرة في العالم العربي والإسلامي وفي العالم الثالث بل وفي أوروبا، إلى ما يشبه الإجهاض نتيجة لذلك التصور المحدود للحرية ولذلك العمل المحدود كذلك، وبالتالي من أجل تجسيد كل أبعادها لصالح كل أفراد الشعب بل لصالح كل الإنسانية المضطهدة.

وحين نتساءل، استناداً إلى ما تقدم، عن مفهوم فلسفة الثورة الجزائرية للحرية، وعن الأهداف التي استهدفتها من ورائها؟ فإننا سرعان ما نتبين أن ذلك المفهوم مفهوم مجاهد لا يجعل من الحرية حقاً إلهياً أو طبيعياً معطى مرة واحدة وإلى الأبد فحسب، بل يحولها إلى حرية عاملة ومؤثرة لا تتحقق إلاّ عبر جهد التحرير، ولا تستمر إلاّ به[29].

كما نتبين كذلك أن تلك التغيرات التي استهدفتها من ورائها، وجسدتها عملياً بعد ذلك من خلال استعادتها للدولة الوطنية الجزائرية، تتمثل أساساً، وكما أكدت ذلك كل نصوص ووثائق هذه الثورة وفلسفتها في «تصفية الاستعمار وتصفية الهياكل المتخلفة والإقطاعية التي ظل وجوده مستنداً إليها. من هنا فإن حرب التحرير الوطنية في الجزائر لا يمكن إلا أن ترتبط في الوقت نفسه مع الثورة الديمقراطية الموجهة أساساً ضد كل

---

(29) J. Wahl, *Traité de Métaphysique*, Paris, Payot, 1951, p. 258.

الأفكار المتخلفة والمسبقة، وضد الانتكاسات الثورية المختلفة»[30].

إن موضوعية مثل هذه الأهداف تتجلى بصورة أوضح إذا ما تذكرنا أنه «أمام عملية التحطيم الاستعماري والمسخ والتقتيل الشاملين للمجتمع الجزائري، فإن تغيير ذلك المجتمع نحو الأفضل لا يمكن بدوره إلا أن يكون شاملاً»[31].

من هنا نفهم لماذا رفضت هذه الفلسفة كل تلك المفاهيم الأدبية والمجردة للحرية إيماناً منها أن الحرية الحقيقية لا تولد إلا عبر الجهد التحرري ولا تستمر إلاّ به، ذلك الجهد الذي لا يبدأ في التحقق إلاّ حينما يبدأ الفرد عملياً في تحرير نفسه.

إن ذلك يعني أن محرك التاريخ بالنسبة إلى فلسفة نوفمبر، ليس، وكما توهم البعض مثل «ألثيموس»[*]، في مفهومه الأفلاطوني اللاعقلاني[**]، والذي تحول عند» ف. فوكوياما»[32]، نتيجة لتأثره ببعض القراءات الخاطئة لكل من «مفهوم أفلاطون»[33] للرغبة، ومفهوم «هيغل» للتاريخ[34]، إلى رغبة في الاعتراف[35] وإلى تاريخ بلغ، عنده، نهايته، وذلك من خلال الثورة الفرنسية ممثلة بصورة خاصة في نابليون بونابرت[36].

كما إن محرك التاريخ ليس «اللوغوس»[***] أي العقل، أو «هاجس

---

(30) El Moudjahid, 15/11/1957.

(31) E. Mounier, *le personnalisme*, Q-S-J? 1958, p. 77.

(*) Thymos.

(**) Cf: Platon: Phèdre, 253 d. 59.Timée 69 c. *La Republique*, 436 a, Phèdon, 82 d, Ed Henri Etienne (Oeuvres de Platon).

(32) F. Fukuyama, *The End of History,and the Last Man*, Avon Books, New -York, 1992, pp. 14 - 18 -133 -251.

(33) Allan Bloom, De La Tyrannie, Gallimard, Paris,1954.

(34) Hegel: *La Phénoménologie de L'esprit*,T,I, P. 40; *La raison dans L'Histoire*, pp. 23 -42; Cf - Principe *de la philosophie du droit*, trad., française, Vrin, Paris 1975, pp. 51 - 336 -355.

(35) A. Kojève: *Introduction à la Lecture de Hegel*, Gallimard, Paris,1947, pp 436 -437.

(36) Cf -J.Garnier: *Hegel et la Révolution*, Revue de Métaphysique et de Morale, N 1,1980.

(***) Logos.

الوجود» خاصة، كما ذهب آخرون[37]، أو «البرومثيووس»[*]، أي الانشغال بالوجود في معناه الميتافيزيقي كما اعتقد آخرون[38]، بل إنه ظاهرة أقرب إلى «السّوبيرانوس»[**] أي قمة الإحساس بقوة الحرية والسيادة الكاملتين، ذلك الإحساس الذي تروي الأساطير اليونانية القديمة[***]،أنه يتولد لدى كل من يتذوق ثمار زهرة «اللوتس» التي تنبت في السواحل الشمالية لأفريقيا، والتي جعلت «أوليس» ورفاقه[****]، بعد مغامرتهم البحرية التي قادتهم إلى تلك السواحل، مثل أهلها، «اللوتوفاج»، لا يبغون بدورهم، وبعد تذوقهم لتلك الثمار، عن الحرية والسيادة، بديلاً.بذلك أكدت فلسفة نوفمبر أن الحرية إحساس وإيمان بالحرية محولة بذلك مفهوم الاستقلال إلى حقيقة حية ومعاشة بصورة مباشرة من طرف الجماهير الجزائرية.

وبذلك أيضاً تحولت الديمقراطية في تلك الفلسفة من مجرد «إيزوتوميا»[*****]،(أي رغبة في الاعتراف المتكافئ أو المتعادل، ذلك الاعتراف الذي أعتقد «ف.فوكوياما» أنه قد وجد فيه «الحلقة المفقودة»[******] للديمقراطية الغربية[39]، إلى فعل ثوري جماهيري، مجسد، عنوة، لمثل ذلك الاعتراف المتكافئ في الميدان.

وفلسفة نوفمبر إنما فعلت ذلك إدراكاً منها أن مثل ذلك الاعتراف، خاصة حينما يكون بين مستعمِر (بكسر التاء)، ومستعمَر (بفتحها)، مستحيل، وذلك نظراً إلى النزعة «الميغالوتيمية»[*******]، أي التفوقية، خاصة للغرب

---

(37) Fred Halliday: New - Left Review, N 193, May - - June, 1992.

(*) Promethée.

(38) غازي مسعود: نهاية التاريخ: بين التيموس والبروميتوس، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات، بيروت العدد الثالث، 1994.

(**) Superanus.

(***) Lotus.

(****) Ulysse, Homère, Odyssée, IX, 9, 91 - 98.

(*****) Esothimia.

(******) Le chainon manquant. *The lacking chain*.

(39) F. Fukuyama: in *journal of Democracy*, Vol, 3, N 3, July, 1992, trad Française, in Revue Dialogue, N 2. Washington, 1993.

(*******) Megalotymia.

الأوروبي، تلك النزعة التي جعلت بالأمس المستعمرين فيه، لا يرون من وسيلة لتحقيقها، وباسم تفوقهم الجنسي والعسكري، إلا على حساب الشعوب المستضعفة، وبالحديد والنار، تماماً كما جعلته اليوم، لا يتصور كذلك من ميدان أفضل لتجسيدها، وباسم التقدم العلمي والتقني، والنظام الدولي الجديد والعولمة(*)، إلا في العالم الثالث وعلى حسابه.

بمثل ذلك المنهج لفظت فلسفة نوفمبر، سياسة المراحل وأنصاف الحلول، جملة وتفصيلاً، ومن ضمنها الحلول التطورية التي قبلت بها البعض من الأقطار الشقيقة المجاورة، وطرحت الحل الثوري كحل وحيد، إدراكاً منها لطبيعة الاستعمار الجاثم عليها دون غيرها، والذي لا يمكن أن يهزم إلا بالثورة(**).

وبمثله كذلك جسدت فلسفة نوفمبر، وأكدت، قتالاً وتضحية، مفهوم الشعب وسيادته، محولة بذلك مشروعه الثوري إلى المؤسسة الشرعية الوحيدة التي تمثل كل المواطنين ومصالحهم، فرادى ومجتمعين والتي لا مجال إلى جانبها لوجود أي تنظيم سياسي أو عسكري آخر، لأن مثل تلك التنظيمات، إذا ما وجدت، مطالبة بحل نفسها بنفسها وبالانضمام إلى جبهة الشعب الموحد في الآلام وفي الكفاح أمام المستعمر والتي لم يعد بإمكانها بعد الآن ادعاء تمثيله أو العمل من أجل مصالحه.

إن بعض التنظيمات السياسية الوطنية التي تجاهلت هذه الحقيقة، بدافع من المستعمر، أو بدافع من عقدة الكبرياء أمام الواقع الوطني الجديد الذي تجاوزها، سرعان ما أجبرت على التسليم بها مكرهة.

إن هذا المفهوم للديمقراطية ليزداد وضوحاً وموضوعية حينما نتذكر ونذكر كذلك بأن جبهة التحرير الوطني لم تجد عشية الفاتح من نوفمبر 1954، تلك الأحزاب الوطنية في السلطة لتطردها منها ولتحل مكانها، بل إن كل ما فعلته من خلال ندائها إليها هو إتاحة الفرصة للشعب لتجسيد تلك المبادئ التي ظلت ترفعها وترددها على مسامعه من دون أن تتمكن يوماً من

(*) La Mondialisation.

(**) El - Moudjahid, N 12,.NOV/1957.

تحقيق حتى القليل منها، وهي الحقيقة التي تؤكدها هذه الفقرة من بيان أول نوفمبر «إن غرضنا من نشر هذا البيان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، وصحّة وجهة نظرنا التي لا يزال الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي هدفها»[40].

بذلك أخذ المشروع الثوري للشعب الجزائري، لأول مرة، ذلك المحتوى الديمقراطي الشعبي مبدأ وممارسة، لا بالنسبة إلى تلك الأحزاب السياسية الوطنية فحسب، بل وبالنسبة إلى كل أفراد الشعب الجزائري أيضاً، حيث طبقت ذلك المبدأ بصرامة وموضوعية، نسبيتين، من دون اعتبار لجنس أو لثروة أو لرتبة أو لجاه أو لجهوية أو لمكانة اجتماعية أو دينية.

وبمثل هذه الديمقراطية كذلك، استطاعت الثورة التحريرية الجزائرية، أن تلفظ بشكل نهائي عبادة الأشخاص، والزعامات الفردية، وأن تقرّ مبدئياً القيادة الجماعية، التي لم تكن مجرد كلمة فارغة، وحرية الرأي بالنسبة إلى كل أبنائها في الحدود التي لا تمس بالمبادئ الأساسية التي تبنتها فلسفتها ومن بينها ذلك المتمثل في الاستقلال الوطني كهدف أوحد ووحيد للشعب الجزائري، وفي الكفاح ضمن إطار هذه الثورة كوسيلة له.

وبمثل هذه الديمقراطية كذلك استطاعت أن تصحح نفسها بنفسها، وأن تؤكد في الوقت نفسه صدقيتها للعدو قبل الصديق، وبمثلها أخيراً امتزجت حرب التحرير الوطنية في فلسفة نوفمبر، بالثورة الديمقراطية[41]..

وإن تلك الديمقراطية لتزداد عمقاً، وبخاصة حينما نتذكر أنها لم تنحصر لدى هذه الثورة في الجانب السياسي المحض كما هو الحال بالنسبة إلى الثورة الفرنسية، أو في الجانب المادي الاجتماعي الصرف كما هو الشأن بالنسبة إلى العديد من الثورات الاشتراكية، بل امتدت إلى الجوانب السياسية والاجتماعية معاً، وفي الوقت نفسه، محققة بذلك تلك التكامل الذي قلّ أن نجحت ثورة معاصرة في تحقيقه.

---

(40) El - Moudjahid, N 12, 15/11/1957.

(41) بيان أول نوفمبر.

كما إن تلك الديمقراطية تزداد عمقاً كذلك عندما نتذكر أنها لم تقتصر على الشعب الجزائري فحسب، بل امتدت إلى المستعمرين المدنيين الأوروبيين أنفسهم، وهذا في الوقت الذي كانوا فيه يعملون يائسين على تحطيم الثورة بالإرهاب (منظمة (O.A.S))، ويقتلون أبناءها جماعياً، حيث عرضت عليهم العيش في كنف الجزائر بالحقوق نفسها وبالواجبات نفسها الممنوحة والمطلوبة من المواطن الجزائري؛ ولم تحصرها داخل حدود الجزائر فحسب، بل مدتها إلى كل الشعوب المضطهدة في العالم، وذلك ما لم تفعله الثورة الإنكليزية التي أعلن «جورج الثالث»، أنها جاءت لأجل تحرير الإنكليز فقط، أو الثورة الأمريكية التي أخرجت الزنوج والهنود الحمر من تلك الحرية، فضلاً عن الثورة الفرنسية التي سخرت مبادئ حقوق الإنسان التي تفاخرت بها طويلاً كغطاء لاغتصاب حقوق أكثر من شعب في العالم العربي، وفي العالم الثالث[*]، بل في أوروبا نفسها[42].

لكل ذلك كانت الثورة الجزائرية واحدة من الثورات الإنسانية القليلة التي استطاعت أن تجسد عملياً مبدأ حق الشعوب في الحرية، لا فوق أرضها فحسب، بل فوق كل أرض مكافحة من أجل تلك الحرية. ولكل ذلك أيضاً كانت لها تلك الأصداء وتلك الآثار المتجددة في العالم الثالث بخاصة وفي العالم عامة.

خامساً: التكامل

أما المبدأ الخامس والأخير لفلسفة الثورة الجزائرية فهو التكامل، ذلك المبدأ الذي يؤكد شأن غيره من المبادئ الأخرى التي سبق الحديث عنها، ومن خلال تلك الكلية والشمولية، وذلك الترابط المحكم بين مختلف جوانب المشروع الثوري لفلسفة نوفمبر، مدى تشبع هذه الأخيرة بقيم أمتها العربية الإسلامية، وبنظرتها المتكاملة للإنسان وللحياة.

لذلك فإن المتتبع لهذه الفلسفة وللثورة التي انبثقت عنها، لا يجب أن

(*) نلاحظ أن نابليون بونابرت، قد أقر استمرار الرق في الباسيفيك.

(42) Dumon Wilden: *L'évolution de L'esprit Européen*, pp. 76 - 84.

يندهش لمدى عمق تواجد تلك النظرة التكاملية التي تميزت بها، والتي لم تفصل، وكما سنرى، بين تحرير الذات وتحرير الآخرين، بين الواقع الوطني والواقع العربي الإسلامي وواقع العالم الثالث خاصة الرازح منه تحت الاستعمار، بين الجانب العسكري والجانب السياسي بين الماضي وبين المستقبل.

إن مثل هذه النظرة الشمولية والمتكاملة هي التي مكّنت لفلسفة نوفمبر من جعل كل تلك الأسس والمبادئ والقيم والأفعال تتلاقى وتتفاعل وتندمج وتتكامل في تلك الثورة التحريرية التي لم تدك كل قواعد الاستعمار وحصونه فوق أرض الجزائر وخارجها فحسب، بل دكت كذلك وفي الوقت نفسه كل تلك الآراء الاستشراقية الاستعمارية المسبقة حول العقل العربي الإسلامي وحول ما أشيع عن نزعته إلى المباعدة والتجزئة وعجزه عن التأليف والتركيب[43](٭).

لقد حرصت هذه الفلسفة، انطلاقاً من قناعتها أن الثورة كل متكامل، على أن يكون كل جانب من جوانبها مكملاً الآخر.

ولذلك لم تقع في تلك الأخطاء التي وقعت فيها معظم الحركات الوطنية، العسكرية منها والسياسية التي سبقتها، فلم تفصل بين العمل السياسي وبين العمل العسكري، ولم تركز على هذا دون الآخر، بل ألفت بينهما وأولتهما الأهمية نفسها إيماناً منها بأنه إذا كان هدف أي حرب تحريرية سياسي في النهاية، فإن تحقيق ذلك الهدف لا يمكن أن يتم، كما أكدت ذلك تجارب الشعب الجزائري المريرة مع المستعمر، إلا بالكفاح المسلح.

- من هنا نفهم سر تركيز هذه الفلسفة على الجبهة الدبلوماسية في الوقت نفسه الذي لم تخفف فيه من النضال المسلح، إدراكاً منها بأن عزل المستعمر دبلوماسياً لا يقل تأثيراً عن محاصرته عسكرياً.

---

(43) E. Renan: *Histoire générale et systèmes comparés des langues sémitiques*. Paris, 5 éme édit., Ti. pp. 5- 16; L. Gauthier: *la Philosophie musulmane*, paris, 1900; Introduction à l'étude de la philosophie musulmane, l'esprit sémétique et l'esprit aryen, paris, 1923.

(٭) Esprit Fusionniste.

ومن هنا نفهم كذلك ذلك الطابع التكاملي لكل مواثيقها وبيناتها التي جاءت مكملة بعضها للبعض الآخر، فقد وضع بيان أول نوفمبر الخطوط السياسية والعسكرية العامة للثورة. في حين حدد مؤتمر الصومام 1956، كيفية سيرها العملي في الميدان، وفصّل ميثاق طرابلس (عام 1960) الأسس الأيديولوجية والاجتماعية لدولتها الوطنية والعصرية المقبلة.

ولم تفصل بين الثورة وبين الشعب، بل رمت بالثورة داخل الشعب ودمجت الشعب داخل الثورة، الأمر الذي حال من دون كل محاولات الاستعمار وإرهابه وقمعه وتعذيبه ومناورته المختلفة، ومن دون عزل الثورة عن الشعب، وذلك ما لم توفق فيه كل الحركات الوطنية المسلحة التي عرفتها الجزائر من قبل. وذلك هو سرّ تلك الصدقية التي ميّزت هذه الفلسفة والثورة المجسدة لها، وهي الصدقية التي مكنتها من تفجير الطاقات الثورية الواسعة والفاعلة للشعب الجزائري ومن إدماجه في حركة واحدة وموحدة، محتفظة بذلك بتأجج الروح الثورية لديه، وحتى نهاية كفاحه، ومتجاوزة بذلك وبالتالي الفوارق السياسية والاجتماعية والجنسية والاجتماعية والجهوية والقبلية، نحو ذلك الفعل الوطني الثوري، الواحد، الشامل والمتكامل.

ولم تفرق بالتالي، وبقدر ما استطاعت، بين العسكريين وبين السياسيين، بين عناصرها العاملة في الداخل وتلك العاملة في الخارج، بل عملت على التأليف بينهم توحيداً لكل الجهود حول الهدف المشترك.

ولم تفصل بين وحدة الشعب وبين وحدة الأرض، وبين مرحلة التحرير ومرحلة ما بعد التحرير، بل عملت في لهيب المعركة على إرساء الأسس الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والإعلامية والقانونية والنقابية، وعلى تكوين أقصى قدر ممكن من إطارات الدولة الجزائرية المقبلة في مدرسة تلك الثورة المسلحة.

كما لم تفصل كذلك بين قضية تحرير شعبها وبين تحرير كل الشعوب المستعمرة، بل ربطت قولاً وعملاً معركتها ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأعوانه، بمعارك كل تلك الشعوب ضد الاستعمار نفسه. بذلك

أسهمت في توسيع الجبهة المعادية للاستعمار، وأعطت دفعاً جديداً لحركة التحرر في العالم الثالث لا تزال آثاره مستمرة حتى الآن.

وبذلك أيضاً ضمنت هذه الفلسفة لثورتها عملاً متوازناً ومتكاملاً حال دونها ودون التطرف الذي لا تزال تصطدم به الكثير من الثورات، وأتاح لها في الوقت نفسه فرصة الاستفادة من التجارب الثورية المفيدة من دون عقدة نقص ومن دون انجرار كذلك وفي الوقت نفسه وراء الأيديولوجيات الحاملة لها.

الفصل الثامن

خصائص فلسفة نوفمبر

تمهيد

حين يصف البعض ثورة نوفمبر بأنها كانت ثورة ضد المستحيل[1]، فإننا نعتقد أن ذلك الوصف الذي ينسحب على كل المقاومات الوطنية التي كانت بدورها، ونظراً إلى التخلف المزري للشعب الجزائري، وبالنسبة إلى تقدم مستعمره، مقاومات ضد المستحيل، لا يجانب الصواب كثيراً.

لقد شكلت تلك الفلسفة، من خلال ذلك التحول النوعي الذي أدخلته عل أساليب الحروب التحريرية في العالم، واحد من أهم العوامل، التي كانت وراء نهاية عالم، عالم الاستعمار، وبداية عالم جديد عالم الشعوب، خاصة الشعوب العربية والأفريقية، التي ظلت قبلها مستضعفة ومستعبدة[2].

ولأن فلسفة نوفمبر كانت كذلك، فإنها تحولت بالتالي إلى نموذج للثورات التحريرية المعاصرة، آخذة بذلك ذلك البعد التاريخي، الوطني والعالمي، على حد سواء.

إن مثل هذا الإنجاز الذي قلّ أن نجحت فلسفة ثورية معاصرة في العالم الثالث، بصورة خاصة، في تحقيقه، والذي أضفى على ثورة نوفمبر مثل تلك الأبعاد الوطنية والعالمية، هو ذاته الذي سيكون وراء تلك المشاكل، التي لا تزال تعترض العديد من المحولات الهادفة للتأريخ لهذه الثورة ولتحديد خصائصها المميزة كذلك، وذلك نظراً إلى صعوبة التمييز بين ما هو خاص

---

(1) M. Lachraf: l'Algérie, nation, p. 33.

من تلك الخصائص، بالواقع الاستعماري الوطني الجزائري، وبين ما هو مرتبط بعملية انتقال العالم الثالث عامة، من مرحلة الاستعمار إلى مرحلة التحرر، السياسي منه بخاصة.

من هنا نفهم سرّ ذلك التخبط الذي لا يزال يميز العديد من المحاولات الهادفة إلى كتابة تاريخ ثورة نوفمبر، كما نفهم كذلك سرّ فشل العديد من تلك المحاولات لتجاوز التاريخ السردي والعاطفي لها، إلى التاريخ الموضوعي والإستراتيجي، القادر وحده، وكما سبق أن أشرنا في المقدمة، على ترسيخ مكانتها في عقول وفي ضمائر الأجيال الجزائرية الحاضرة والمقبلة، وعلى تمكينهم كذلك من مقاربتها وفقاً لرؤيتهم الفكرية والثقافية التي لا نشك وكما سبق أن أشرنا، أنها ستكون مختلفة عن رؤيتنا اليوم.

ومن هنا كذلك سرّ تلك الصعوبات التي واجهت كذلك تلك المحاولات الأخرى، التي استهدفت، وانطلاقاً من تلك الثورة نفسها تحديد خصائص الفلسفة التي كانت من ورائها. . . وهي المحاولات التي نكتفي هنا بتقديم نماذج ثلاثة لها:

1 ـ لقد رأى البعض من الباحثين أن خصائص فلسفة نوفمبر تتلخص كلها في خاصية واحدة، وهي تلك المتمثلة في رفض هذه الفلسفة، جملة وتفصيلاً، لكل شكل من أشكال الحلول التطورية ولسياسة المراحل، التي لا تفعل، وكما يضيفون، سوى كسر السيل الثوري للجماهير الجزائرية، وإجهاض إرادتها، المصممة أكثر من أي وقت مضى، على أخذ زمام مقاديرها بيدها، الآن، ومن دون انتظار[3].

2 ـ وإذا كانت تلك هي، في نظر أولئك الباحثين، أهم خاصية لفلسفة نوفمبر، فإن باحثين آخرين قد لخصوا بدورهم تلك الخصائص في خاصية أخرى ووحيدة، وهي تلك التي قالوا إنها «قد تمثلت في تلك القطيعة التي أحدثتها تلك الفلسفة مع النظام الاستعماري الفرنسي»[4] من هنا، وكما يضيف

---

(2) EL - Moudjahid, N 22, 16 04/1958.

(3) Ibid.

(4) R. Gallisot, *in Retentissement*, p 191.

أولئك الباحثون، تميز فلسفة نوفمبر، والثورة المجسدة لها، لا عن غيرها من الفلسفات وعن الحركات الهادفة إلى تصفية الاستعمار فحسب، بل وعن الحركات «التحريرية» خاصة في أمريكا في القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد، كذلك، تلك الحركات التي استهدفت معظمها لا تحرير الشعوب الأصلية لتلك المنطقة، بل إلى استقلال المجتمعات الاستعمارية المتواجدة فيها عن الوطن الاستعماري الأم[5].

3 ـ أما النموذج الثالث والأخير، وليس الآخر، فهو ذاك الذي رأى «أن أهم خاصية لتلك الفلسفة قد تمثلت أساساً في أصالتها العربية الإسلامية، وهي الأصالة التي استمدتها من التاريخ العربي الإسلامي للشعب الجزائري، هذا إضافة إلى طابعها الجماهيري وإلى بساطة أيديولوجيتها التي تمثلت في فكرة واحدة وفي كلمة واحدة وهي الاستقلال»[6].

وإذا كنا أول من يتفق مع كل أولئك الباحثين حول تلك الخصائص، المنفردة، التي قالوا إنها أهم ما ميز فلسفة نوفمبر، فإننا نلاحظ مع ذلك أن مثل تلك الخصائص ليست الوحيدة أو الأساسية فحسب، بل إنها أقرب كذلك إلى النتائج منها إلى الأسباب، لخصائص أخرى أكثر وأهم

وآية ذلك، أن مثل ذلك الرفض من طرف فلسفة نوفمبر للحلول التطورية الاستعمارية ولأنصاف الحلول، وهو الرفض الذي نذكر أن العديد من المقاومات الوطنية خاصة، وغير الوطنية، قد تبنته بدورها، وذلك من خلال شعاراتها المعروفة «الجهاد والنصر أو الاستشهاد»، ما كان يتصور نجاحها، ومن دون غيرها من كل تلك المقاومات، في تجسيده لو لم تنجح من قبل، ومن دون غيرها من تلك المقاومات الأخرى كذلك، في توفير كل السبل العملية الكفيلة بجعل المستعمر الفرنسي، الذي سبق أن أشرنا إلى مدى شراسة القمع الذي واجه به دوماً كل تحرك للشعب الجزائري يرضخ، وفي النهاية لمطالبها في استعادة استقلال شعبها.

---

(5) Ibid..

(6) ع عبادة: صفحات مشرقة، ص 94.

وإذا كانت فلسفة نوفمبر، وثورتها بالتالي، الوحيدة، من بين كل تلك المقاومات، التي نجحت في مشروعها التحريري، فإن ذلك راجع إلى نجاحها العملي، وقبل ذلك، في بلورة الوعي الوطني الجزائري بتلك الحقيقة التي تقول إن الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يكن مجرد جزء من الاستعمار العالمي فحسب، بل إنه قد تميز فيها بخصائص استيطانية وتدميرية، معنوية ومادية، جعلت بالتالي كل مساومة معه من أجل التسليم، بحرية الشعب الجزائري، وبكل حل تطوري معه، ضرباً من العبث[7].

لكل ذلك واجهت فلسفة نوفمبر كل الحلول التطورية والزائفة، بالحل الثوري الذي رأت أنه الحل الموضوعي الوحيد أمام مثل ذلك الاستعمار الاستيطاني الذي تعرضت له الجزائر بصورة خاصة، ومن دون غيرها من بلدان المغرب العربي الأخرى. وذلك ما لم تدركه بعض الأحزاب السياسية الوطنية أو لم ترد إدراكه.

إن الحقيقة نفسها تصدق على تلك الخاصية الأخرى، التي قيل إن فلسفة نوفمبر قد تميزت بها، من دون غيرها، والمتمثلة في تلك القطيعة التي نجحت في تحقيقها، قتالاً وتضحية، مع النظام الاستعماري الفرنسي، ومع تلك الأحزاب السياسة الوطنية ومع أساليبها تلك في الوقت نفسه، وذلك لسبب بسيط وهو أن مثل تلك القطيعة لا تصور لها، وبدورها، لو لم يأخذ الكفاح الوطني الثوري للشعب الجزائري، وعن طريق تلك الفلسفة، ذلك الطابع العنيف، الجماعي، والمنظم، والذي جاء مجسداً لحكمها بالموت[8]، وبحدّ السلاح[9]، على ذلك الاستعمار، وذلك عن طريق الاقتلاع الكلي لجذوره في الجزائر وخارجها. بذلك تحولت فلسفة نوفمبر إلى مصدر إلهام لكل الشعوب المستعمرة[10].

وبالنسبة إلى خاصية الأصالة التي رأى البعض من أولئك الباحثين أنها تشكل أهم خاصية لفلسفة نوفمبر ولثورته، فإننا نود أن نذكر هنا، لا بما سبق

(7) El - Moudjahid, N 10, Sept 1957.

(8) Ibid, N 28, 22/8/1958.

(9) Ibid.

(10) Ibid.

أن أشرنا إليه في الفصول السابقة حول الإسلام وحول دوره في كل المقاومات الوطنية ضد كل أشكال الاستبداد والاستعباد وفي وجود واستمرار الشعب الجزائري فحسب، بل وبتلك الحقيقة الأخرى التي تقول إن مثل تلك الأصالة العربية الإسلامية يصعب تصورها بدورها، بذلك الشكل الفاعل الذي أصبح لها أثناء ثورة نوفمبر لولا تلك الدفعة التجديدية والجديدة التي أعطتها تلك الثورة للقيم العربية الإسلامية، والتي كانت بالتالي وراء تلك الدينامية الجديدة التي أخذها كل من فكر الجزائر وشخصيتها[11].

لكل ذلك، ولغيره، فإننا نعتقد انه يجب البحث عن خصائص فلسفة نوفمبر، وثورتها، في غير كل تلك الخصائص التي سبق أن توقفنا عند البعض منها؛ إن هذه الخصائص تتمثل، في ما نعتقد، في خمس خصائص أساسية وهي:

أولاً: أصالة نظرتها إلى الواقع الوطني

لعل أول، وأهم خاصية لفلسفة نوفمبر، وللثورة المجسدة لها، قد تمثلت في أصالة نظرتها إلى الواقع الوطني الجزائري، تلك الخاصية التي تشكل وكما سبق أن رأينا[12] المعيار الحقيقي لكل فلسفة جديرة بهذا الاسم، والتي لا تصور لها، أو للمشروع الثوري الحاملة له، لو لم تكن تلك الفلسفة نابعة من أعماق الشعب ومعبرة عن آلامه وآماله.

إن تلك الأصالة هي التي جعلت فلسفة نوفمبر، تتجاوز معطيات الواقع الاستعماري المزري للشعب الجزائري وتنظر إليه، نظرة مختلفة تماماً عن نظرة كل الأحزاب السياسية الوطنية، فضلاً عن نظرة المستعمر له.

ذلك ما تؤكده على أي حال هذه الفقرة من بيان أول نوفمبر « فنحن نعتبر، وقبل كل شيء، أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقق وأن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال والعمل»[13].

---

(11) Ibid, N, 17, 01/02/1958.

(12) أنظر: الفصل الأول من القسم الأول.

(13) بيان أول نوفمبر.

فحيث لم تدرك تلك الأحزاب السياسية الوطنية، التي لا نشك في إخلاصها، أو نهوّن من مدى الجهود التي بذلتها من أجل بلورة الوعي الوطني الجزائري، من الشعب إلا ضعفه، اكتشفت تلك الفلسفة قواه المبدعة والكامنة، وحيث لم تتبيّن إلاّ هول اندثاره، راحت تلك الفلسفة تتلمس بواكير انبعاثه.

وحيث أرجف كل المرجفون بفشله الحتمي، في أي مواجهة مسلحة جديدة قد يتجرأ على القيام بها ضد المستعمر، استكشفت تلك الفلسفة نصره الحتمي.

بذلك ارتفعت فلسفة نوفمبر بالشعب الجزائري، ومن خلال تلك الثورة المجسدة لها، فوق واقعه المأساوي لتعانق معه ذلك المستقبل الذي ما انفك يرنو إليه، والذي آمنت أنه قادر على صنعه.

وبذلك أكدت فلسفة نوفمبر أن تلك الثورة التي جاءت مجسدة لها، والتي فاجأت الكثيرين، لم تكن حدثاً مجانياً أو عفوياً، بل كانت النهاية الطبيعة، الخاطفة والعنيفة، لنضال ظلت أجيال وأجيال من الشعب الجزائري تقوده ضد المستعمر.

وبذلك أيضاً، دحضت فلسفة نوفمبر، في الوقت نفسه، كل تلك الطروحات حول الطابع الأجنبي، المشرقي والماركسي، لتلك الفلسفة، التي نلاحظ انه ما كان يمكن أن يكون لها مثل تلك الفاعلية على مصير ومسار الشعب الجزائري لو لم يجد فيها، من دون غيرها، التعبير الحقيقي والعملي عما ظل دوماً يطمح إليه.

ثانياً: وحدة القيادة

أما الخاصية **الثانية** لفلسفة نوفمبر، فهي متولدة عن الخاصية الأولى، فتتمثل في توحيدها، ولأول مرة في تاريخ الجزائر، الوسيط منه والحديث والمعاصر، ومن خلال الكفاح المسلح، لقيادة الحركة الوطنية ممثلة في قيادة «جبهة وجيش التحرير الوطني» التي تحولت، وبعد فترة قصيرة من اندلاع الثورة، ، إلى السلطة المركزية، القوية والوحيدة، والتي ما لبثت أن انصهرت داخلها كل الأحزاب السياسية الوطنية، دونما معارضة عسكرية أو سياسية تذكر من طرف هذه الأخيرة، كما حدث ذلك بالنسبة إلى العديد من الثورات في العديد من البلدان، وبخاصة من طرف الأحزاب المحافظة أو الموالية للاستعمار.

إن أهمية مثل ذلك الإنجاز تتجلى في كل أبعادها حينما نتذكر بأن أحد الأسباب الرئيسية التي كانت وراء فشل كل المقاومات والانتفاضات الوطنية الماضية كان، ليس التفوق المادي للعدو فحسب، بل افتقارها إلى مثل تلك القيادة الموحدة وإلى مثل تلك السلطة الوطنية الثورية المركزية التي لا يمكن إلا أن تنبثق عنها.

كما إن أهمية مثل تلك السلطة الثورية الوطنية المركزية تتجلى بدورها، وفي كل أبعادها، حينما نتذكر كذلك أنها هي التي مكنت فلسفة نوفمبر من إعادة البعث التدريجي للدولة الوطنية الجزائرية، في مظهر مختلف تماماً، لا عن مظهر حكومات الدايات فحسب، بل عن مظهر أشكال الدول التي عرفتها الجزائر طيلة تاريخها القديم منه والوسيط والحديث على حد سواء.

بذلك جسدت فلسفة نوفمبر، وفي النهاية، هدفها الأول والأساسي الذي أعلنت عنه في بيان أول نوفمبر، والمتمثل في استعادة الدولة الجزائرية وسيادتها، مستلهمة في ذلك ماضيها الإسلامي العريق ومعطيات عصرها الحاضر كذلك في الوقت نفسه.

وبذلك أيضاً، أكدت فلسفة نوفمبر أن تلك الدولة الوطنية، في مفهومها الأصيل والحديث، الذي يعني الانتماء الجغرافي والتاريخي والمستقبلي المشترك، والتي أنكر المستعمر أي وجود لها، في التاريخ، ليست فكرة ملفقة من طرف الأيديولوجيا الوطنية الجزائرية عامة، ومن طرفها خاصة، بل إنها حقيقة ظلت، بالرغم من كل أشكال الطمس والتدمير الاستعماريين لها، متواجدة في التاريخ ومخترقة له، لتعود إليه في النهاية، بحدّ السلاح، ومن جديد، محملة بكل القيم الإيجابية لماضيها العربي الإسلامي العريق، ومتمثلة كذلك وفي الوقت نفسه لكل المعطيات السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية لعصرها الحاضر[14].

إن أهمية ذلك الإنجاز تتجلى في ذلك الطابع الديمقراطي، السياسي والاجتماعي والثقافي، الذي رسمته هذه الفلسفة للدولة الجزائرية المقبلة[15].

---

(14) El - Moudjahid, N, 17, 01/02/1958.

(15) Ibid, N, 4 - N 12, 15/11/1957.

وذلك من خلال تأكيدها حق الجميع، بما في ذلك الأقلية الاستعمارية المتواجدة في الجزائر، في العيش ضمنها وضمن الأمة الممثلة لها، من دون إقصاء ديني أو جنسي أو ثقافي أو اجتماعي.

هكذا أكدت تلك الفلسفة أن مفهومها للوطنية إذا كان يرتكز، مثل غيره من المفاهيم الوطنية الأخرى، على الماضي الوطني للأمة الجزائرية وعلى تطلعاتها المقبلة، فإن ذلك لا يعني بالنسبة إليها، وكما اعتقد البعض[16]، أيّ لفظ للآخر، الملتزم تجاهها بالواجبات نفسها التي على أبنائها، والمتمتع كذلك وبالتالي بالحقوق نفسها.

وإذا كان البعض قد عابوا على تلك الفلسفة ما وصفوه بـ «الطابع الديني التعصبي»، لتلك الدولة المنتظرة فإننا نقول، مرة أخرى، إن ذلك التعصب، إن كان قد وجد، فإنه لم يكن سوى الردّ الطبيعي على تعصب ديني وجنسي واجتماعي وسياسي استعماري أشمل وأخطر.

كما إن أهمية هذا الإنجاز تتجلى كذلك حينما نذكر بالظروف التي قامت فيها تلك القيادة الثورية بالتخطيط لمشروعها الثوري المسلح، وبالعمل على تجسيده، وهي الظروف التي تميزت، ليس، وكما سبق أن أشرنا في الفصول الماضية[17]، بشراسة القمع والمطاردة الاستعماريين للحركة الوطنية ولرجالاتها فحسب، بل إنها تميزت كذلك بتشكك وبتشكيك بعض رموز الحركة الوطنية في نجاح ذلك المشروع، وبالمعارضة الصريحة له من طرف بعض الآخرين، وبخاصة من قيادة «حزب الشعب. . . حركة الانتصار»، التي وصلت عشية نوفمبر إلى درجة من التحلل جعلتها تتخلى عملياً، عن الكفاح وتبحث، بدله، عن التحالفات الانتخابية، ولا ترى بالتالي في ذلك المشروع الثوري المسلح سوى «تهديداً للحزب ولوجوده»![18].

ذلك ما تؤكده على أية حال شهادة العديدين من أصحاب ذلك المشروع

(16) بيان أول نوفمبر، بيان مؤتمر الصومام، ومؤتمر طرابلس.

(17) أنظر الفصل الثاني والثالث من القسم الأول من هذا الكتاب.

(18) Belhadj Bouchaib: *Un seul but: l'action armée*, in Histoire sociale de l'Algérie, CRIDSSH, Oran 1978.

الثوري المسلح، الذين نجحوا في النهاية، وبالرغم من تخلي قيادة الحزب عنهم ومن مطاردة المستعمر الشرسة لهم،(خاصة بعد حادثتي كل من «بريد وهران» (2 آذار/مارس 1949)(*) و«خياري عبد القادر»(**) (18/3/1950) وتشردهم، ولجوء الكثيرين منهم إلى الجبال، في تحقيق ما فشلت كل الأحزاب الوطنية، مجتمعة، في تحقيقه.

لكل ذلك، فإننا إذا كنا نتفق مع البعض من الباحثين[19] الذين عابوا على فلسفة نوفمبر احتكار قيادة تلك الثورة طيلة سنين الثورة، وبعد سنوات كثيرة من ذلك الاستقلال السياسي الذي توج انتصارها (تموز/يوليو 1962)، وبشكل يكاد يكون مطلقاً، للسلطة، فإننا نظل مع ذلك متحفظين إزاء محاولات بعض الأحزاب لتسخير مثل تلك السلبية،وغيرها، للمساس بالثورة التحريرية ذاتها، متناسين، لا قسوة الظروف التي ولدت فيها تلك القيادة الثورية وأنجزت ما أنجزت فحسب، بل ومتناسين كذلك إنها لم تكن القيادة الثورية الوحيدة في العالم الثالث وفي غيره، التي فعلت ذلك.

ثالثاً: توحيد الشعب الجزائري من خلال الكفاح المسلح

أما الخاصية **الثالثة**، وهي متولدة وبدورها عن الخاصية **الثانية**، فتتمثل في تحقيق فلسفة نوفمبر، ولأول مرة في تاريخه الحديث، لوحدة الشعب الجزائري من خلال الكفاح المسلح.

إن أهمية هذا الإنجاز الآخر لفلسفة نوفمبر تتجلى بدورها حينما نذكر أن غياب مثل تلك الوحدة الشعبية في الكفاح الوطني ضد المستعمر هو الذي كان وبدوره واحداً من أبرز العوامل التي أدّت إلى فشل كل المقاومات الوطنية الماضية وهذا ابتداء من مقاومة الأمير عبد القادر (1832 ـ 1874)، وانتهاء بانتفاضة الأوراس (عام 1916) وغيرها.

(*) قام بعض أعضاء المنظمة السرية، ومن ضمنهم أحمد بن بلة، بمهاجمة مقر البريد المركزي بوهران، حيث استولوا على بعض ما كان فيه من نقود وذلك بهدف تكوين منظمتهم تلك.

(**) عبد القادر خياري، مناضل في حزب الشعب، اختطفه يوم 18/03/1950، بعض المناضلين قرب مدينة تبسة لشكهم في تعامله مع الشرطة، لكنه هرب منهم، بعد أن ضربوه وأبلغ الشرطة الفرنسية عنهم وعن المنظمة السرية.

(19) M. Lachraf: *l'Algérie, nation*, p. 291.

وذلك ما تمثلته فلسفة نوفمبر، وبعمق، كما يؤكد ذلك، لا شمولية أحداثها ليلة الفاتح من نوفمبر، لكل أنحاء الوطن تقريباً، وأحداث 20 آب/ أغسطس، التي استهدفت إفشال المخطط العسكري للاستعماري الهادف إلى خنق الثورة في منطقة الأوراس من دون أي ردّ فعل من بقية أنحاء الوطن، كما ظل ذلك يحدث دوماً قبل نوفمبر 1954 فحسب، بل تحويل تلك الفلسفة، وطيلة سبع سنين ونصف، للجزائر كلها إلى ساحة لعمليتها العسكرية، وللثورة بالتالي إلى ثورة لكل الشعب وبه[20].

بذلك أكدت فلسفة نوفمبر، ومنذ أحداث آب/أغسطس 1955، بصورة خاصة، أنها المجسدة لإرادة الشعب الجزائري، والتعبير الصادق عن طموحاته، والتجسيد الحي لتضحياته، التي لا تحصى، من أجل حريته وكرامته[21].

وغني عن البيان أن تلك الوحدة الشعبية ما كان لتتحقق، ولأول مرة في تاريخ الجزائر الوسيط منه والحديث والمعاصر كذلك، وعلى يد تلك القيادة الثورية بالذات، لو لم تكن هذه الأخيرة ملتحمة بعمق بالجماهير وبواقعها المأساوي الاستعماري الذي لم يعد تربطها به أي علاقة سوى علاقة القوة.

ذلك ما تؤكده كل بيانات الثورة، ومواثيقها وهذا ابتداءً من بيان نوفمبر وانتهاء ببيان مؤتمر طرابلس(عام 1960)، ومروراً بمؤتمر الصومام(عام 1956).

كذلك فإن أهمية ذلك الإنجاز تتجلى أيضاً، وفي كل أبعادها، حينما نذكر أن تلك الوحدة الشعبية التلقائية في الكفاح لم تكن مجرد وحدة في الصف فحسب، بل كانت وحدة في الهدف كذلك وفي الوقت نفسه،ذلك الهدف المتمثل في استعادتها لحريتها من المستعمر مهما كانت التضحيات والتكاليف.

ولأنها كذلك، فإن تلك الوحدة قد استطاعت، ولأول مرة في تاريخ الجزائر، الوسيط منه والحديث على حد سواء كذلك، أن تعيد، وبسرعة أذهلت الجميع، الاعتبار لكل فئات الشعب، محولة لديه الكفاح الثوري الملتزم، المسلح منه والسياسي، إلى المعيار الوحيد الذي تقاس به قيمة كل فرد وتحدد وفقه مكانته في المجتمع.

---

(20) El - Moudjahid, N,4 (Spécial Soumam).

(21) Ibid, N,10, Sept. 1957.

بذلك أرست فلسفة نوفمبر مبدأ تلك الديمقراطية السياسية والاجتماعية الجديدة بين كل أفراد الشعب الجزائري، محققة بذلك، ولكل جماهيره، تلك النقلة الحضارية النوعية التي فشّلت كل من فلسفة الثورة الفرنسية،التي بدأت شعبية وانتهت بورجوازية[22]؛ والثورة الإنكليزية[23]، التي بدأت وانتهت أرستقراطية؛ والثورة الاشتراكية التي بدأت اشتراكية وانتهت بروليتارية في تحقيقها.

وبذلك أيضاً نأت تلك الفلسفة، وبقدر ما استطاعت، بالثورة عن كل شكل من أشكال الزعامة الفردية، بقدر ما أرست، بذلك وبالتالي، مبدأ القيادة الجماعية، ذلك المبدأ الذي لم يكن، وكما لاحظ بعض الباحثين، مجرد كلمة[24] بل إنه ظل، وحتى الأيام الأخيرة لتلك الثورة، وبالرغم من كل التجاوزات التي شهدها، متواجداً، نسبياً فوق أرض الواقع.

وأخيراً، فإن أهمية ذلك الإنجاز، تتجلى بكل أبعادها حينما نتذكر أن تلك الفلسفة قد عملت على الامتداد بتلك الوحدة الشعبية في النضال إلى كل شعوب المغرب العربي بخاصة، والشعوب العربية وأفريقيا وغيرها من شعوب العالم الثالث الرازحة تحت الاستعمار عامة.

وإذا كان البعض يعيبون على فلسفة نوفمبر، وعلى ثورتها كذلك وبالتالي تحول تلك الشعبية التي ميزت تلك الوحدة التي حققتها إلى «شعوبية»[25] بالمفهوم الأقرب إلى الديماغوجية منه إلى المفهوم المتعارف عليه لهذه الكلمة، والذي سبقت الإشارة إليه[26]، وإلى «سلطانية شعبية»[27]، فإننا نقول لهم إن ذلك لا يقلل من مكانة تلك الفلسفة وتلك الثورة التحريرية، بقدر ما يقلل من قيمه أولئك الذين تصدوا، بعد ذلك، لتجسيد تلك السلطة السياسية الوطنية التي نجحت في انتزاعها، عنوة، من العدو الاستعماري.

---

(22) A. Soboul: *La Révolution Française*, Q. S.J? 1975, P, 116; Gaxotte: *La Révolution française*, paris Fayard 1947, pp. 55 - 74 - 155 - 178.

(23) Ibid.

(24) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 119.

(25) Cf: A. Lahouari: *L'impasse du populisme*, ENAL, Alger, 1990.

(26) E. Shils, in Harbi, *l'Algérie et son destin*, p. 50.

(27) J. Leca et J. Claude Vatin: *Le Système Politique Algérien*,in Harbi, l'Algérie, p. 227.

رابعاً: النزعة الإنسانية والأخلاقية

أما الخاصية الرابعة، التي تميزت بها فلسفة نوفمبر عن غيرها من الفلسفات الثورية الأخرى، فتتمثل في نزعتها الإنسانية والأخلاقية النظرية منها والعلمية على حد السواء. وتتجلى الأبعاد الإنسانية في فلسفة نوفمبر، من بين ما تتجلى، في اتخاذها للإنسان الجزائري، بخاصة، وللإنسان عامة، كمسلمة أولى لكل فعل ثوري حقيقي، بقدر ما تتجلى كذلك وبالتالي في تجسيدها لذلك المبدأ الذي يقول إن الإنسان ليس شيئاً آخر سوى كرامته، وأنه من دون مثل تلك الكرامة، في مفهومها الذي يتجاوز مجرد التميّز عن كل من الجماد والحيوان، لا يساوي شيئاً كثيراً.

ذلك هو المبدأ الأساسي الأول لفلسفة نوفمبر، وهو المبدأ الذي استلهمته من تقاليد شعبها العربي الإسلامي من جهة، ومن منظورها للحياة كذلك في الوقت نفسه.

ولأن الكرامة، فردية كانت أو جماعية، في نظر فلسفة نوفمبر، إحساس بالكرامة وباستحالة الحياة الإنسانية، الجديرة بهذا الاسم، من دونها، فإن مثل ذلك الإحساس هو الذي يحول كل من يحاول المساس بها، فرداً كان أو جماعة، إلى فاقد لكل من الكرامة ومن الإنسانية، بقدر ما يحول كذلك كل من يقبل، أو يستسلم لمثل ذلك المساس بها إلى فاقد بدوره لهما

بذلك ربطت فلسفة نوفمبر الحرية الإنسانية بالكرامة، وليس الكرامة الإنسانية بالحرية، إيماناً منها بأنه إذا كانت الكرامة الحقيقية لا يمكن أن تقود إلا إلى الحرية، فإنه ليس من المؤكد أن تقود كل حرية إلى الكرامة، بقدر ما حولت كذلك وفي الوقت نفسه، هذه الأخيرة، لا إلى معطى نهائي في الحياة الإنسانية، بل إلى مشروع على الإنسانية تأكيده وتجسيده باستمرار أمام المخاطر التي تتهدده كل لحظة بالزوال.

لقد قالت فلسفة نوفمبر، استناداً إلى عقيدة شعبها الإسلامي، إن الإنسان، أياً كان، وأينما كان، ولد كريماً وحراً[28] وأن الآخر ممثلاً في الاستعمار

(28) القرآن الكريم، سورة 17، الآية 70.

بصورة خاصة، وفي كل الأشكال التسلطية بصورة عامة، هو الذي عمل، ولا زال يعمل على سلبه تلك الكرامة وتلك الحرية، وليست الحضارة، كما ذهب جان جاك رسو[29]، ومن قبله ابن خلدون[30].

بذلك أدرجت فلسفة نوفمبر، ومن خلال تأكيداتها المتكررة، أن الهدف الأول لتلك الثورة التي جاءت مجسدة لها يتمثل أساساً، في تحطيم الاستعمار الفرنسي وتقويض كل ركائزه، لا في الجزائر فحسب، بل في كل مكان متواجد فيه، ضمن كفاح الإنسانية عامة، والعالم الثالث بخاصة، من أجل حرية الإنسان وكرامته[31]، محوّلة بذلك، (ومن خلال تأكيدها على أن ثورتها تندرج ضمن الاتجاه التاريخي الصحيح للإنسانية نحو حريتها وكرامتها وليست عودة بها إلى عهود الاستعباد والإقطاع)، ثورتها تلك إلى واحدة من بين أبرز الثورات التي كانت وراء تخليص البشرية عملياً ونهائياً ولأول مرة في تاريخها من الاستعمار، ووراء ظفرها كلها تقريباً بحريتها السياسية وبكرامتها من جديد[32].

ولقد يقول البعض أن فلسفة نوفمبر لم تكن الوحيدة في ذلك، وأن كلاً من فلسفة الثورة الفرنسية وفلسفة الثورة الفيتنامية، مثلاً، قد فعلتا ذلك وقبلها بكثير.

ورداً عن ذلك نقول إننا إذا كنا لا نظن أننا في حاجة إلى التذكير، مرة أخرى، أن فلسفة الثورة الفرنسية إذا كانت الأولى فعلاً التي رفعت شعار كرامة الإنسان وحريته، فإنها كانت الأولى كذلك التي خانت عملياً ذلك الشعار بعد ذلك. ذالك ما يؤكده من بين ما يؤكد إعادة نابليون بونابرت لنظام الرق في أكثر من بلد أفريقي وأمريكي جنوبي[*].

وبالنسبة إلى فلسفة الثورة الفيتنامية، فإننا إذا كنا لا نشك في الدور الكبير الذي لعبته في تقريب الإنسانية، المستعمرة خاصة، من كرامتها ومن حريتها،

---

(29) J.J. Rousseau: *Contrat Social*, paris, Garnier, (S.D), pp. 24 - 94.

(30) ابن خلدون، المقدمة: ص 297 ـ 300 ـ 310.

(31) El - Moudjahid, N, 4.

(32) A. Meziane, in Retentissement de la Rév, Alg, (Discours d'ouverture).

(*) انظر تيرى بنز وبيير براندا، نابليون والمستعمرات، 2006.

فإننا نلاحظ كذلك وفي الوقت نفسه أن تلك الفلسفة ما كان يمكنها الاحتفاظ طويلاً، بمثل ذلك الدور لولا دعم فلسفة نوفمبر وثورته لها بعد ذلك.

وإذا كانت تلك هي، بعض جوانب فلسفة نوفمبر الإنسانية، فإن جوانبها الأخلاقية تتجلى بدورها، من بين ما تتجلى في تأكيدها على أخلاقية الثورة وعلى ثورية الأخلاق كذلك في الوقت نفسه، إيماناً منها أن الثورة، بخاصة التحريرية، إما أن تكون أخلاقية أو لا تكون. تماماً كما إن الأخلاق، وبخاصة النضالية منها، إما أن تكون ثورية أو لا تكون؛ فلا ثورة خارج الأخلاق ولا أخلاق ثورية خارج الثورة.

لذلك لفظت فلسفة نوفمبر، شكلاً ومضموناً، المبدأ الماكيافيللي القائل بتبرير الغاية للوسيلة وذلك انطلاقاً من قناعتها، بأن كل فعل أخلاقي يحول صاحبه، وكما أكد الإسلام[33] ذلك، ومن بعده، «كانط»[34]، إلى مشرع للإنسانية كلها، وأن الغاية إذا كانت لا تتجسد إلا من خلال الوسيلة، فإن الوسيلة لا تتحدد أخلاقياً إلا من خلال الغاية التي تنشدها.

بذلك أكدت فلسفة نوفمبر، أن الثورة ليست أحلاماً، بل إنها امتلاك للأحلام كذلك في الوقت نفسه، تماماً كما إن الأخلاق عامة، والأخلاق الثورية بخاصة، ليست تحليقاً في سماء المبادئ المثالية التي لا تربطها أي علاقة تذكر بالواقع الاستعماري، للشعوب المهددة، أمامه، بالاندثار النهائي، كما إنها ليست انزواءً داخل نوايا عاجزة عن التحول إلى الفعل، بل إنها معايشة يومية لذلك الواقع، وعمل في الوقت نفسه، على تغييره[35].

من هنا فإن فلسفة نوفمبر حين رفعت شعار مقاتلة الاستعمار بحد السلاح من أجل استعادة كرامة وإنسانية الإنسان، في كل مكان، وليس في الجزائر فحسب، فإنها قد حرصت كذلك، وفي الوقت نفسه، على الارتفاع بتلك المقاتلة من مستوى العنف الفردي الهامشي والفوضوي، (الذي ظل الشعب الجزائري يحاول، خاصة بعد الفشل الذي منيت به مقاومته المسلحة الماضية،

---

(33) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 31.

(34) E. Kant: *Critique de la Raison Pratique* PUF, 1968, pp. 21 - 82.

(35) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 131.

من خلاله، ومن دون جدوى، مواجهة الممارسات اللاأخلاقية واللاإنسانية لمستعمره)، إلى مستوى العنف الثوري، الجماعي والمنظم، الذي يحكمه الحق لا الحقد، والذي أثبت أنه وحده القادر على إعادة الاعتبار لتلك القيم الإنسانية المداسة والمستباحة، وعلى الابتعاد بالتالي بالثورات التحريرية عن الوقوع في ما عابته على ذلك المستعمر وقامت لمقاتلته بسببه.

بذلك أقنعت فلسفة نوفمبر كل فرد من أفراد الشعب الجزائري، أن استعادة مثل تلك القيم الإنسانية المنتهكة لا تصور لتحققها من دون عمله على تجاوز ذاته وواقعه، تضحية وقتالاً،انضباطاً وصرامة واستشهاداً، نحو ذلك الواقع الإنساني الجديد الذي يجب ويمكن أن يسود لا في الجزائر فحسب، بل في كل مكان تضطهد فيه الإنسانية

وبذلك أيضاً تجاوزت فلسفة نوفمبر بالشعب الجزائري مرحلة رد الفعل السلبي وغير المجدي تجاه واقعه الاستعماري، إلى مرحلة الفعل الثوري العقلاني المؤثر، الذي مكنه في النهاية من هزيمة مستعمره أخلاقياً وإنسانياً قبل هزيمته عسكرياً، ومن الإسهام بالتالي في إعادة البناء الأخلاقي للإنسانية الجديدة.

وبذلك أخيرا تجاوزت فلسفة نوفمبر، أخلاقياً، حدود الجزائر، مضفية بذلك على ثورتها ذلك البعد الكوني.

خامساً: الالتزام اللامشروط بكل قضايا الحرية في العالم

أما الخاصية الخامسة لفلسفة نوفمبر، فهي الممثلة في التزامها بكل قضايا الحرية في العالم عامة وفي العالم الثالث بخاصة. وهذا ابتداءً من فلسطين حتى فييتنام، ومروراً بكل حركات التحرر في أفريقيا وأمريكا اللاتينية(*).

ويتجلى ذلك الإلزام، من بين ما يتجلى، في تأكيد فلسفة نوفمبر المتكرر على أن أحد أهدافها الأساسية هو تدمير كل ركائز الاستعمار، لا في الجزائر فحسب، بل في كل مكان تتواجد فيه خاصة في العالم العربي وأفريقيا[36].

(*) انظر Hammana Boukhari: *Ecrits sur la Palestine*, Dar El- Gharb, 2006.

(36) El - Moudjahid, N, 18, 15 - 02 - 1958.

كما إن ذلك الالتزام يتجلى كذلك في تأكيد فلسفة نوفمبر على أن ثورتها تلك تنتمي إلى المسار الطبيعي والتاريخي للإنسانية التي لم تعد تقبل اليوم بوجود أمم مستعبدة داخلها[37].

إن هذا الالتزام اللامشروط والعملي تجاه قضايا الحرية في العالم الثالث بخاصة، وفي مقدمته العالم العربي وأفريقيا، يجد أسسه الموضوعية في العديد من معطيات ماضي الجزائر وحاضرها كذلك.

فالجزائر أمة تشبعت، وكما سبق أن أشرنا، منذ أكثر من 14 قرناً خلت، بالإسلام وبثقافته العربية، تشبعاً صهر شخصيتها، وبلور وعيها، وكوّن فكرها، وفتق عبقريتها، ووحّد شعبها، مشكلاً بذلك حصنها الحصين ضد كل الحملات الصليبية والاستعمارية التي ظلت تستهدفها، وتستهدف كل الجناح الغربي للعالم الإسلامي العربي، من خلالها، وهذا منذ بداية القرن السادس عشر (عام 1506) وحتى الستينيات من القرن العشرين (عام 1962)، والعامل الأول الذي كرس انتصارها النهائي عليها جميعاً.

إن ذلك الانتصار الإسلامي العربي، هو الذي حول الجزائر بالأمس، ونظراً إلى موقعها الإستراتيجي وموقفها العقيدي، إلى قلعة متقدمة للجناح الغربي للعالم الإسلامي العربي أمام كل تلك الحملات الصليبية الاستعمارية التي استهدفتها بسبب ذلك الموقع وذلك الموقف، والتي ما أن سقطت(عام 1830)حتى تساقطت العديد من البلدان الإسلامية والعربية بدورها تحت مثل ذلك الاستعمار.

كما إن ذلك الانتصار هو الذي كان وراء إسهامها بعد ذلك ومن جديد، (إلى جانب الثورة المصرية بخاصة في تموز/يوليو 1952)، في بلورة وعي الجماهير العربية، التي تفاعلت معنوياً ومادياً، مع هذه الثورة، تفاعلاً لم تعرفه الأمة العربية منذ نكبة فلسطين (عام 1965)، واندلاع الثورة اليمنية الجنوبية (عام 1967) والثورة الليبية (عام 1969). . الخ، من استعادة زمام المبادرة التاريخية الذي كانت قد فقدته منذ زمن بعيد.

---

(37) Ibid, N 4.

وأخيراً، فإن ذلك الانتصار هو الذي حول الجزائر، ومن خلال ذلك الضغط العسكري الذي مارسته ثورتها التحريرية تلك على المستعمر، إلى عامل مساعد لكل من الشقيقتين تونس والمغرب على تجاوز مرحلة الاستقلال الذاتي، الذي استهدف المستعمر الفرنسي تحويله إلى حاجز استعماري جديد، أمام استقلالها التام. ذلك الاستقلال الذي كان سيتحول بدوره إلى وهم لولا استقلال الجزائر[38].

وإذا كانت تلك بعض تجليات الانتصار على المستوى العربي لفلسفة نوفمبر وللثورة المجسدة لها، فإن تجلياتها الأفريقية لا تقل عددا أو أثراً وذلك أمر طبيعي كذلك؛ فالجزائر بلد أفريقي تربطه، ومنذ زمن بعيد، بالعديد من الشعوب الأفريقية روابط الجوار والعقيدة والكفاح المشترك من أجل الحرية والجزائر بوابة أفريقيا الأولى التي حولها المستعمر بالأمس إلى منطلق للعديد من حملاته ضد أكثر من بلد أفريقي، والتي أعادت فلسفة نوفمبر وثورته بدورهما، تحويلها إلى منطلق كذلك لكفاح العديد من تلك البلدان ضد ذلك الاستعمار نفسه، وغيره، ولتصفيته[39].

من هنا ذلك التفاعل المتبادل بين الجزائر وبين أفريقيا، الذي سبقت الإشارة إليه والذي سيتجلى، من جهة، وفي كل أبعاده، في ذلك الدعم المعنوي الذي وجدته ثورة نوفمبر لدى العديد من الدول الأفريقية، وفي ذلك الإلزام العملي الذي ميز من جهة أخرى موقف تلك الثورة بعد ذلك تجاه كل قضايا الحرية في أفريقيا بصورة خاصة.

لم تكتفِ ثورة نوفمبر، التي كانت بالفعل، ثورة أفريقية[40]، بمجرد كشف حقيقة الاستعمار الفرنسي خاصة، ودوره التدميري في أفريقيا، بل عملت كذلك وفي الوقت نفسه، ومن خلال دعمها لوعي الشخصية الأفريقية بذاتها ولإرادتها في التحرر، على قلب الاستراتيجية الاستعمارية رأساً على عقب، مجبرة بذلك، وفي النهاية المستعمر على السير في

---

(38) IBID.

(39) حول الدور الأفريقي للثورة الجزائرية، انظر: دراسة مولود قاسم، ودراسة جيلالي صاري في: Retentissement de la Rév, Alg.

(40) El - Moudjahid, N 59, 5 - 2 - 1960.

الطريق المؤدي إلى تصفيته ونهايته في القارة الأفريقية.

في مثل هذه الظروف أجبرت فلسفة نوفمبر، ومن خلال ضغط ثورتها على المستعمر الفرنسي، لا على التخلي عن كل من الجناحين، الشرقي والغربي لشمال أفريقيا، ممثلين في كل من تونس[41] والمغرب[42] وبأسرع ما كان يخطط ويعتقد فحسب، بل وعلى منح الاستقلال لكل البلدان الأفريقية التي كان جاثماً عليها[43] بما فيها تلك التي لم تطالب به وذلك بهدف تركيز كل جهوده العسكرية بخاصة على ثورة نوفمبر. إن مثل هذه الإنجازات العربية والأفريقية لفلسفة نوفمبر هي التي أضفت عليها، وكما يؤكد ذلك تبني العديد من الحركات التحررية اليوم لشعار الثورة التي جاءت مجسدة لها، والمتمثل في جبهة التحرير الوطني، ذلك البعد الدولي الذي مكّنها، وبعد أقل من ثلاث سنوات فقط من اندلاع ثورتها تلك، من تحقيق واحد من أبرز أهدافها والمتمثل في تدويل صراع الشعب الجزائري مع مستعمره، وفي دحض ادعاءات هذا الأخير بالتالي، حول الطابع الفرنسي الداخلي لذلك الصراع. كما إن مثل تلك الإنجازات هي التي كانت وراء تخوف الرأي العام الدولي، وبخاصة الرأي العام الغربي، من تحول ذلك الصراع إلى «سرايفو» ثانية[44]، وإلى فييتنام فرنسية ثانية، ووراء قلقه المتزايد كذلك إزاء ما يهدد به ذلك الصراع الحلف الأطلسي كله، من ضعف[45].

(41) *Le Monde*, 10 - 12 - 1955.
Ibid, 24 - 02 - 1956 - New - York Times 19/11/1954.

(42) Ibid, 3 - 4 - Juin 1956.
Ibid, 15 - 5- 1956.

(43) Retentissement de la Rév, Alg, pp. Stuttgart Zeitung (Allemagne), 18 - 11 - 1957.

(44) Ronald, J, Nurce: J.F. *Kennedy and Algérian Independence, The Historian, U.S.A*, 29 - 2 - 1977.

(45) Ibid.

الفصل التاسع

نقد فلسفة نوفمبر

أولاً: فلسفة نوفمبر بين الميراث والتراث

لأن ثورة نوفمبر وفلسفته التحريرية كانت، شانها في ذلك شأن غيرها من الثورات والفلسفات التحريرية الأخرى، أشبه، من جهة، بالكائن الذي لا يولد إلا عبر الأشلاء والدماء، ولا يتحقق إلا بفضل التضحيات الجسام التي تتجاوز في العديد من الأحيان الحدود المعهودة للطاقة الإنسانية، فإن الارتباط بها أخذ، ومنذ البداية، خاصة لدى البعض من أولئك الذين أسهموا في انفجارها وفي انتصارها، تلك الأبعاد العاطفية التي تجعلهم لا يتعاملون معها إلا من خلالها.

ولأن ثورة نوفمبر وفلسفتها التحريرية كانت، ومن جهة أخرى، حاملة، مثل غيرها من الثورات ومن الفلسفات التحريرية الأخرى، لمشروع سياسي واجتماعي وثقافي للحاضر وللمستقبل، فإن ارتباط بعض الآخرين بها، وبخاصة أولئك الذين لم يعيشوا، أو يعايشوا، مرحلة انفجارها وانتصارها، بأخذ ومنذ البداية كذلك، ذلك الشكل البراغماتي الذي يجعلهم لا يتعاملون معها، وبدورهم، إلا من خلال نجاحها الفعلي في تجسيد ذلك المشروع وفي التمكين العملي لهم، وللجماهير، ومن تلك الآمال والوعود الحاملة لها.

وإذا كانت النتيجة الطبيعية لمثل ذلك الارتباط العاطفي بثورة نوفمبر، وبفلسفتها، هي تحول تلك الثورة لدى أولئك إلى قضية ذاتية، وتحويلهم

تلك القدسية التي لا يلبثون أن يضفونها عليها، والتي تحول كل محاولة لمقاربتها موضوعياً، إلى ردة وإلى خيانة، فإن النتيجة الطبيعية لمثل ذلك الارتباط البراغماتي لهؤلاء بها هي تحوّل تلك الثورة نفسها وفلسفتها لديهم إلى مجرد مصدر للاستفادة الآنية، دونما مراعاة تذكر لذلك الثمن الإنساني الذي كلفته، واعتبارهم، بالتالي لكل المذكرين بذلك الثمن، والذي قدم من أجلها، إلى محتكرين غير شرعيين لها ولفلسفتها، وإلى أوصياء غير أكفاء عليهما.

إن الآثار المباشرة لمثل هذه المواقف المتناقضة من ثورة نوفمبر، والتي يصعب على أي ثورة أو فلسفة تحريرية تجنبها، وبخاصة في المراحل الأولى التي تلت انتصارها السياسي والعسكري على المستعمر، ستتجلى في كل أبعادها، وكما سنرى، في إصرار أولئك على التعامل مع تلك الثورة ومع فلسفتها التي يعتبرون أنفسهم ورثتها الوحيدين كميراث، وفي تمسك هؤلاء، وبدورهم، على التعامل معها، (وباسم ذلك المشروع السياسي المبشرة به والذي يمثل، في نظرهم، الشرعية الحقيقية والوحيدة)، كتراث.

وأمام مثل هذه المواقف والمقاربات المتناقضة لثورة نوفمبر ولفلسفته، ولغيرها من العديد من الثورات ومن الفلسفات الأخرى، فإننا إذا كنا أول من يعترف بأنه إذا كان من الصعب إنكار الدور الكبير الذي تلعبه العاطفة في كل الأحداث العظيمة التي عرفها التاريخ بصورة عامة وكما لاحظ ذلك هيغل[*]، وفي كل ثورة تحريرية بصورة خاصة، وذلك نظراً إلى ما تتميز به العاطفة من تحدٍ للعقل وللمنطق المألوفين، ومن لامبالاة بالنتائج المتوقعة وغير المتوقعة، لفعلها، فإننا أول من يلاحظ كذلك بأنه من الصعب كذلك اختصار الثورة في مجرد العاطفة أو إنكار المصلحة المباشرة، وغير المباشرة، الكامنة وراءها والمتمثلة في التمكين لصاحبها من شيء سارّ أو تجنيبه شيئاً ضاراً[1].

ذلك ما يؤكده على أيّ حال انتهاء تلك الأشكال من التقديس العاطفي لثورة نوفمبر ولغيرها من الثورات الأخرى، بأصحابها إلى تحويل تلك الثورة،

(*) Hegel: *La Raison dans l'Histoire*, p p. 108 - 109.

(1) Le Moyne: in *Foulquié*, DICT - Philo, p. 517.

وباسم تلك الشرعية التاريخية، إلى ما يشبه الملكية التي لا يمكن أن تكون بالتالي، شانها في ذلك شأن أي ملكية خاصة أخرى، إلا خاصة ومقدسة[2].

من هنا اعتبار أولئك الرواد الثوريون لأنفسهم، عن صدق أو عن غير صدق، وكما أورد ذلك بعض الباحثين، بأنهم «رجال مرحلتها التحررية ومرحلتها التعميرية»[3].

ومن هنا كذلك تلك السلبيات التي لا يمكن إلا أن تتولد عن مثل تلك القناعة، المناقضة، شكلاً ومضموناً، لمبادئ ثورة نوفمبر ولشعاراتها كذلك، وهي السلبيات التي لا تفعل، وكما سنرى، سوى تكرار السلبيات نفسها، تقريباً التي عابتها هذه الثورة على الأحزاب الوطنية عامة، وعلى حزب الشعب خاصة، والتي ستبدأ أثارها المدمرة، (تسلط البعض من قيادة تلك الثورة؛ فساد وبيروقراطية جهازها الإداري؛ التصفية الجسدية للعديد من المناضلين المخلصين؛ الثراء الحرام[4].. الخ)، في فعل فعلها أثناء تلك الثورة وبعد انتصارها كذلك.

تلك هي بعض الحقائق ـ التي سنعرض لها لاحقاً بشيء من التفصيل ـ التي شكّلت البعض من فصول هذه الثورة، التي لم تشذ بالتالي عن غيرها من الثورات التحريرية الأخرى التي سبقتها، في تأكيدها لتلك الحقيقة التي تقول «إن الثورة أول من تأكل، هم أبنائها المخلصين».

وإن الذين لم يفهموا هذه الحقيقة، أو لم يسلموا بها، من أولئك الأبناء قد دفعوا حياتهم، الجسدية أو المعنوية، ثمناً لذلك. وهذا ابتداء من «سان جوست»[5] و«بوخارين»[6] وانتهاء بعبد الحي، وعبد الكريم، وعباس لغرور، وعبان رمضان[7]، ومروراً بكل الثوار الذين جاءوا بعدهم والذين أكلتهم ثوراتهم.

---

(2) J. Cazenave: *les Rites et la Condition Humaine*, p. 314.

(3) M. Lachraf: *l'Algérie, Nation*, p. 35.

(4) M. Harbi: *l'Algérie et son destin*, p. 125.

(5) P. Goxotte: *La Révolution Française*, pp. 349 - 389.

(6) A. Koestler: Le zéro et l'infini (claman levy) 1939, Trad Française 1945

(7) M. Harbi: *l'Algérie et son destin*, p. 125.

إن هذه الحقائق وغيرها، حول تلك المقاربات العاطفية للثورة وحول نتائجها، لا تعني أن تلك المقاربات البراغماتية الأخرى لها قد خلت من السلبيات.

ذلك ما تؤكده على أي حال تلك «التناولات» الأيديولوجية، خاصة الماركسية منها، أو المتمركسة، الغالطة أو المغالطة، للثورة نفسها ولميراثها، وذلك باسم الارتقاء بهذه الأخيرة إلى مستوى التراث، تلك العملية التي قالت إنها وحدها القادرة على تفعيل المشروع السياسي والاجتماعي والثقافي لتلك الثورة، والتي لا تفعل في الحقيقة،وكما أكدت ذلك الأجواء التي أحاطت بصياغة العديد من مواثيق تلك الثورة وبخاصة ميثاق طرابلس (عام 1960)[8]، سوى محاولة فصلها، لا عن أبعادها الإنسانية والعاطفية تلك فحسب، بل وعن كينونتها التاريخية والثقافية وعلى مسخها بالتالي.

لكل ذلك فإنه لا يجب أن نستغرب إذا ما رأينا مثل تلك المقاربات تنتهي، ومن خلال ذلك الفصل للثورة عن لحمها وعن دمها لا إلى اعتبارها مجرد ريع لا تقاس قيمته إلا بمدى مدخوله فحسب، بل وإلى اختصارها وتذويبها في تمظهرات ثقافية جزئية وأجنبية لا تفعل في النهاية سوى طمس هويتها المتميزة وإجهاض مشروعها الحضاري الحقيقي.

ولكل ذلك أيضاً، فإنه لا يجب أن نستغرب كذلك إذا ما رأينا مثل تلك المقاربات التراثية للميراث الثوري عامة ولميراث نوفمبر بخاصة، وهو الذي يعنينا هنا،لا تفعل كذلك، ومن خلال تلك اللغونة حول الثورة والتقدم والجماهير والاشتراكية، ومن خلال تلك الترسانة من المفاهيم والعبارات الرنانة والجوفاء الحاملة لأسئلتها المكررة ولأجوبتها الجاهزة والمكررة، سوى محاولة تحويل التراث إلى شاهد زور لقراءتها غير البريئة تلك لذلك الميراث[9].

إن أبرز النتائج التي يخرج بها المتتبع لمختلف تلك المقاربات، الميراثية

---

(8) M. Harbi: *le FLN? mirage*, p. 327 - 341.

(9) مطاع صفدي: **استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية**، مركز الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص 245 وما بعدها.

منها والتراثية على حد سواء للثورة، هي تلك التي تؤكد أنه إذا كان التوظيف الأيديولوجي للتراث لا يغني الميراث الثوري خاصة بل يزيده، فإن مثل ذلك التوظيف العاطفي للميراث لا يؤصله أو يؤسسه بل يحوله إلى عائق أمام التراث الحقيقي الذي جاءت الثورة ليكون، ولتكون، من خلاله.

من هنا فإن فلسفة نوفمبر التي كانت أول من أدرك أن ثورتها ليست، مثل أي ثورة تحريرية أخرى، ظاهرة متجاوزة للتاريخ أو لقوانينه فحسب، بل إنها ظاهرة متحققة فيه وعبر الجماهير، فإننا لا نعتقد أنه يرضيها كثيراً، أو يرضي أي فلسفة تحريرية أخرى، محاولة البعض وباسم الوفاء لها، تحويل ثورتها تلك إلى ظاهرة متجاوزة لحدود البشر وإمكانياته.

ومن هنا كذلك، فإن فلسفة نوفمبر، التي كانت أول من أدرك كذلك، وكما تؤكد ذلك مختلف بياناها ومواثيقها، وهذا ابتداء ببيان نوفمبر وانتهاء بميثاق طرابلس، مدى جسامة الجهود التي تتطلبها مرحلة البناء والتعمير، التي تشكل، وعلى حد تعبير الرسول (ﷺ)، الجهاد الأكبر بالنسبة إلى مرحلة الكفاح والتحرير، الذي ليس بالتالي إلا جهاداً أصغر، فإننا لا نعتقد أنه يرضي فلسفة نوفمبر أو أي فلسفة تحريرية أخرى كثيرة كذلك، محاولات بعض الآخرين الهادفة إلى تحميلها، وباسم الارتقاء بها وبثورتها، إلى مستوى التراث، بالمفهوم الذي سبقت الإشارة إليه، مسؤولية التجاوز بذلك المشروع السياسي والاجتماعي والثقافي مرحلة فتح الطريق أمام تجسيده نحو التجسيد الفعلي له، وفقاً لذلك المنظور الأيديولوجي الغريب عليها، فذلك ما لا تدعيه هذه الفلسفة، وما لا يمكن لأي فلسفة تحريرية حقيقية وأصيلة ادعائه أو قبوله.

إن ذلك يعني أن فلسفة نوفمبر قد أدركت أنه إذا كان دعاة ميراثها لا يفعلون في النهاية، ومن خلال تجميدهم لميراثها وتجمدهم عنده، سوى قطعها عن ذلك الواقع الوطني والعالمي الجديد التي جاءت عاملة من أجل الوصول بالشعب الجزائري إليه، فإن دعاة التراث لا يفعلون بدورهم ومن خلال انبهارهم المرضي بالآخر، سوى محاولة العودة بذلك الشعب إلى التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية الأجنبية نفسها، التي جاءت ثورته تلك لتنسفها من أساسها.

ولأن دعاة الميراث هم الذين ينجحون في النهاية، وكما تؤكد ذلك وقائع

التاريخ في حسم الموقف لصالحهم وعلى حساب دعاة التراث، فإنهم هم الذين يجعلون بالتالي، وباسم تلك الشرعية الثورية أو التاريخية، الثورة تنطوي، ومنذ بدايتها الأولى، على ذلك التناقض، بل التناقضات، التي ستحكم بالتالي، الاتجاه الذي ستسير فيه بعد ذلك.

إن ذلك التناقض هو الذي سيجعل الثورة تواجه، خاصة بعد اكتمال مرحلتها التحريرية، عدواً أولاً في الجماهير التي كانت وراء تحققها[10]. كما إنه هو الذي سيكون وراء ذلك التصادم بين الثورة وبين دولتها.

وآية ذلك أن أولئك الميراثيون في سعيهم إلى البناء السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لدولة الثورة تلك، لا يجدون من وسيلة، أمام عدم كفاءة وكفاية الإطارات التي حاولت الثورة تكوينها أثناء مرحلتها التحريرية، سوء اللجوء لا إلى البعض من خصومهم، من التراثيين فحسب، بل وإلى العديد من أبناء الطبقة الاجتماعية التي كانت مالكة فعلاً للسيطرة الثقافية والاقتصادية والسياسية، قبل تلك الثورة، أو التي نجحت في امتلاكها أثناءها وباسمها، تلك الطبقة التي لم تخدم معظمها الثورة بالأمس ولا تخدمها اليوم ولن تستطيع خدمتها غداً[11].

تلك هي الحقيقة التي يؤكدها تاريخ كل الثورات الدينية منها والسياسية التي عرفتها الإنسانية عبر مسيرتها الطويلة نحو حريتها، وهي الحقيقة التي لا تفعل في النهاية سوى تأكيد، لا تلك المقولة التي ترى «أن الثورة يخطط لها العقلاء، وينفذها الدهماء ويستغلها الدخلاء»، حتى لا نقول الخونة والجبناء فحسب، بل ومدى شساعة الهوة التي تفصل بين الثورة التحريرية، أياً كانت، وبين البناء والتعمير، بين مبادئ الثورة المنادية بالعدل وبالحرية وبالمساواة لكل أبناء الشعب، وبين دولتها، التي لا تفعل سوى التمكين العملي لتلك الطبقة وعلى حساب أولئك الأبناء[12].

---

(10) لورانز فون شتين (Lorenz Von Stein)، أنظر كتاب العقل والثورة، الترجمة العربية فؤاد زكرياء، ص 368 ـ 369.

(11) المصدر نفسه.

(12) د. فهمي جدعان: نظريات التراث، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1985، ص 13 ـ 63.

بذلك تفقد الثورة حيويتها وعطاءها وصدقيتها بل وحقيقتها لدى الجماهير أولاً، ولدى العديدين من روادها الأوائل بعد ذلك.

وبذلك أيضاً يتحول حديث أولئك الذين حولوها لصالحهم عنها وعن مبادئها في الحرية والعدل والمساواة والكرامة بالنسبة إلى تلك الجماهير، الغارقة في واقعها اليومي المأساوي المخالف تماماً لكل ذلك، إلى هراء

وبذلك أخيراً تجد الثورة نفسها محاصرة من طرف أعدائها ومن طرف الكثيرين من أبنائها كذلك.

هكذا تنحسر الروح الثورية والوطنية تدريجياً داخل الجماهير لتحل مكانها تلك الروح المصدومة والمدمرة للذات وللوطن. كرد فعل على ذلك الإحباط الكبير الذي أصابها.

إن هذه النتيجة المأسوية لا يجب أن نستغربها، لأنها ليست سوى الثمرة الطبيعية لكل ثورة تردت إلى مستوى الميراث، ولم تنجح في الارتقاء إلى مستوى التراث بمعناه الحقيقي والأصيل.

وآية ذلك أن الميراث الذي لا يوجد، وكما نعلم، إلا من خلال الأشياء والأدوات والمخطوطات، يشكل تجميداً للثورة، وذلك عكس التراث، الحقيقي والأصيل، والذي هو تجديد لها وللعقول وللإرادات والعواطف والأفعال التي أنتجت تلك الأشياء والأدوات والمخطوطات.

ولأن الميراث كذلك، فإنه أغلال واستغلال للثورة خاصّة، وللماضي عامة، واستيطان لبعض الأفراد أو الجماعات داخل أشيائه وعلى حساب المجموع، في حين أن التراث تحرير وتطوير لكل من الثورة ومن الماضي، وتوطين للجميع داخل إنجازاتهما.

والميراث تسوّل للماضي واستجداء له قصد الظفر بأشيائه وبأدواته تلك، في حين أن التراث مسألة له وحوار معه قصد استلهام الروح التي صنعته لتوظيفها في دفع مسيرة الحاضر والمستقبل.

لكل ذلك كان الميراث انتماء للثورة خاصة، وللماضي عامة، لا يتطلب مثل أي انتماء سوى القبول والتقبل وكان التراث إنماء لكل من الثورة ومن

الماضي وإقتداء بكل إيجابياتهما وهو الإنماء الذي لا يتحقق إلا عبر مناقشتهما ونقدهما.

ولكل ذلك أيضاً، فإن الميراث لا يصل بصاحبه إلا إلى طريق مغلق بالماضي ومنغلق عليه، في حين أن التراث لا يدفع صاحبه إلاّ نحو المستقبل ونحو آفاقه وإمكانياته اللامحدودة.

إن هذه الحقائق وغيرها حول دور كل من الميراث ومن التراث بالنسبة إلى الثورة خاصة، وإلى الماضي عامة، لا يجب أن تعني، وكما قد يعتقد البعض، أن كل ما لدى دعاة الميراث سلبي، وكل ما لدى دعاة التراث إيجابي بالتالي وذلك لسبب بسيط وهو أننا أول من يؤكد أن كل ميراث يظل ومهما كانت سلبياته، متضمناً لجزء إيجابي قابل للإحياء وللإقتداء، تماماً كما إن أي تراث، يظل كذلك، ومهما كانت إيجابياته، حاملاً لمخاطر قد لا تقل سلبية عن مخاطر الميراث.

ذلك ما تؤكده، لا تلك المقاربات الأيديولوجية للميراث والتي سبقت الإشارة إليها فحسب، بل وتؤكده كذلك في الوقت نفسه تلك المناهج التراثية البنيوية[13] والمادية[14] الموظفة لها.

لكل ذلك، ولغيره، نقول إنه إذا كان صحيحاً إن الميراث الثوري الحقيقي هو ذاك القابل للتطور وللنماء، والقادر على تحويل كل قراءة جديدة له إلى مصدر لتحريك حياة الأمة[15] نحو الأمام ومن جديد، فإنه أصّح منه كذلك أن التراث الحقيقي والفاعل، هو ذاك القادر كذلك على شدّ الناس إليه، وذلك من خلال إسهامه في تحقيق مثل تلك الحركية للأمة وذلك انطلاقاً من ميراثها من جهة، ومن معطيات عصرها من جهة أخرى.

ولكي تتحقق مثل تلك العملية التفاعلية بين الميراث والتراث، بين الذات والآخر، ممثلاً اليوم في الغرب بصورة خاصة، فإن العلاقة بينهما

(13) محمد عابد الجابري: **التراث والحداثة**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991.

(14) د. طيب تيزيني، **من التراث إلى الثورة**، دار دمشق، 1987.

(15) د. فهمي جذعان، **نظريات التراث**، ص، 13 ـ 63.

يجب أن تقوم على الحرية لا على التبعية وعلى الحوار لا على الانجرار، حتى تكون قادرة على الارتفاع بالميراث إلى مستوى التراث وعلى ترسيخ هذا الأخير في جذور ذاك، وصولاً بالأمة وبثورتها إلى مثل تلك المصالحة المنشودة بين ماضيها وبين حاضرها والتي تشكل الشرط الأول لاندماجها في التاريخانية من جديد.

بمثل ذلك يتحقق التكامل بين الثورة وبين النهضة، ويصبح الحاضر امتداداً طبيعياً للماضي وتعبيراً في الوقت نفسه عن المستقبل.

وبمثل ذلك أيضاً يتحقق للثورة ذاك التلاؤم الضروري بين مرحلتها التحريرية وبين مرحلتها التعميرية، بعيداً عن كل تلك الشعارات، الميراثية والتراثية، على حد سواء، الزائفة منها والمزيفة.

وبمثل ذلك أخيراً، تتحرر الأمة بالتالي من سجن الماضي ومن قيوده اللامجدية ومن تبعات الحاضر واستفزازاته المؤلمة في الوقت نفسه، وصولاً إلى تحقيق مثل تلك النقلة الحضارية النوعية القادرة وحدها على تحويل معركتها مع ذاتها، التي تتهددها بالبقاء خارج التاريخ، إلى معركة من أجل ذاتها ومن أجل إعادة انتظامها في ذلك التاريخ من جديد.

ثانياً: عظمة فلسفة نوفمبر وكبواتها

حين نعرض على ضوء ما تقدم، بالنقد لفلسفة نوفمبر وللثورة التي تجسدت من خلالها، فإننا نعتقد أنه لا بد من التذكير أولاً ببعض الحقائق:

1 ـ أن مثل هذا النقد لفلسفة نوفمبر ولثورتها لا تفرضه تلك السلبيات التي سبقت الإشارة إلى البعض منها فحسب، بل يفرضه كذلك وقبل كل شيء، البحث الموضوعي في تلك الفلسفة وتلك الثورة، لأنه وحده القادر، ومن خلال كشفه، لا عن تلك السلبيات فحسب، بل وعن أسبابها كذلك في الوقت نفسه، على تصحيح مسارها وعلى إعادة الاعتبار لتلك الروح التي نجحت ذات يوم في بلورتها.

2 ـ ولأن الفلسفة عامة، والفلسفة التحريرية الثورية خاصة، باعتبارها ظاهرة لا يمكن فصلها عن تجسداتها العملية، ممثلة في الثورة، فوق أرض

الواقع، فإن نقدنا لفلسفة نوفمبر سيكون بالتالي من خلال تلك الثورة المجسدة لها.

3 ـ إن ثورة نوفمبر باعتبارها حدثاً تغييرياً مفاجئاً وقع في زمان معين وفي مكان معين، فإن أي نقد جاد لها إذا كان يجب أن يأخذ بالتالي بعين الاعتبار المعطيات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي ولدت فيها تلك الثورة وتحققت، فإن ذلك لا يجب أن يعني أنه لن يتجاوزها نحو تلك المعطيات الأخرى، التي استجدت في الواقع الوطني الجزائري، بعد تلك الثورة ونتيجة لها.

4 ـ إن ذلك يعني أن هذا النقد إذا كان سيتوقف عند البعض من سلبيات ثورة نوفمبر وفلسفته، فإن ذلك لن يجعله يتعامى، وكما فعل البعض من أعدائها ولا يزالون يفعلون، عن إيجابياتها أو يحوّل مثلهم أخطائها، وهي كثيرة، إلى خطايا.

5 ـ كما إن ذلك يعني أن هذا النقد، الذي هو أول من يدرك مدى محدوديته وأول من يرحب بكل محاولة جادة لتصحيحه بل ولنقضه، لا يفعل ذلك إلاّ لإيمانه أن الحكم على الأحداث وعلى الرجال الذين كانوا من ورائها، يظل في النهاية حكماً معيارياً، لأنه حكم على سلوك الإنسان في مسعاه المبدع وعلى علاقة وعيه الفردي بالواقع الموضوعي المتواجد فيه والذي يشكل الميدان الأول والأخير لمثل ذلك الإبداع.

على ضوء هذه الملاحظات، نعرض الآن بالنقد لفلسفة نوفمبر ولثورتها، لنقول إن من يقف على مسار وعلى مصير تلك الفلسفة وتلك الثورة، لا يمكنه إلا أن يندهش لتلك المفارقة العجيبة، بين عظمة إنجازاتهما أثناء معركة الكفاح والتحرير، تلك الإنجازات التي تجاوزت تضحيات وبطولات، أثراً وتأثيراً، حدود الجزائر نحو العديد من بقاع العالم، وبين ذلك التراجع بل والتردي الذي أصابها. بعد ذلك أثناء معركة البناء والتعمير والذي أدى إلى انحسارها لا في تلك البقاع فحسب، بل داخل الجزائر ذاتها.

ذلك ما يؤكده الواقع الذي تعيشه الجزائر اليوم وهو الواقع الذي يبين أن تلك الفلسفة وتلك الثورة إذا كانتا عملاقتين في انتصاراتهما أثناء مرحلة

التحرير، فإنهما قد منيتا كذلك، وأثناء معركة التعمير بهزائم عملاقة كذلك من طرف أعدائهما الذين وجدوا في البعض من تلك السلبيات والانحرافات للبعض من رجالاتهما فرصتهم للتكالب عليها من كل اتجاه، في معارك لم يكن دوماً سلاحها الفكر أو المواجهة أو القتال، بل الديماغوجيا والنفاق والانتهازية والتشكيك، مستهدفين بذلك تقويضها من الداخل بعد أن استحال عليهم بالأمس مواجهتها من الخارج.

من هنا ذلك الاستقطاب للمشاعر وللمصالح الذي تثيره هذه الثورة اليوم، ومن جديد حولها، والذي لا يعادله سوى ذلك الاستقطاب الذي سبق لها أن أثارته بالأمس حولها والذي لم تعرف مثله أي ثورة عربية معاصرة، باستثناء ثورة تموز/يوليو 1952 في مصر[16].

ومن هنا كذلك قلق وحسرة الأشقاء لما تتعرض له الجزائر طيلة التسعينيات من القرن الماضي من مخاطر. ومن هنا أخيراً تربص الخونة والأعداء الذين توهموا أنهم قد وجدوا في مثل تلك المخاطر فرصتهم للانتقام من تلك الثورة ومن الجزائر المجسدة لها والمتجسدة من خلالها.

ولأننا نؤمن بأن الإيجابيات التي لا تزال تحسب، وحتى اليوم، لصالح فلسفة نوفمبر وثورتها، أكثر من تلك السلبيات التي تعاب عليها، فإننا لن نتوقف بالتالي إلاّ عند الأهم من هذه الأخيرة:

لقد فشلت فلسفة نوفمبر، مثل العديد من الثورات الأخرى في تحقيق القطيعة مع ذهنيات وممارسات الأحزاب الوطنية عامة، وحزب الشعب بخاصة، وفي تعميقها داخل روادها أولاً، وداخل غيرهم من أبناء الشعب الجزائري بعد ذلك، بدرجة كفيلة بتمكينها من صهر تلك الذهنيات وتلك السلوكات نهائياً ضمن تلك النظرة الوطنية الثورية الجديدة التي جاءت حاملة لها، وعاملة من خلال ثورتها تلك على غرسها في الفكر وفي الوعي الجزائريين.

---

(16) سعد الدين إبراهيم: مصر، والعروبة وثورة يوليو 1952، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982، ص 26.

من هنا سرّ استمرار تلك السلبيات، النظرية والعملية التي عابتها على تلك الأحزاب، وعلى روادها كذلك بدورهم، وهي السلبيات التي تمثلت من بين ما تمثلت في:

1 ـ الاحتكار الأيديولوجي للثورة وللفكرة الوطنية، وهو الاحتكار الذي تمثل من بين ما تمثل في اعتبار أولئك الرواد لأنفسهم، ومثل ما فعل العديد من رواد الثورات التحريرية الأخرى، القدماء منهم والمعاصرين، بأنهم الشرعيون الوحيدون، لأنهم الأولون الذين قاموا بالثورة ورجال مرحلتها التحريرية والتعميرية.

من هنا ذلك الإبعاد المباشر وغير المباشر للسياسيين وتلك الريبة فيهم وفي مشاريعهم[17]، ومن هنا كذلك تلك المضادة للمثقفين وذلك التهميش لهم ولدورهم أثناء الثورة وبعدها[18].

بذلك غابت، بل غيّبت وحوربت كل معارضة موضوعية داخل تلك القيادة، وهي المعارضة التي لا نشك أن غيّابها قد حرم الثورة من طاقات تجديدية وتصحيحية كان يمكن أن تجنّبها العديد من تلك السلبيات التي وقعت فيها أثناء مرحلة الكفاح والتحرير، وبعدها كذلك.

وبذلك أيضاً وقعت الثورة في ذلك الفراغ بل الجمود الأيديولوجي الذي سنعرض لاحقاً للبعض من تجلياته ومن نتائجه كذلك، ذلك الفراغ الذي لا يمكن إرجاعه بالتالي، وكما لاحظ أحد الباحثين إلى قصور دور المثقفين[19].

2 ـ غياب الإستراتيجية والتنظيم بالنسبة إلى جهازها الإداري الذي ظل يعمل من دون قوانين واضحة تحكمه ومن دون إستراتيجية سوى «إستراتيجية الدوام والاستمرار»[20].

---

(17) M. Harbi, *le FLN, mirage*, pp. 166, 300.

(18) M. Lachraf: *l'Algérie, nation*, pp. 33 - 34.

(19) R. Malek: *Tradition et Révolution*, p. 140.

(20) M. Harbi: *Le FLN, mirage*, p. 166.

من هنا فساد ذلك الجهاز وبيروقراطيته ومركزيته المفرطة. . الخ، وهي الظواهر التي تناقض كلية دينامية الثورة وطهارة وزهد طلائعها الأولى والتي ستبدأ أثارها المدمرة في التجلي، وبخاصة على مستوى البعض من قادة تلك الثورة منذ عام 1958، إن لم يكن قبل ذلك، وذلك من خلال الغياب للمراقبة الفعالة لجهازها الإداري ذاك، الذي ظل يعمل في مثل ذلك الجو من الفساد ومن البيروقراطية ومن المركزية من دون قوانين واضحة تحكمه[21].

كما إن تلك الآثار المدمرة ستتجلى كذلك في السرية المفرطة، وفي الريبة والمراقبة المتبادلة بين أعضاء قيادة تلك الثورة في إحلالهم للعلاقات العسكرية محل العلاقات السياسية وفي صراعاتهم الداخلية، والشخصية المزمنة[22]. في تسلطهم وتعسّفهم وسجنهم وتعذيبهم بل وتصفيتهم الجسدية للعديد من المناضلين المخلصين[23]، وفي تخلي الكثيرين من أعضاء تلك القيادة عن ميدان القتال نحو الحدود والعواصم العربية والعالمية الكبرى حيث السياسة والمناورة والبذخ. تلك الحدود التي حوّل البعض منهم فيها جيش الثورة الاحتياطي، لا إلى أداة ضغط ومساومة على غيرهم من تلك القيادة فحسب، بل إلى مطية لموقعه وموقع المجموعة التابعة له في جزائر ما بعد الاستقلال.

إن هذه السلبيات وغيرها، بل الانحرافات، لا يمكن تبرير العديد منها، وكما فعل البعض من تلك القيادة[24] والبعض من الباحثين في هذه الثورة كذلك[25]، بالملل الذي أصابهم[26]، أو باستقطابهم بفكرة استعادة الاستقلال السياسي للشعب أكثر من استقطابهم بالحرية الفردية بالمفهوم المتعارف عليه لها اليوم أو بقلة خبرتهم بالتسيير وقلة تحمسهم للسياسة[27].

---

(21) MIbid, p. 301 - 302.
(22) Ibid, pp. 255 - 260.
(23) M. Harbi: *l'Algérie et son destin*, p. 125, *Le FLN, mirage*, p. 197 - 240.
(24) M. Lakhdar Ben Tobal, cité, in *le FLN, mirage*, p. 306.
(25) M. Harbi: *Le FLN, mirage*, pp. 164 - 17.
(26) Ibid, p. 306.
(27) Ibid, p. 164.

وآية ذلك، أننا إذا كنا أول من يعتقد بأنه لا سيطرة لأي ثورة من دون عنف[28]، وإذا كنا أول من يعتقد كذلك أن العنف والإرهاب يشكلان كذلك وبالتالي أداة الثورة التي لا مفرّ لها منها لمواجهة كل أشكال الثورة المضادة، فإننا، أول من يذكر كذلك أن تلك السيطرة حينما توظّف لغير صالح الثورة، فإنها تتحول إلى طغيان فردي تماماً كما إن ذلك العنف حينما يتجاوز، وكما حدث ذلك مراراً في هذه الثورة (أحداث ملوزة مثلاً)[29] بعض الحدود، فإنه يتحول كذلك وبدوره إلى مجرد غطاء للجريمة[30].

كما إن مثل تلك السلبيات والانحرافات هي التي ستكون بالتالي وراء قناعة العديد من المناضلين، إن «جبهة التحرير الوطني»، الرمز البشري لتلك الفلسفة ولتلك الثورة، لم تعد، منذ عام 1958، موجودة كحزب ممثل للسلطة الوطنية ومؤتمن عليها، وكقائدة للأمة في الحرب، وذلك نظراً إلى الذوبان التدريجي لتلك السلطة السياسية، والمعنوية التي كانت تمثلها[31].

كما إن تلك السلبيات والانحرافات هي التي ستكون كذلك وراء تلك التساؤلات القلقة التي بدأ الشعب يطرحها عمّا إذا كان الانضمام إلى الثورة قد أصبح بالنسبة إلى البعض وسيلة للصعود وللتسلط وللثراء وعمّا إذا كان قادة ثورته تلك قد تحولوا بدورهم إلى طغاة كأولئك الذين عرفهم قبل سنة 1954؟

لذلك كان ذلك الإحباط الذي بدأ يتسرب، وبعمق، إلى البعض من أولئك الرواد وإلى العديد من المناضلين والذي لم يلبث أن مس، وهذا في الوقت الذي كانت فيه الثورة في أشد الحاجة إلى نَفَسِهم الجديد وإلى حماسهم، لمواجهة التصعيد العسكري الاستعماري الخطير الذي قاده الجنرال «ديغول»

---

(28) M. Godelier, in, M. Harbi, *l'Algérie et son destin*, p. 101

(29) حول هذه التجاوزات: انظر أسبوعية الوقت، الجزائر، العدد 49/ ـ 13، تشرين الثاني/ نوفمبر 1994 (حديث العقيد سليمان دهيليز)، محمد حربي، أرشيف، الثورة الجزائرية حول مجزرة «ملوزة» وجريدة الشعب، الجزائر، 20/ 10/ 1989، وشهادة محمدي السعيد (1990) لإحدى قنوات التلفزيون الفرنسي حول الأحداث نفسها.

(30) M. M. Ponty: *Humanisme et Terreur*, Gallimard, 1947, p. 26.

(31) M. Lachraf: *l'Algérie, nation*, pp. 391 - 92.

(1958 ـ 1960) ضدها(*)، تاركاً لديهم منذ ذلك الوقت وحتى اليوم[32]، تلك الذكرى المرة عن تلك السلبيات وتلك الانحرافات التي لا تزال العديد من إفرازاتها والمتسببين فيها فاعلة في الحقل السياسي والاجتماعي والثقافي الجزائري حتى اليوم[33].

3 ـ كما فشلت فلسفة نوفمبر كذلك، (وبالرغم من كل محاولات مواثيقها المختلفة، لا في المواكبة النظرية والعملية، الفعالة، لمثل تلك المشاكل التي بدأت تطرحها على المستوى النظري وعلى المستوى العملي كذلك فحسب، والتي هددت الجزائر غداة استعادتها لاستقلالها السياسي، ومن خلال ما عرف «بأزمة صيف 1962»[34] بحرب أهلية ولا تزال تهددها منذ ذلك الوقت وحتى اليوم بالغرق وسط تلك المتاهات الأيديولوجية الأجنبية، الشرقية الاشتراكية منها، والغربية والرأسمالية والإسلاموية على حد سواء)، في تحقيق مثل ذلك المشروع المجتمعي، الأصيل والحديث، والذي قالت إنه يمثل هدفها الأول والأخير.

ذلك ما أكدته على أي حال، وبالأمس، تلك التناقضات التي ميزت مقاربات فلسفة نوفمبر للعديد من القضايا الأساسية، ومن ضمنها مقاربتها لتلك الدولة الجزائرية المستعادة، وهي الدولة التي بدأت، ومن خلال بيان أول نوفمبر 1954، ديمقراطية اشتراكية ضمن إطار المبادئ الإسلامية[35]، وانتهت كما تؤكد ذلك المؤتمرات والمواثيق التي تلت ذلك البيان، والبعض ممن أسهموا في صياغتها النهائية كذلك[36]، خاصة مؤتمر طرابلس (عام 1960)، إلى مفهوم ديمقراطي اشتراكي أقرب إلى المبادئ الاشتراكية، في مفهومها الماركسي الدوغمائي، منه إلى أي شيء آخر.

(*) أخذ ذلك التصعيد شكل العمليات العسكرية الكبيرة ضد جيش التحرير الوطني وذلك مثل عملية كورون «(نيسان/ أبريل 1959)، و» الشرارة» (تموز/ يوليو 1959)، و«جوميل» (1959 و«اميرود» و«الطائر الأزرق»... الخ.

(32) الوقت، العدد 49 (سبق ذكره)

(33) المصدر السابق نفسه.

(34) M. Lachraf: *l'Algérie, nation*, p. 191.

(35) بيان أول نوفمبر 1954.

(36) M. Harbi: *Le FLN, mirage*, pp. 166 - 167 - 255 - 260.

من هنا تلك المطالبة الملحّة اليوم، التي سبقت الإشارة إليها، من طرف معظم الحركات الإسلامية والإسلاموية في الجزائر بالعودة الكلية إلى تلك المبادئ الإسلامية[37] وإلى إعادة تشكيل الدولة الجزائرية وفقاً لها، ولها وحدها[38].

وذلك ما يؤكده كذلك الفشل الذي منيت به، وبالرغم من كل إنجازاتها، المادية بخاصة، تلك الاختيارات الأيديولوجية الاشتراكية، الارتجالية والمراهقة، التي دشنت السنوات الأولى لذلك الاستقلال السياسي المستعاد، وتلك الاختيارات الاشتراكية الأخرى، المتجاهلة، خاصة تلك التي عرفها (عهد الرئيس الراحل هواري بومدين) لا لنفسية الشعب الجزائري ولتقاليده في التضامن وفي التراحم الاجتماعي فحسب، بل ولطبيعة البنية الاقتصادية التي خلفها له المستعمر بعد رحيله، والتي قالت إنها جاءت لتصحيح ولتعميق تلك الاختيارات التي سبقتها، وذلك ليس من خلال عملها على الحدّ من ذلك الاختلال الذي بدأ يتجلى بين عملية البناء المادي للإنسان الجزائري وبين عملية البناء الروحي والأخلاقي له فحسب، بل بتعميقه في النهاية، ولحساب تلك العملية المادية، وذلك استناداً إلى طروحات تلك الأيديولوجيا نفسها من جهة، وإلى ريع بترولي بدأ، خاصة منذ حرب تشرين الأول/أكتوبر العربية ـ الإسرائيلية (عام 1973) في التزايد، ليفقد في النهاية الإنسان الجزائري العديد من قيمه التقليدية الأساسية وفي مقدمتها قيم التقشف والعمل والتضامن.

ولم يكن حظ الاختيارات الإيديولوجية «الغربية» «الرأسمالية» «الانفتاحية» (الرئيس الشاذلي بن جديد) التي جاءت في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من هذا القرن العشرين، كرد فعل على ذلك الفشل الذي منيت به تلك الاختيارات الاشتراكية، وهو الفشل الذي بدأ يتجلى منذ منتصف السبعينيات من هذا القرن ومن خلال ذلك اللفظ وذلك التعثر الذي بدأت تتعرض له

---

(37) Aissa Khalledi: *les Islamistes Algériens face au pouvoir*, édit, Alfa, Alger, 1992.

وأنظر أيضاً: جريدة **المنقذ**، لسان حال جبهة الإنقاذ الإسلامية الأعداد، 30، 31 بتاريخ 25 ـ 10 ـ 1990. 01 ـ 11 ـ 1990.

(38) عباسي مدني: **أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامية**، مطبعة رحاب، الجزائر، 1989؛ **المجاهد الأسبوعي**: لسان حال حزب جبهة التحرير الوطني، العدد 1771، 15 ـ 7 ـ 1994.

الثورة الزراعية خاصة (عام 1972) والذي سينتهي بفشلها، أفضل، وكما أكدت ذلك أحداث تشرين الأول/ أكتوبر 1988[*]، من تلك التي عملت على تقويضها. بذلك غاب، أو غيّب، ذلك الخط الأيديولوجي الوطني الثوري الواضح المنسجم والأصيل الذي جاءت فلسفة نوفمبر معلنة، ومن خلال بيانها الأول عنه وعاملة بعد ذلك على بلورته، تاركاً وراءه، تدريجياً الساحة الوطنية الثورية لتلك الأيديولوجيات الأجنبية ولإفرازاتها السلبية.التي ستبدأ في التجلي منذ مؤتمر الصومام[39] والتي ستبلغ ذروتها سنة 1988، ومن خلال تلك المطالبة العلنية والعملية، من طرف بعض من المتأثرين، بمفاهيم وبممارسات غريبة عن الإسلام وعن الشعب الجزائري، للسلطة السياسية الوطنية بتصحيح ما اعتقدوا أنه انحراف بفلسفة نوفمبر وبثورتها عن تلك المبادئ الإسلامية، وما خلفه ذلك الرفض الذي قوبلت به تلك المطالب من طرف السلطة السياسية الحاكمة من فتن ومحن لا يزال الشعب الجزائري يدفع، ومنذ بداية التسعينيات من القرن الماضي بصورة خاصة، ثمنها الباهظ من دماء ومن دموع أبنائه وبناته ومن مؤسساته التربوية والاقتصادية والاجتماعية، التي بناها بعرقه، ومن مكانته الدولية كذلك.

وأمام مثل هذه الوقائع والنتائج، فإننا إذا كنا أول من يسلم أن فلسفة نوفمبر وثورتها قد خضعتا في مسارهما، مثل غيرهما من الفلسفات والثورات التحريرية الأخرى، لحتميات الواقع الوطني والجهوي والدولي، ولمتطلباته المختلفة، فإننا أول من يلاحظ كذلك، وفي الوقت نفسه، أن الفلسفة والثورة الحقيقية تبقى تلك التي تعرف كيف تتجاوز مثل تلك الحتميات خاصة حينما تتحول إلى عائق بينها وبين أهدافها، متمثلة في طموحات الجماهير، التي تستمد منها روحها ووجودها، في الحرية والكرامة والعدالة.

لكل، ذلك، ولغيره، فإننا نعتقد أن تلك التطورات التي عرفتها الثورة التحريرية، وما أفرزته من مشاكل لو وجدت نظرية ثورية جديدة قادرة على مواكبتها وعلى احتوائها، وآليات ثورية قادرة كذلك على الكشف عنها بصورة

(*) Cf. Boukhobza (M): *Octobre 1988*, Laphomic, Alger, 1989.

(39) M. Harbi, *le FLN, mirage*, p. 170.

مبكرة وعلى علاجها موضوعياً، وقبل أن تستفحل، لجنبت ثورة نوفمبر والجزائر العديد منها.

4 ـ وأخيراً، وليس آخراً، فإن فلسفة نوفمبر قد فشلت، وبالرغم من كل أحاديثها وتأكيداتها عن الثقافة الوطنية العربية الإسلامية[40] وعن دورها الأساسي في إعادة بناء الجزائر الجديدة[41]، وفي استعادة هويتها التي عمل المستعمر على طمسها نهائياً ولصالح هويته وثقافته، في جزائر «المعمرين» لا الجزائريين، في وضع أسس مشروع ثقافي وطني أصيل وحديث قادر على ربط مشروعها الثوري، ومنذ البداية، بمشروع ثقافي نهضوي كان يمكن أن يلعب دور المحرك لثورتها والمجدّد لفكرها والمرسخ لروحها ولمبادئها، لا في وعي وفي سلوك الأجيال التي عاشتها فحسب، بل وفي وعي وسلوك الأجيال التي عاشت بعد ذلك تلك الحرية التي نجحت في استعادتها لها.

إن النتائج المباشرة لمثل ذلك الفشل، (الذي نعتقد انه يعود أساساً إلى ذلك التهميش بل تلك المضادة للثقافة وللمثقفين، والتي لا تفعل سوى تكرار الموقف نفسه الذي وقفته من قبل من الموضوع نفسه، بعض الأحزاب الوطنية، خاصة حزب الشعب)، سوف تتجلى من بين ما ستتجلى، لا في تلك الذهنيات والممارسات السلبية التي تعرضت لها الثورة أثناء مرحلة التحرير فحسب، بل إنها سوف تتجلى كذلك في إفرازات تلك الوضعية المزرية التي ظلت تميز، منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، الثقافة والمثقفين في الجزائر[*].

من هنا ذلك الفراغ الثقافي الذي كرس تدريجياً، وعلى وقع أزمة اقتصادية واجتماعية بدأت آثارها تتجلى بوضوح منذ منتصف الثمانينيات من القرن العشرين، لتزداد بعد ذلك، إثر الانخفاض الذي سيعرفه ذلك الريع

---

(40) El - Moudjahid, n 17, 01 - 02 - 1958.

(41) Ibid.

(*) بالرغم من البعض من مواقفها السلبية من المثقفين، فانه يحسب للكثير من رجالاتها حمايتهم للمثقفين وحرصهم على تكوينهم في الداخل والخارج باعتبارهم الأطر الضرورية المقبلة للجزائر المستقلة. انظر مجلة الباحث، تشرين الثاني/ نوفمبر 1984 العدد2.

البترولي حدة نتيجة للفساد السياسي والإداري الذي ازداد بدوره تفاقماً، وانتهى بفقدان العديد من أبناء جزائر ما بعد الاستقلال لمعالم شخصيتهم، ولأسس وطنيتهم بل ولمعالم حياتهم ووجودهم، محوّلاً إيّاهم بذلك إلى فريسة سهلة للأديولوجيات السياسية والثقافية والدينية الأجنبية والغريبة عن الشعب الجزائري.

إن تلك الأيديولوجيات التي اعتقدوا أنهم وجدوا فيها مخرجهم من ذلك الضياع الاجتماعي والثقافي والسياسي، وطريقهم بالتالي نحو ذلك المستقبل الذي لم تفعل تلك الممارسات السياسية اللامسؤولة سوى سدّه أمامهم، هو الذي جعل تلك الأيديولوجيات تعتقد بدورها، أنها قد وجدت فيهم خاصة الشباب، وهم الذين يمثلون اليوم ثلثي الشعب الجزائري، أداتها لتمرير مخططاتها وطروحاتها السياسية، وتطرفها الديني الذي فشلت في تمريره في بلدانها وفي البلدان الأخرى كذلك.

بذلك وصلت الجزائر إلى أحداث، أو «انتفاضة» تشرين الأول/أكتوبر 1988، كما سماها البعض، التي لا تزال آثارها المدمرة فاعلة وبقوة، وبخاصة بعد التعثر الذي عرفته انتخابات كانون الأول/ديسمبر 1991، والذي تم وقف مسارها بعد ذلك (كانون الثاني/يناير 1992).

وبذلك أيضاً ازداد انقطاع، أو قطع، تلك الأجيال الصاعدة عن روح نوفمبر وعن جبهة التحرير الوطني التي تعصف بها اليوم الانقسامات والهوس السياسي عصفاً، والتي ظل البعض من «رموزها» يعتبرون أنفسهم، وبالرغم من كل ما جرى الممثلين والحامين الوحيدين لتلك الثورة. وهو الانقطاع الذي لا نعتقد، أن إعادة تلقين تاريخ ومبادئ هذه الأخيرة قادر وحده، وكما يطالب اليوم البعض من أولئك الرموز على وضع حد له.

وبذلك أخيراً تحولت، ومنذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين بصورة خاصة العديد من البديهيات الوطنية والتاريخية، خاصة تلك المتعلقة بالانتماء التاريخي الحضاري والثقافي واللغوي العربي الإسلامي للشعب الجزائري، (والتي لا تصور لأي نهضة أو تقدم وإبداع بالنسبة إلى أي شعب في غيابها، أو في غياب التحامه حولها)، على يد البعض من المستندين إلى حقائق

تاريخية وطنية أرادوا من خلالها، أدركوا ذلك أو لم يدركوا، الوصول بالشعب الجزائري إلى ذلك المصير التراجيدي الذي فشل المستعمر بالأمس في دفعه إليه، والهادف إلى تفتيته وتدميره نهائياً.

ذلك ما تؤكده على أي حال مطالبة البعض اليوم، من الجاهلين أو المتجاهلين لحقيقة اللغة الوطنية وللفوارق بينها وبين اللهجات الوطنية، وهي كثيرة وليست منحصرة في واحدة، منها، «الأمازيغية»، كما يتوهم البعض أو يريدون أن يوهموا بذلك، (هي اللهجات التي نحن أول من يقر ويبارك دورها الإيجابي في الإسهام، إلى جانب الإسلام واللغة العربية، وفي بلورة الهوية الوطنية الجزائرية، وفي المحافظة على الثقافة الشعبية بهذه الديار).

إن مثل هذه المطالب تزداد خطورة حينما نذكر أن اللغة العربية التي لم تحتل بعد، وبالرغم من مرور أربعة عقود من الزمن، على استعادة الجزائر لاستقلالها السياسي تلك المكانة التي قيل إنها يجب أن تكون لها بعد الاستقلال، وهي التي كانت أول من حمى تلك اللهجات وغذائها.

لذلك فإننا نخشى أن تكون النتائج النهائية المقصودة أو غير المقصودة، من مثل هذه المطالبة لا ترقية تلك اللهجات فحسب، بل إضعاف اللغة العربية والثقافة الحاملة لها لفائدة لغة المستعمر، التي نلاحظ أنها ليست اليوم اللغة التكنولوجية الوحيدة، وللمشاريع «الفكرية» و«الثقافية» الاستعمارية الجديدة الحاملة لها.

وأمام هذه الوضعية الجاهلة أو المتجاهلة لدور اللغة الوطنية الواحدة أياً كانت، في توحيد مشاعر وعقول وصفوف الشعوب وفي بلورة هويتها المتميزة وتفتيق عبقريتها المبدعة، فإننا إذا كنا نسلم مع البعض أن اللغة الفرنسية بالذات تعتبر بالنسبة إلى الشعب الجزائري «غنيمة حرب»[42]، من بين غنائم أخرى كثيرة للثورة التحريرية، وإذا كنا ندرك كذلك أن اللغة العربية كانت ولا

(42) لعل من بين خصائص اللغة الوطنية أياً كانت هي (أ): قدرتها على توحيد كل الشعب حولها؛ (ب): قدرتها على تمكين فكره وخياله ووجدانه من الإبداع. (ج): قدرتها على ربطه بمجموعة ثقافية وحضارية أكبر منه، منتمية للغة نفسها وللثقافة نفسها وللحضارة نفسها.

تزال قادرة، إذا ما وجدت في هذه الديار، وفي غيرها جهوداً مخلصة للتمكين لها من مواجهة الألفية الثالثة وتحدياتها العلمية والمعلوماتية والتكنولوجية والثقافية والاقتصادية، على التفاعل الإيجابي مع هذه اللغة الفرنسية ومع غيرها من اللغات الأخرى، فإن ذلك لا يجب أن يعني تحويل تلك اللغة بالذات، ومن جديد، من غنيمة إلى غريمة للغة العربية وللغالبية الساحقة من أبناء الشعب الجزائري الذي ارتضاها مثلما ارتضى العقيدة الإسلامية، التي جاءت بلسانها أداة لبلورة وحماية هويته.

إننا نقول هذا، لا اعتباطاً، بل استناداً إلى وقائع التاريخ، القديم منه والحديث، التي أكدت ولا تزال تؤكد، أن التفكك اللغوي للأمة، هو المقدمة الأولى لتفككها الجغرافي والسياسي والاجتماعي.وأن الفتن اللغوية مثل غيرها من الفتن الدينية والسياسية، تبدأ في الأذهان قبل أن تتحول إلى فتن أهلية وطائفية في الميدان.

ذلك ما تؤكده على أي حال محاولات المستعمر الفرنسي بالأمس التي اتخذت من تدمير اللغة والثقافة العربية للجزائر أداة أولى للتمكين من احتلاله العسكري لها بعد ذلك.

وذلك ما يؤكده كذلك القلق الكبير الذي تعرفه العديد من البلدان المتقدمة، ومن بينها بلجيكا وسويسرا وكندا، تجاه ما يتهددها به تفرقها اللغوي، (الناتج أساساً من معطيات، جيو ـ سياسية متمثلة في مجاورتها لدول أكبر منها)، من مخاطر بالنسبة إليها وإلى مستقبل شعوبها.

وذلك ما يؤكده أخيراً وليس آخراً، موقف فرنسا التي لم يحل اعترافها الرسمي ببعض اللهجات المحلية فيها وذلك من أمثال لهجة البروتون والكورس.. الخ، دونها ودون الحيلولة دون هذه اللهجات الأخيرة من الحلول محل اللغة الفرنسية التي قالت إنه يجب أن تبقى اللغة الوحيدة الرسمية لكل الشعب الفرنسي وعنوان هويته ورمز وجوده وتقدمه.

تلك بعض سلبيات فلسفة نوفمبر وانعكاساتها على تلك الثورة التي جاءت مجسدة لها. وهي السلبيات إلى يبدو أنها قد تحولت في النهاية، وعلى الرغم

من خطورة البعض منها، إلى ظاهرة عادية بالنسبة إلى البعض من رواد تلك الفلسفة وتلك الثورة.

إن هذه الحقيقة هي التي تدفعنا إلى طرح تساؤل، بل تساؤلات، نعتقد أنها مهمة، ولكننا نترك الإجابة عليها الشعب الجزائري ولغيره من الشعوب الأخرى التي قامت بثورات، كتلك التي قام بها هذا الأخير، وهذا التساؤل هو: هل صحيح أن رواد الثورات التحريرية هم، وكما يدعون، الأكثر تأهيلا من غيرهم لقيادة ثورات البناء والتعمير؟ ولأننا نعتقد أن التعريف الحقيقي للتاريخ هو ذلك الذي يرى فيه، لا معرفة فقط، أو تفسيراً، أو نقداً للأحداث التي وقعت وشكلته، بل يرى فيه أيضاً تصوراً واضحاً، كذلك لتلك الأحداث الأخرى التي كان يمكن أن تقع بدل تلك التي وقعت، فإننا نطرح على البعض من أولئك الرواد، خاصة أولئك الذين نصبوا انفسهم، أوصياء أبديين، على ثورة نوفمبر السؤال التالي: لو فرضنا، جدلا، أنهم لم يقوموا هم بهذه الثورة، أو أنهم فشلوا فيها، فهل كان الجيل، أو الجيلين، اللذان سياتيان من بعدهم من أبناء الشعب الجزائري، الذي خاض، قبل ثورة نوفمبر، أكثر من مائة ثورة وانتفاضة ضد نفس المستعمر، وكما سبق أن أشرنا، سيتردد في القيام بها والإنتصار فيها في النهاية؟

لقد حاول البعض من الباحثين الإجابة عن هذا التساؤل بالإيجاب، حجتهم في ذلك أن أولئك الرواد، أكثر تنظيماً من رجال الداخل الذين طحنتهم، وأنهم قد يكونون أكثر فائدة بالتالي للثورة في مرحلة ما بعد الاستقلال، نظراً إلى «ما تتطلبه تلك المرحلة من دفع لانطلاق عملية البناء والتعمير».

غير أن البعض من أولئك الباحثين نفسهم، يعودون ليلاحظوا أن مثل تلك الإفادة، هي التي جعلت أولئك الرواد يحوّلون بالعنف، والمناورة، الحزب الثوري المنضويين تحته، إلى حزب كوني وأبدي، ومن حزب دولة إلى دولة حزب. بذلك فقدت ثورة نوفمبر استمراريتها الجدلية مع الواقع الوطني وتحولت بالتالي من مشروع متجدد ومتفتح على الحاضر وعلى المستقبل، إلى إنجاز نهائي منغلق على نفسه، في الماضي، ومنقلب على تلك الثورة التي كانت وراءه.

وحين تفقد الفلسفة الثورية مثل ذلك الوعي وتلك الصلة بالواقع المتجدد وبمحولاته المتعددة والمتسارعة، فإنها تصبح فلسفة غير حاملة لأي أمل ولأي عمل.

هكذا تفقد الثورة عنفوانها وصفائها، أو ما تبقى منهما، ويتحول مجتمعها المفتوح إلى مجتمع مغلق[43] ومجمد حول شعارات ثورية إلى شعارات ديماغوجية، لم يعد لها من دور أمام استمرار البعض من أولئك الرواد في ممارستهم المنحرفة تلك، سوى تخدير الجماهير وافتعال إجماعها حول كل ما يطرح عليها من قضايا مصيرية بالنسبة إليها وإلى الوطن.

إن مثل هذه الحقائق وغيرها حول فلسفة نوفمبر وثورتها لا يجب أن تعني، وبالرغم من مرارتها، أن روح نوفمبر قد ضاعت وإلى الأبد، بل إنها تعني فقط أن تلك الروح قد حوصرت في مرحلة تاريخية اعتقدها البعض ممن كانوا ولا يزالون وراء تلك المحاصرة، أنها نهائية

بذلك تحولت ثورة نوفمبر من ظاهرة دينامية محررة للفرد الجزائري خاصة، وللإنسان المضطهد عامة، ومجددة لتاريخه، إلى ظاهرة سكونية مكبلة لحريته ومجمدة لتاريخه.

من هنا فإن تحرير روح نوفمبر التي حررت بالأمس شعباً بأكمله من أبشع استعمار عرفته الإنسانية في عهودها الحديثة، لا يتحقق بالتالي بمثل تلك الشعارات الديماغوجية الضالة والمضللة والمناقضة لتلك الروح ولواقع الجماهير، بل إنه يتحقق من خلال النقد الموضوعي للرجال وللظروف التي أوصلت ثورة نوفمبر إلى المأزق الذي وصلت إليه اليوم، وهي مسؤولة عن اندلاعها، ذلك النقد القادر وحده على إعادة بلورة ذلك الوعي العظيم داخل كل فرد من أفراد الشعب الجزائري.

كما إن إنقاذ روح نوفمبر لا يتحقق كذلك بالحسرة والبكاء على ذلك المصير الذي آلت إليه اليوم، بل بالعمل على إعادة اكتشاف ذلك المنطق الحي الأصيل والفاعل الذي غذى بالأمس تلك الثورة وكان وراء انتصارها

(43) M.A.Brunier; *les existenialistes et la politique*, col.Idées,Paris, 1966, p.131

على المستعمر، والذي لا يزال قادراً حتى اليوم على إعادة الحياة لكل تلك الأفكار والإرادات والعواطف والأفعال، وللطهارة التي جاءت حاملة لها، وصولاً إلى إعادة غرسها في الوعي وفي الفكر الجزائريين وذلك من خلال العمل الجاد والمجدد على توطيد الديمقراطية الحقيقية والعدالة الاجتماعية، واجتثاث كل أشكال الفساد، وإعادة إصلاح التعليم والتكوين وصولاً إلى تعليم وتكوين موصلين إلى الإبداع ومتوازيين بالتالي كيفاً وكماً[44].

بذلك وبغيره تسكن روح نوفمبر، المطهرة، عملياً، من كل تلك الشوائب والانحرافات التي ألحقت بها، روح الجزائر من جديد ويعاد الاستمرار لمفاهيمها ولقيمها ولإنجازاتها وصولاً إلى تلك القراءة الصحيحة والمصححة، الجديدة والمجددة لواقع الجزائر اليوم من خلالها.

إن البعض قد يجدون مثل هذا المطلب بل النداء مثالياً أمام ما تتعرض له الجزائر من مشاكل ومن محن منذ اندلاع تلك الثورة، وقد يحكم عليه آخرون بالماضوية وبالارتداد نحو عهد مجيد حقاً ولكنه مضى ولن يعود أبداً، ولكن كل تلك الاعتقادات والأحكام وغيرها، لن تغير في شيء من قناعتنا أن ثورة نوفمبر ستظل، ولفترة غير يسيرة من الزمن، الممرر الإجباري لكل إعادة بناء أو إصلاح أو تجديد للجزائر.

---

(44) K. Popper: *The Open Society and Its Enemies*, plato Roubledge, london, 1961, p. 8

خاتمـــــة

هذه خاتمة لدراسة من بين دراسات وبحوث أخرى لا نشك أنها ستتلوها حول فلسفة نوفمبر. . وثورتها. . . وليست نهاية بالتالي.

إننا نقول هذا لأننا نؤمن أن فلسفة نوفمبر، مجسدة في ثورتها، ستظل تشد إليها، من خلال إيجابياتها وسلبياتها على حد سواء، العديد من الباحثين الجزائريين، لمدة طويلة. . وقادمة من الزمن.

لكل ذلك فإن هذه الدراسة هي أول من يعترف بأن ما استهدفته، هو محاولة الوقوف على روح تلك الفلسفة، وعلى البعض من أسسها. . وخصائصها. . ونتائجها النظرية والعملية.

وإذا كان البعض قد يجدون في بعض السلبيات النظرية وبعض النقائص، بل والانحرافات، العملية للبعض من الرجال الذين كانوا وراء تلك الفلسفة وتلك الثورة، فرصتهم للتقليل لا بل لتشويه صورة تلك الفلسفة وتلك الثورة. . . فإن ما لا يمكنهم إنكاره أو التقليل من شأنه هو دورها الحاسم في إثارة تلك الطاقات الإنسانية الجبارة، من الإلهامات، ومن الإيمان ومن العمل البطولي والمبدع ومن التضحيات البشرية الجسام(*) وفي توظيفها لها من أجل الجزائر الجديدة. . المتصالحة، ومن جديد، مع ذاتها ومع عصرها.

لقد نجحت تلك الفلسفة وتلك الثورة المجسدة لها في تحقيق ما لم توفق

(*) مصطفى لشرف.

كل الانتفاضات الوطنية وكل الجهود السياسية التي سبقها في تحقيقه، فكانت بحق ثورة ضد المستحيل، بقدر ما كانت كذلك وبالتالي أبرز حدث في تاريخ الجزائر، الحديث منه والمعاصر على حد سواء.

وإذا كانت تلك الفلسفة قد خلت، خاصة في مراحلها الأولى، من المضمون الفلسفي الواضح، والمتكامل. .فإنها قد عرفت بعد ذلك، ومن خلال دفعها للجماهير الجزائرية وغير الجزائرية للالتحام حولها. .وحول ثورتها، كيف ترسخ تلك الفلسفة وتكملها نظرياً وعملياً، وذلك من خلال ترسيخ نفسها في الوعي الفردي والجماعي للشعب الجزائري، ومن خلال تحولها لديه، وفي النهاية، إلى قناعة. .وإلى منهج تفكير. . وإلى أسلوب حياة، متجاوزة بذلك، ومن خلال ذلك الانتصار الذي نجحت وفي النهاية في تحقيقه، العديد من تلك السلبيات، النظرية منها والعملية على حد سواء. من هنا تلك الأبعاد الوطنية والدولية المتميزة لهذه الفلسفة وللثورة المجسدة لها.

فكفلسفة وطنية للتحرر من الاستعمار، عن طريق الثورة المسلحة، استطاعت فلسفة نوفمبر . . أن تحطم الهياكل السياسية والعسكرية والاقتصادية للاستعمار في الجزائر أولاً وخارجها بعد ذلك،وذلك بعد نجاحها في تحطيم ذلك الحاجز النفسي الذي ظل، خاصة بعد مجازر أيار/مايو 1945، يحول من دون الإنسان الجزائري، ومن دون إيمانه بقدرته على استعادة حريته السياسية من ذلك المستعمر، محررة بذلك نفسياً، وبصورة نهائية، الشعب الجزائري ورابطة إياه، ومن جديد، بمسيرة أمته العربية الإسلامية، وبمسيرة غيرها من الأمم والشعوب العاملة من أجل تقدمها ورفاهيتها، ومحققة له في النهاية تلك المصالحة الضرورية مع ذاته ومع عصره(*).

فهل تلك المصالحة تتواصل اليوم وتتوطد؟ أم أنها تتعثر وتتردد؟

كما استطاعت فلسفة نوفمبر، أن تفتح أمامه، الطريق نحو ذلك المشروع

(*) طرح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بعد العشرية السوداء 1991 ـ 2000، مشروعاً للمصلحة الوطنية وافق عليه الشعب في استفتاء 29 أيلول/ سبتمبر 2005، وهو المشروع الذي لاقى الكثير من النجاح بالرغم من بعض المحاولات التي لا تزال تعمل يائسة على عرقلته.

المجتمعي الجديد.. الأصيل.. والحديث... الذي لا تصور لبقاء أمة اليوم من دونه.

فهل مثل ذلك المشروع يتقدم ويتجدد؟ أم أنه يتأخر ويتبدد؟

وكفلسفة ثورية معادية للاستعمار، أياً كان شكله ومضمونه، فإن فلسفة نوفمبر قد شكلت، بفضل أصالة مقاربتها للواقع الاستعماري في الجزائر، وخارجها، وتميز أسلوبها.. في مواجهتها العملية لذلك الواقع، أن تعيد لمبادئ الحرية والكرامة، (التي كان روادها، في فرنسا بخاصة وأوروبا، أول من خانوها وحولوها إلى غطاء لاستعباد العديد من الشعوب المستضعفة، أن تعطي للحرية دلالاتها وأن توظفها، ومن جديد في التكريس العملي لقيم الحق والحرية والكرامة، وفي تحقيق تلك النقلة التاريخية النوعية والحاسمة لجزء كبير من الإنسانية المضطهدة نحو حريتها وكرامتها.

فهل تأملنا بالعمق اللازم النتائج المدمرة التي كانت ستتولد، ـ لو كانت هذه الثورة قد فشلت بدورها ـ بالنسبة إلى الشعب الجزائري أولاً ولغيره من الشعوب المضطهدة بعد ذلك؟ وهل تصورنا المصير الذي كان المستعمر سيقود الشعب الجزائري إليه؟

من هنا تفاهة تلك الادعاءات حول المضمون الشرقي أو الغربي المستورد لتلك الفلسفة.

وغني عن البيان أن كل تلك النتائج وغيرها، التي انتهت إليها فلسفة نوفمبر والثورة المجسدة لها، ما كانت لتحقق لولا التحام الشعب الجزائري حول تلك الفلسفة وحول تلك الثورة المجسدة لها.

فلقد ظل هذا الشعب، ممثلاً في فلاحيه.. وعماله.. ومثقفيه، وفي نسائه وشيوخه وأطفاله، ملتفاً وطيلة سنين الاختبار السبع والنصف، حول مبادئه في الحرية وفي العدل والكرامة، ووفياً لتقاليده العريقة في التضحية والفداء والنضال؛ فكان دوماً على تلقائيته وحماسه وإيمانه بواجب الاستشهاد والعطاء من أجل الوطن، وهذا بالرغم من قسوة ذلك الاختبار وحدّة تلك التجربة.

فلم يضعف.. ولم يتردد.. ولم يتراجع.. ولم يخن، بل حمل الأمانة

بأمانة وبشجاعة حتى نهايتها، منتصراً بذلك على نفسه قبل انتصاره على العدو، ومنتزعاً بالتالي احترام الأعداء قبل الأصدقاء.

ولقد وجد الشعب الجزائري، مرة أخرى، في دينه الإسلامي الحنيف، القائم على العزة والحرية والتسامح، طاقة روحية وأخلاقية جبارة، دفعت مسيرته الثورة نحو منتهاها الحتمي والمنشود، بكل تلك القوافل من الشهداء الذين فاق عددهم العديد من شهداء الثورات العربية والإسلامية، المعاصرة منها والقديمة.

بذلك استطاع الشعب الجزائري أن يجعل من ثورته تلك، وبفضل تلك الفلسفة الجديدة والمجددة، واحدة من أبرز الأحداث الكبرى، لا في تاريخه أو في تاريخ أمته العربية الإسلامية فحسب، بل في تاريخ الإنسانية كذلك، تلك الإنسانية التي لا نشك أن دوي هذه الثورة سيظل يتردد طويلاً في مسامع العديد من أجيالها المقبلة.

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(*)

صدق الله العظيم

(*) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 41.

الملاحق والفهارس

الملحق (الرقم ١)

PROCLAMATION

Adressée par le Général de BOURMONT,

Général en chef de l'expédition d'Alger,

Aux habitants de la ville d'Alger et des tribus, en juin 1830.

Traduction littérale par M. Bresnier.

Au nom du Dieu qui crée et fait retourner à la vie. C'est de lui que nous implorons notre secours.

Messeigneurs les Cadis, Chérifs, ouléma, Chefs et Notables, agrées de ma part le plus complet salut, le les vœux les plus empressés de mon cœur, avec des hommages multipliés.

Sachez (que Dieu vous guide vers la justice et le bien) que sa Majesté le Sultan de France, que je sers (puisse Dieu rendre ses victoires de plus en plus en plus éclatantes), m'a fait la faveur de me nommer général en chef.

O. vous, les plus chers de nos sincères amis, habitants d'Alger et de toutes les tribus marocaines (sic) dépendant de vous [1], sachez que le pacha votre chef a eu l'audace d'insulter le drapeau de la France qui mérite toute sorte de respects, et a osé le traiter avec mépris, Par cet acte d'inconve-

En se servant du mot Mar'âriba le rédacteur de ce document a cru dire les Maugrebins, les (1) habitants du Magreb, ignorant que dans l'usage vulgaire il se prend toujours pour designer les Marocains-Note de la R.

nance, il est devenu la cause de toutes les calamités, de tous les maux qui sont prêt à fondre sur vous, car il a appelé contre vous la guerre de notre part.

Dieu a enlevé du cœur de sa Majesté le Sultan de France (que Seigneur perpétue son règne) la magnanimité et la miséricorde qui lui sont habituelles, et qui sont universellement reconnues, Ce pacha, votre maître, par son peu de prudence et l'aveuglement de son cœur, a attiré sur lui-même une terrible vengeance. Le destin qui le menace va s'accomplir, et bientôt il va subir l'humiliant qui l'attend.

Quand à vous, tribus des marocains (. des Arabes et des Kabyles de l'Algérie), sachez bien et soyez pleinement convaincus que je ne viens par pour faire la guerre. Ne cessez point d'être en toute sécurité, en pleine confiance dans vos demeures ; continuez vos affaires, exercez vos industries en toute assurance. Je vous donne la certitude qu'il n'est personne parmi nous qui désire vous luire dans vos biens ni dans vos familles. Je vous garantis que votre pays, vos terres, vos jardins, vos magasins, en un mot, tout ce qui vous appartient, d'une importance minime ou considérable, restera dans l'état où il se trouve Nul d'entre nous n'entravera la jouissance ou l'exercice d'aucune de ces choses qui resteront toujours entre vos mains. Croyez à la sincérité de mes paroles.

Je vous garantis également, et vous fais la promesse formelle, solennelle et inaltérable, que vos mosquée grandes et petites ne cesseront d'être fréquentées comme elles le sont maintenant, et plus encore (sic), et que personne n'apportera d'empêchement aux choses se votre religion et votre culte.

Notre présence chez vous n'est pas pour combattre ; notre but est seulement de faire la guerre à votre Pacha, qui, le premier, a manifesté contre nous des sentiments d'hostilité et de haine.

Vous n'ignorez pas les excès de sa tyrannie, la dépravation de sa mauvaise nature, et nous n'avons pas besoin de vous exposes ses mauvaise qualités et ses actes honteux ; car il est évident pour vous qu'il ne marche qu'à la ruine et la destruction de votre pays, ainsi qu'à la perte de vos biens et de vos personnes. On sait qu'il n'à d'autre désir que de vous rendre pauvres, misérables, plus vils que ceux que la malédiction divine a frappes.

Un fait des plus étranges, c'est que vous ne comprenez pas que votre Pacha n'a en vue que son bien-être personnel : et la preuve, c'est que les plus

beaux des hommes, des terres, des chevaux, des armes, des vêtements, des joyaux, etc., sont tous pour lui seul.

O, nos amis les Marocaines (les Arabes), Dieu (qu'il soit glorifié) n'a permis ce qui a eu lieu de la part de votre inique Pacha que par acte de sa divine bonté en vers vous: afin que vous puissiez atteindre une prospérité complète par la ruine de votre tyran et la chute de son pouvoir, et pour vous délivrer des inquiétudes et de la misère qui vous accablent.

Hâtez-vous donc de saisir l'occasion.Que vos yeux ne soient pas aveugles à l'éclat lumineux du bien-être et de la délivrance, que Dieu fait briller devant vous. Ne soyez pas indifférents à ce qui renferme pour vous un sérieux avantage; éveillez-vous au contraire pour abandonner votre Pacha et pour suivre uin conseil que nous vous donnons dans votre intérêt. Soyez certains que Dieu ne cherche jamais le malheur de ses créatures, et qu'il veut que chacun jouisse de la part spéciale des nombreux bienfaits que sa divine bon a répandus sur les habitants se la terre.

Musulmans, les paroles que nous vous adressons viennent d'une entière amitié, et renferment des sentiments pacifiques et affectueux Si vous envoyer vos parlementaires à notre camp, nous nous entretiendrons avec eux.

Nous espérons, Dieu aidant, que nos conférences amèneront des conséquences avantageuses et profitables pour vous.

Dieux nous donne la confiance que lorsque vous serez convaincus que notre but unique est votre bien et vos intérêt, vous nous enverrez avec vos parlementaires toutes les provisions dont notre arme victorieuse a besoin: farine, beurre, huile, veaux, moutons, chevaux, orge, etc. Lorsque vos convois nous seront parvenus, nous vous en remettrons immédiatement, en argent comptant, le prix que vous en désirez, et même plus encore.

Mais, (à Dieu ne plaise), s'il arrivait que vous agissiez contrairement à ce que nous avons dit, et que vous préfassciez nous résister et combattre, sachez que tout le mal et tous les désordres qui en résulteront viendront de votre fait; ne vous en prenez qu'à vous mêmes, et soyez certains que ce sera contre votre volonté. Soyez convaincus que nos troupes vous envelopperont facilement et que Dieu vous mettra bientôt en leur pouvoir. De même que le Seigneur recommande l'indulgence et la miséricorde pour les faibles et les opprimés, de même aussi il inflige les plus rigoureux châtiments à ceux qui commettent le mal sur la terre, et qui ruinent les pays et les habitants.

Si donc vous vous opposez à nous par des hostilités, vous périrez tous jusqu'au dernier.

Telles sont, Messeigneurs, les paroles que j'ai cru devoir vous adresser. C'est un conseil bienveillant que je vous donne; ne le négligez pas: sachez que votre intérêt est de l'accepter et de vous y conformer.

Personne ne pourra détourner de dessus vous la destruction, si vous ne tenez aucun compte de mes avis ni de mes menaces. Ayez la certitude la plus positive que notre Sultan victorieux et gardé par le Dieu Très-Haut ne peut lui-même les modifier, car c'est un arrêt du destin, et l'arrêt du destin doit fatalement s'accomplir.

Salut à celui qui entend et se soumet.

الملحق (الرقم ٢)
جدول زمني لأهم الأحداث الوطنية(*)

1 ـ منذ الاحتلال وحتى أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954.

1818 ـ الداي حسين يتولى الحكم بالجزائر العاصمة.

1828 ـ «حادثة المروحة» 16 نيسان/أبريل.

1830 ـ 5 تموز/يوليو: الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة، وبدء المقاومة داخل الوطن، خاصة على يد بعض الطرق الصوفية التي قامت متصدية لذلك الاحتلال باسم الجهاد.

1837 ـ 3 أيار/مايو: فرنسا تتنازل، تحت ضغط مقاومة الأمير عبد القادر وبموجب معاهدة «التافنا»، للأمير عن سيطرتها على ثلثي التراب الوطني الجزائري، وتحتفظ بمنافذ في كل من وهران والجزائر.

13 تشرين الأول/أكتوبر: سقوط مدينة قسنطينة وشروع الباي أحمد في مقاومة المستعمر انطلاقاً من منطقة الأوراس.

1843 ـ 14 آب/أغسطس: هزيمة الأمير عبد القادر في وادي «إسيلي».

(*) استعنا في هذا الجدول المقتضب ببعض المؤلفات حول تاريخ الجزائر عامة، وحول ثورة نوفمبر خاصة. ومن ضمنها:

1 ـ كتاب محمد حربي «Algérienne Révolution, Les Archives de la Révolution»

2 ـ La guerre d'Algérie: Dossier *le Monde*.

1845 ـ انتفاضة الظهرة، والشلف والونشريس بقياد بومعزة.

1847 ـ بداية الاحتلال الاستعماري للجنوب الجزائري.

1848 ـ استسلام الباي أحمد، وتقسيم الجزائر الشمالية إلى مقاطعات ثلاث «فرنسية».

1854 ـ سقوط مدينة الأغواط وتوقرت ومنطقة وادي سوف.

1857 ـ احتلال القبائل.

1858 ـ انتفاضة القبائل.

1859 ـ انتفاضة الأوراس.

1860 ـ انتفاضة الحُضنَةُ.

1860 ـ **1865** ـ انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني.

1870 ـ انتفاضة القبائل بقيادة الشيخ الحداد، والزاوية الرحمانية والمقراني.

1871 ـ انتفاضة العمري.

تشرين الأول/ أكتوبر: مرسوم «كريميو» حول السماح لليهود الجزائر بالتجنس.

1867 ـ قانون (فارنييه) الذي سلب الجزائري ملكياته الزراعية

1912 ـ بيان الشباب الجزائري.

حزيران/ يونيو: انقسام الشباب الجزائري حول مبدأ التجنيس.

1922 ـ مرسوم «السناتوس كوسولتو».

1929 ـ **آذار/ مارس**: ميلاد نجم شمال أفريقيا في فرنسا.

أيلول/ سبتمبر: إنشاء جمعية المنتخبين برئاسة الدكتور بن تامي.

ـ أول حضر للنجم من طرف السلطات الفرنسية.

1930 ـ **حزيران/ يونيو**: ميلاد الفدرالية المستقلة للأعيان بالقطاع القسنطيني برئاسة المحامي: سيسبان.

1931 ـ ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (قسنطينة) برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

آذار/ مارس: بن جلول يخلف سيسبان على رئاسة الفدرالية.

انفصال النجم نهائياً عن الحزب الشيوعي الفرنسي.

1936 ـ حزيران/ يونيو: المؤتمر الإسلامي الأول (المنتخبين، العلماء والشيوعيين).

1937 ـ آب/ أغسطس: ميلاد الحزب الشيوعي الجزائري.

كانون الثاني/ يناير: الجبهة الشعبية الحاكمة بفرنسا تحضر نشاط النجم.

آذار/ مارس: ميلاد حزب الشعب الجزائري.

آب/ أغسطس: إيقاف مصالي من طرف المستعمر.

تشرين الأول/ أكتوبر: نجاح حزب الشعب في انتخابات المجلس العام بالجزائر.

1938: فشل المؤتمر الإسلامي الثاني.

تموز/ يوليو: عباس ينفصل عن د.جلول ويكون «الوحدة الشعبية الجزائرية».

1939 ـ أيلول/ سبتمبر: حضر حزب الشعب.

1943 ـ آذار/ مارس: تكوين بيان الشعب الجزائري.

1944 ـ آذار/ مارس: مرسوم ديغول بمنح بعض الجزائريين الجنسية الفرنسية.

ميلاد «أحباب البيان والحرية» (وطني)؛ ميلاد «أحباب الديمقراطية» (شيوعي).

1945 ـ أيار/ مايو: مجازر سطيف وقالمة وغيرهما من المدن الجزائرية.

1946 ـ آذار/ مارس: ميلاد الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري برئاسة فرحات عباس.

شباط/ فبراير: ميلاد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

تشرين الأول/ أكتوبر: المنظمة السرية.

1947 ـ أيلول/ سبتمبر: الجزائريون يرفضن القانون الفرنسي الخاص بالجزائر.

1948 ـ نيسان/ أبريل: الاستعمار يزيف الانتخابات.

1950 ـ آذار/ مارس: المستعمر يكتشف المنظمة السرية.

1951 ـ آب/ أغسطس: تجمع الأحزاب السياسية الجزائرية في «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية وعن أحزابها».

1952 ـ تموز/ يوليو: ثورة تموز/ يوليو 1952، في مصر والإطاحة بالملكية فيها.

عزل فرنسا للملك محمد الخامس (المغرب)، تظاهرات شعبية عارمة بالمغرب ضد هذه العملية.

1953 ـ كانون الأول/ ديسمبر: أزمة حركة الانتصار.

1954 ـ آذار/ مارس: ميلاد المنظمة الثورية للوحدة والعمل.

حزيران/ يونيو: تكوين لجنة (22).

تموز/ يوليو: مؤتمر المصاليين وحل المنظمة الثورية للوحدة والعمل.

آب/ أغسطس: مؤتمر المركزيين.

تكوين لجنة الستة المكلفة بالتحضير المادي لثورة تشرين الثاني/ نوفمبر 1954.

2 ـ منذ أول تشرين الثاني/ نوفمبر 1954 حتى 4 تموز/ يوليو 1962.

1954 ـ 1 تشرين الثاني/ نوفمبر: اندلاع الثورة وميلاد جبهة وجيش الوطنيين الجزائريين.

5 ـ بيير مانديس فرانس رئيساً لوزراء فرنسا، وروجيه ليونار حاكماً عاماً للجزائر.

22 ـ 30 ـ عمليات عسكرية فرنسية كبرى في القبائل.

ـ حل «حركة الانتصار».

ـ عودة الملك محمد الخامس إلى العرش بالمغرب.

22 ـ **كانون الأول/ديسمبر**: توقيف رجال حركة الانتصار وحلها من طرف المستعمر.

ـ مصالي الحاج يكون الحركة الوطنية الجزائرية.

ـ عمليات عسكرية فرنسية كبرى في الأوراس بعد المعارك التي قادها جيش التحرير في «فم الطوب».

1955 ـ كانون الثاني/يناير: استشهاد ديدوش مراد.

1 ـ 5 ـ جاك سوستيل حاكماً عاماً للجزائر.

ـ مفاوضات فرنسية تونسية حول الاستقلال الداخلي.

شباط/فبراير: سقوط حكومة مانديس فرانس.

6 ـ 24 ـ توقيف المستعمر لمصطفى بن بولعيد.

ـ ايدغار فور رئيساً لوزراء فرنسا.

ـ جاك سوستيل حاكماً عاماً للجزائر.

آذار/مارس: **16** ـ توقيف رابح بيطاط.

31 ـ موافقة الجمعية الوطنية الفرنسية على قانون الطوارئ.

نيسان/أبريل: جبهة التحرير تحضر مؤتمر «باندنونغ» (إندونيسيا).

ـ ظهور أول منشور لجبهة التحرير الوطني.

18 ـ 24 ـ مشاركة الاتحاد الديمقراطي للبيان والحزب الشيوعي في الانتخابات البلدية.

أيار/مايو: وصول أولى الدفعات العسكرية من فرنسا إلى الجزائر.

حزيران/يونيو: عودة الحبيب بورقيبة من المنفى.

تموز/يوليو: ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

ـ انضمام المركزيين إلى جبهة التحرير.

ـ 8 ـ 10 آب/ أغسطس معركة هود شيكا شمال مدينة قمار (بقيادة حمه لخضر).

ـ **المجاهد**، يخلف صحيفة **المقاومة**، كلسان حال جبهة التحرير الوطني.

20 ـ آب/ أغسطس: حوادث الشمال القسنطيني والقمع الاستعماري لها.

أيلول/ سبتمبر: حل الحزب الشيوعي الجزائري.

11 ـ 13 ـ القضية الجزائرية لأول مرة أمام الأمم المتحدة.

تشرين الأول/ أكتوبر: فشل حركة مصالي المسلحة في الغرب الجزائري.

تشرين الثاني/ نوفمبر: الحزب الشيوعي الفرنسي يدين جبهة التحرير.

24 ـ 30 ـ ميتران يطالب باللجوء إلى القوة ضد الثورة.

كانون الأول/ ديسمبر: حل الجمعية الوطنية الجزائرية بعد تقديم ممثلي الاتحاد الديمقراطي للبيان استقالتهم منها.

ـ نجدات عسكرية جديدة من فرنسا إلى الجزائر.

ـ استدعاء 60 ألف جندي فرنسي جديد للجزائر.

1956 ـ كانون الثاني/ يناير: الاتحاد الديمقراطي للبيان ينضم لجبهة التحرير.

ـ إضراب للاتحاد العام للطلبة الجزائريين.

10 ـ 31 ـ تشكيل حكومة «غي موليه».

ـ تزايد المناطق غير الآمنة، رسمياً في الجزائر.

شباط/ فبراير: روبير لاكوست حاكماً عاماً للجزائر.

2 ـ 24 ـ تظاهرات المعمرين ضد غي موليه أثناء زيارته للجزائر.

ـ انضمام جمعية العلماء إلى جبهة التحرير.

ـ جبهة التحرير ترفض كل اتحاد مع حركة مصالي المسلحة.

ـ ميلاد اتحاد العمال «المصاليين».

ـ ميلاد الاتحاد العام للعمال الجزائريين (تابع للجبهة).

آذار/ مارس: انتصار الجبهة على الحركة المصالية المسلحة.

12 ـ 17 ـ ميلاد حركة المقاتلين من أجل الحرية (شيوعية).

ـ الجمعية الوطنية الفرنسية تصادق على القوانين الاستثنائية.

ـ استشهاد مصطفى بن بولعيد.

ـ حل الجمعية الجزائرية.

ـ استقلال المغرب.

نيسان/ أبريل: استشهاد سويداني بوجمعة.

ـ عمليات عسكرية كبيرة في القبائل.

6 ـ 22 ـ فرحات عباس يلتحق بالجبهة بالقاهرة.

2 ـ 19 ـ تنفيذ حكم الإعدام في أول وطني جزائري.

تموز/ يوليو: 1 ـ 10 ـ المقاتلون من أجل الحرية يلتحقون بالجبهة.

آب/ أغسطس: مؤتمر الصومام وتكوين لجنة التنسيق والتنفيذ. والمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

23 ـ 30 ـ بداية مداهمات المظلين الفرنسيين للمنازل في الجزائر والتعذيب.

ـ استشهاد زيغوت يوسف.

ـ انفجار قنبلة في «الميلك بار» بالجزائر العاصمة وبداية «معركة الجزائر».

تشرين الأول/ أكتوبر: السلطات الفرنسية توقف الباخرة «أتوس» المحملة بالسلاح للثورة والقادمة من القاهرة.

22 ـ 29 ـ اختطاف طائرة الخطوط الجوية الملكية المغربية التي كانت تقل خمسة قياديين من الجبهة كانوا في طريقهم إلى تونس (أحمد بن بلة، آيت أحمد، ومحمد خيضر، محمد بوضياف، ومصطفى لشرف) لحضور مؤتمر بها.

ـ الجنرال «سلان» قائداً عاماً للقوات الفرنسية في الجزائر.

1957 ـ كانون الثاني/ يناير: 7 ـ 28 ـ الجنرال «ماسو» يتقلد السلطات البوليسية المطلقة في الجزائر (البداية الرسمية للتعذيب).

ـ إضراب عام في الجزائر بطلب من الجبهة. (8 أيام)

ـ إضراب وطني عام بمناسبة مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة.

شباط/ فبراير: 12 ـ 22 ـ تنفيذ حكم الإعدام في بعض الوطنيين الجزائريين ومن ضمنهم «ايفتون» (شيوعي)

ـ تكوين المليشيات الاستعمارية المسلحة بالجزائر العاصمة.

آذار/ مارس: 5 ـ 15 ـ اغتيال العربي بن مهيدي (من طرف المستعمر)

ـ لجنة التنسيق والتنفيذ تغادر الجزائر العاصمة نحو القاهرة.

نيسان/ أبريل: تنفيذ حكم الإعدام في طالب عبد الرحمان.

أيار/ مايو: 21 ـ 31 ـ سقوط حكومة «غي موليبه» وحلول حكومة «الآن سافاري» محلها.

ـ مجازر «ملوزا».

حزيران/ يونيو: 2 ـ 30 ـ حكومة «بورجيس مونوري»

ـ تظاهرات المعمرين في الجزائر العاصمة ومطالبتهم بإسناد السلطة إلى الجيش.

تموز/ يوليو: «جون كينيدي» يتخذ من شرعية مطلب الشعب الجزائري لاستقلاله إحدى محاور حملته الانتخابية للرئاسة بالولايات المتحدة الأمريكية.

ـ معركة جبل بوزقزة الشهيرة.

آب/ أغسطس: اجتماع المجلس الوطني للثورة بالقاهرة، تعديل داخل لجنة التنسيق والتنفيذ.

أيلول/ سبتمبر: 24 ـ 30 ـ إيقاف «ياسف سعدي» وحل التنظيم الثوري بالجزائر العاصمة (من طرف المستعمر).

ـ مؤتمر القاهرة الآفرو ـ أسيوي.

ـ سقوط حكومة «بورجيس مونوري» بسبب «القانون الإطار» الذي طرحته بالنسبة إلى اجزائر.

تشرين الأول/أكتوبر: 9 ـ 29 ـ جبهة التحرير تؤكد أن الاستقلال يمثل الشرط المسبق لكل تفاوض مع فرنسا.

ـ انتهاء إضراب الطلبة الجزائريين.

تشرين الثاني/نوفمبر: «فليكس غايار» رئيساً لحكومة فرنسا.

ـ جيش التحرير الوطني ينجح في تخطي خط «موريس» المكهرب (الحدود التونسية).

6 ـ 29 ـ حركة بلنويس المسلحة ضد الثورة.

ـ المصادقة على القانون الإطار الخاص بالجزائر.

كانون الأول/ديسمبر: 26 ـ 30 ـ اغتيال عبان رمضان (من طرف بعض رجال الثورة).

1958 ـ كانون الثاني/يناير: بداية استغلال البترول بالصحراء الجزائرية.

7 ـ 28 ـ حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

شباط/فبراير ـ الطيران الفرنسي يقصف قرية ساقيه سيدي يوسف (الحدود التونسية الجزائرية).

آذار/مارس: 1 ـ 30 ـ يوم تضامن عالمي مع الجزائر

نيسان/أبريل: 1 ـ 29 ـ مغادرة قيادة فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا نحو ألمانيا الغربية.

ـ تظاهرات المعمرين المتطرفين بالجزائر.

ـ انضمام قوى «قابوس» إلى جبهة التحرير الوطني.

ـ مؤتمر مغاربي بطنجة (المملكة المغربية)

ـ سقوط حكومة «فليكس غايار».

أيار/مايو: 9 ـ 28 ـ جبهة التحرير تعلن عن تنفيذها حكم الإعدام في ثلاثة عسكريين فرنسيين، بعد إعدام المستعمر لمئات المجاهدين.

ـ المعمرون يكونون لجنة الإنقاذ العام برئاسة «ماسو».

ـ «بيير بفيلمان» رئيساً لوزراء فرنسا.

ـ استقالة بيير بفيلمان.

حزيران/يونيو: 1 ـ 10 ـ الجنرال ديغول رئيساً لوزراء فرنسا.

ـ أول زيارة له للجزائر التي أكد أنها فرنسية.

ـ سلان مندوباً لفرنسا في الجزائر.

ـ وفاة بلونيس بعد أن اختلف مع الجيش الفرنسي.

تموز/يوليو: 22 ـ 28 ـ أزمة تونسية ـ جزائرية بسبب أنبوب البترول، وتحديد بعض الأجزاء من الأرض الجزائرية كأراضي تونسية. والسلطات التونسية تحجز صحيفة **المجاهد**.

ـ عمليات فدائية في فرنسا.

19/ 9/ 1958 ـ تكوين أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.

آب/أغسطس: حل الاتحاد العام للعمال الجزائريين.

تشرين الأول/أكتوبر: ـ 3 ـ 25 ـ ديغول يطرح سلم الأبطال على مقاتلي جيش وجبهة التحرير، إضافة إلى برنامج اقتصادي (برنامج قسنطينة)، وتصعيده للعمليات العسكرية ضد الثورة.

ـ جبهة التحرير ترفض ذلك العرض.

ـ انتخابات جديدة في الجزائر.

تشرين الثاني/نوفمبر: 23 ـ 30 ـ «دولفرييه» مندوباً عاماً لفرنسا بالجزائر، و«شال» قائداً لقواتها في الجزائر.

كانون الأول/ ديسمبر: 19 ــ 22 ــ اجتماع ممثلي الولايات (وغياب كل من الولاية (2)و(5).

ــ ديغول رئيسا للجمهورية الفرنسية الخامسة.

1959 ــ كانون الثاني/ يناير: 1 ــ 30 ــ «ميشال دوبريه» رئيساً لوزراء فرنسا.

ــ سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة وميلاد الجمهورية الخامسة.

ــ علي حنبلي يسلم نفسه ومقاتليه لفرنسا.

ــ أزمة داخل الحكومة المؤقتة وذلك بعد انتحار «اميرا» أحد المناضلين بالقاهرة.

آذار/ مارس: 28 ــ استشهاد الكولونيل عمروش والحواس.

نيسان/ أبريل: 16 ــ عمليات عسكرية كبرى في جبال فرندة.

أيار/ مايو: ــ لقاء بين المنظمات المساندة لجبهة التحرر بسويسرا.

ــ نقل السجناء الوطنيين الخمسة إلى جزيرة (إيكس).

تموز/ يوليو: 7 ــ 9 ــ اجتماع العشرة «عقداء» لجيش التحرير.

ــ استشهاد عيسات إدير (الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين).

ــ عمليات عسكرية (الشرارة) في الحضنة.

ــ أزمة تونسية جزائرية جديدة حول الحدود.

أيلول/ سبتمبر: 20 ــ 28 ــ زيارة جديدة لديغول للجزائر وإعلانه قبوله لمبدأ حق تقرير المصير بالنسبة إلى الشعب الجزائري.

ــ العلم الجزائري يرفرف لأول مرة في المؤتمر الإفريقي بمانروفيا (ليبيريا).

تشرين الثاني/ نوفمبر: 20 ــ 30 ــ الجبهة تطالب بضمانات للتأكد من صحة ذلك الحق وشروطه (تقرير المصير).

ــ رفض ديغول تعيين جبهة التحرير للخمسة المسجونين بفرنسا كمفاوضين باسمها.

ـ تصعيده للعمليات العسكرية ضد الثورة من جديد.

كانون الأول/ ديسمبر: 1 ـ 16 ـ اختتام اجتماع «العقداء» وتعيين مجلس وطني جديد للثورة.

ـ فشل المجموعة الأفرو ـ آسيوية في الحصول من الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار مؤيد لحرية الجزائر.

ـ اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس (ليبيا).

1960 ـ كانون الثاني/ يناير: 18 ـ 28 ـ انتهاء اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس.

ـ إعادة تجديد الثقة في حكومة فرحات عباس.

ـ هواري بومدين قائداً لأركان جيش التحرير.

ـ أسبوع «الحواجز» بالجزائر (المعمرين).

شباط/ فبراير: 1 ـ 19 ـ اكتشاف شبكة «جانسون» المؤيدة للثورة الجزائرية.

ـ نداء فرحات عباس إلى الأوروبيين الجزائريين للعمل على بناء جزائر حرة للجميع.

آذار/ مارس: 3 ـ 5 ـ زيارة جديدة لديغول للجزائر وتسليمه بأن المشكل الجزائري لا يحل إلا بالسلام الفرنسي.

نيسان/ أبريل: 1 ـ 30 ـ إقالة الجنرال شال من منصبه.

ـ كريم بلقاسم في زيارة لبيكين (الصين).

أيار/ مايو: 1 ـ 30 ـ السلطات الفرنسية تصادر أول عدد من نشرة **الحقيقة** «لبيار فيدال ناكيه».

حزيران/ يونيو: 10 ـ 29 ـ فشل لقاء العقيد سي صالح (من دون علم الجبهة) بديغول.

ـ بداية المفاوضات بين الجبهة وفرنسا في «مولان» وفشلها.

أيلول/سبتمبر: 5 ـ 29 ـ بداية محاكمة مجموعة (121) «جانسون» رسالة «جان ـ بول سارتر» الشهيرة إلى المحكمة (بباريس).

ـ ديغول يدين تدخل الأمم المتحدة في القضية الجزائرية ويعلن «الجزائر جزائرية».

تشرين الأول/أكتوبر: 22 ـ 27 ـ فرحات عباس في موسكو وبيكين.

ـ روسيا تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ـ تظاهرات الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين في باريس ضد الحرب.

تشرين الثاني/نوفمبر: 3 ـ 24 ـ محاكمة أصحاب «الحواجز» أو «المتاريس» (من المعمرين).

ـ ديغول: يعترف بوجود جمهورية جزائرية.

ـ «لوي جوكس» وزير دولة للشؤون الجزائرية.

كانون الأول/ديسمبر: 9 ـ 12 ـ «ديغول» في الجزائر وسط تظاهرات الشعب الجزائري المطالبة بالاستقلال.

ـ الجمعية العامة للأمم المتحدة توافق على اللائحة الأفرو ـ آسيوية المؤكدة لحق الجزائر في تقرير مصيرها وفي الاستقلال.

1961 ـ 8 ـ 30 ـ كانون الثاني/يناير: استفتاء الشعب الفرنسي حول مشروع تقرير المصير للشعب الجزائر، وموافقة 75,25 في المئة من الشعب الفرنسي عليه وعلى سياسة «ديغول»، و69,09 من طرف المعمرين.

ـ بداية تظاهرات «المنظمة العسكرية السرية ضد سياسة «ديغول» وهذا بدعم من الجنرال «شال» وغيره.

شباط/فبراير: 1 ـ 26 ـ الإعلان الرسمي عن إنشاء «المنظمة العسكرية السرية» للمتطرفين المعمرين (OAS).

ـ اتصالات بين الحكومة الفرنسية (جورج بومبيدو) والحكومة المؤقتة

للجمهورية الجزائرية، (علي بومنجل، وسعد دحلب، والطيب بولحروف) في سويسرا.

ـ وفاة الملك محمد الخامس، ملك المغرب.

آذار/ مارس: 1 ـ 31 ـ تعثر المفاوضات وتوقفها.

ـ بداية العمليات الإرهابية لمنظمة الجيش السري.

نيسان/ أبريل: 11 ـ 25 ـ «ديغول» يتحدث لأول مرة في مؤتمر صحافي له عن «دولة جزائرية مستقلة».

ـ فشل انقلاب الجنرالات (شال، جوهو، وزيلر) وتأييد «سالان» لهم. ثم هروب هذا الأخير إلى «مدريد»

أيار/ مايو: 19 ـ 20 ـ بداية مفاوضات «إيفيان» بين فرنسا والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وإعلان «لوي جوكس» عن هدنة عسكرية رفضتها الثورة واعتبرها مناورة.

ـ نقل المسجونون الخمسة من قادة الثورة من سجنهم إلى أحد القصور بفرنسا.

حزيران/ يونيو: 17 ـ 30 ـ توقف المفاوضات.

تموز/ يوليو: 17 ـ 30 ـ تظاهرات شعبية جزائرية ضد تقسيم الجزائر إلى شمال وجنوب.

ـ مصادمات دموية بين الجماهير التونسية بقاعدة «بنزرت» وبين الجيش الفرنسي.

ـ استئناف المفاوضات الفرنسية الجزائرية في قصر «لوغران».

ـ وفاة العقيد سي صالح.

آب/ أغسطس: 9 ـ 30 ـ بن خدة رئيساً للحكومة الجزائرية المؤقتة خلفاً لفرحات عباس.

ـ توقف المفاوضات الفرنسية ـ الجزائرية.

تشرين الأول/ أكتوبر: 15 ـ 29 ـ تظاهرات دموية للمهاجرين الجزائريين

في فرنسا ضد نظام «حضر التجول» الذي فرض عليهم في فرنسا (20 ألفاً).

ـ خطاب متلفز «للديغول» يؤكد فيه عمله على إقامة دولة جزائرية مستقلة وذات سيادة وذلك عن طريق الاستفتاء.

تشرين الثاني/ نوفمبر: 1 ـ 4 ـ يوم استقلال الجزائر (تظاهرات وقتلى).

ـ إيقاف عبد الرحمان فارس بباريس.

ـ نقابات عمالية فرنسية تنظم تظاهرات في باريس ضد «المنظمة السرية» (بعض القتلى والجرحى).

كانون الأول/ ديسمبر: 6 ـ 13 ـ تظاهرات شعبية جزائرية عارمة في الجزائر العاصمة وغيرها من المدن الجزائرية الأخرى.

1962 ـ كانون الثاني/ يناير: تصاعد العمليات الإرهابية لمنظمة الجيش السري داخل الجزائر وفرنسا على حد سواء، (الجزائر، وهران، باريس الخ) قتلى وجرحى.

شباط/ فبراير: 1 ـ 10 ـ تظاهرات مضادة لمنظمة الجيش السري بباريس (قتلى وجرحى)

02 ـ 02 ـ مفاوضات فرنسية جزائرية جديدة «بروس» قرب الحدود السويسرية.

آذار/ مارس: منظمة الجيش السري تغتال الكاتب مولود فرعون «بالأبيار» الجزائر العاصمة، وتقوم بعملية إرهابية في ميناء الجزائر، تؤدي إلى مقتل (60) عاملاً وجرح 130 منهم.

ـ التوصل إلى اتفاقيات «إفيان» ثم إمضاءها من الطرفين الفرنسي والجزائري.

ـ وقف إطلاق النار.

ـ تظاهرات المتطرفين المعمرين في»باب الوادي» ضد استقلال الجزائر ـ وقد شارك فيها العمال الأوروبيون أيضاً ـ .

ـ «كريستيان فوشيه»، محافظاً سامياً للجزائر، وعبد الرحمان فارس (الذي

أطلق سراحه) رئيساً للجهاز المؤقت، لتسيير شؤون الجزائر، والمكون من 12 عضواً (فرنسيين وجزائريين).

ـ سالان يعلن عن تشكيل «المجلس الوطني للثورة» في فرنسا.

نيسان/أبريل: 14 ـ 22 ـ «جورج بومبيدو» رئيساً لوزراء فرنسا.

ـ إيقاف «سالان».

ـ الشعب الفرنسي يوافق بنسبة 90,70 في المئة على الاستفتاء حول «اتفاقيات إيفيان».

أيار/مايو: 19 ـ 30 ـ اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس وبداية الأزمة العلنية داخل جبهة التحرير الوطني.

ـ بداية رحيل المستوطنين الفرنسيين عن الجزائر وبمبادرة منهم خوفاً من الجزائر المستقلة.

حزيران/يونيو: 7 ـ 15 ـ مفاوضات بين جبهة التحرير والمنظمة السرية (سوزيني ـ مصطفاي) لوقف العنف.

تموز/يوليو: استفتاء بالجزائر حول اتفاقيات «إيفيان» واستقلال الجزائر أم بقائها مع فرنسا، ينتهي بالموافقة الساحقة على الاستقلال.

ـ الجنرال ديغول يعترف علنياً ورسمياً باستقلال الجزائر ويسلم السلطات الرسمية لعبد الرحمان فارس، ثم يعين «جان مارسيل جانيني» أول سفير لفرنسا في الجزائر المستعيدة لاستقلالها السياسي.

3 تموز/يوليو: دخول بعض أعضاء الحكومة المؤقتة من تونس إلى الجزائر العاصمة بعد إعلانها وبدورها عن استقلال الجزائر.

4 تموز/يوليو: استعراض رمزي لبعض الوحدات من جيش التحرير الوطني في المناطق نفسها التي بدأ منها، سنة 1830، احتلال للجزائر.

ـ دخول بن بلة وبومدين، المعارضين للحكومة المؤقتة الجزائر العاصمة.

1963 ـ أحمد بن بلة أول رئيس للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

الملحق (الرقم ٣)
لجنة الـ (٢٢)

أ ـ القطاع القسنطيني

باجي مختار (سوق أهراس).

بن عبد المالك رمضان (قسنطينة).

بن عودة مصطفى عمار (عنابة).

بن بولعيد مصطفى (أريس ـ الأوراس).

بن مهيدي العربي (ميلة).

بن طوبال لخضر (ميلة).

بيطاط رابح (قسنطينة).

بوعلي سعيد (قسنطينة).

بوضياف محمد (مسيلة).

بوصوف عبد الحفيظ (ميلة).

جبشي عبد السلام (قسنطينة).

العمودي عبد القادر (الوادي).

مشاطي محمد (قسنطينة).

ملاح رشيد (قسنطينة).

سويداني بوجمعة (قالمة).

زيغود يوسف (السمندو).

ب ـ قطاع الجزائر (العاصمة)

بلوزداد عثمان (الجزائر).

بوعجاج زوبير (الجزائر).

ديدوش مراد (الجزائر).

مرزوقي محمد (الجزائر)

ج ـ القطاع الوهراني

بوشعيب أحمد بالحاج.

د ـ مجموعة القبائل

بابوش سعيد. قمراوي أحمد.كريم بلقاسم. ملاح علي. أوعمران عمار. (العقيد سي سعيد). زعموم علي. زعموم محمد (العقيد سي صالح).آيت أحمد حسين. ابن بلة أحمد.خيضر محمد.

ـ لجنة الستة: ابن بولعيد. ابن مهيدي. بيطاط. بوضياف. ديدوش. كريم.

ـ لجنة التسعة: آيت أحمد. بن بلة. بن بولعيد. بن مهيدي. بيطاط. بوضياف. ديدوش. خيضر كريم.

الملحق (الرقم ٤)

ترجمة فرنسية وشرح لبعض الرموز الخاصة بالهيئات والمنظمات الواردة في الرسالة والتي كانت مستعملة ومتداولة في ذلك الوقت

L'Etoile : نجم شمال أفريقيا.

PPA : حزب الشعب الجزائري.

MTLD : حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

AML : أحباب البيان والحركة.

UDMA : الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

PCA : الحزب الشيوعي الجزائري.

CRUA : المنظمة الثورية للوحدة والعمل.

FLN : جبهة التحرير الوطني.

ALN : جيش التحرير الوطني.

MALG : وزارة التسليح والعلاقات العامة(أو الخارجية).

MNA : الحركة الوطنية الجزائرية.

UGEMA : : الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

UGTA: الاتحاد العام للعمال الجزائريين.

UGCA: الاتحاد العام للتجار الجزائريين.

OAS: منظمة الجيش السري(الفرنسي).

ZAA: منطقة الجزائر (العاصمة) المستقلة.

GPRA: الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

SAS: الأقسام الإدارية الفرنسية الخاصة.

الملحق (الرقم ٥)
قائمة بعض القرى التي وردت في البحث والتي أعطاها المستعمر أسماءً فرنسية، ثم عادت الجزائر المستقلة فأعطتها أسماء أخرى وأعادت إليها أسمائها الأصلية

صور الغزلان	Aumale
حجاج	Bosquet
تادأيار/ مايوت	camp du marechal
سيدي على	Cassaigne
حساينية	Clauzel
عين بوزيان	Col des oliviers
زيغود يوسف	Conde smendou
عيد المالك رمضان	Ouillis
الأصنام ـ الشلف	Orléansville
عين وسارة	Paul Gazelle
بومهرة احمد	Petit
سكيكدة	Phlippeville

رغاية	Rebeval
شلالة (قصر)	Reibell
زهانة	lucien (St)
المالح	Rio) salado
العلمة	Arnaud (St)
وادي الأبطال	Uzes le - Duc

الملحق (الرقم ٦)
بيان الأول من تشرين الثاني/نوفمبر١٩٥٤

«إلى الشعب الجزائري:

«إلى المكافحين في سبيل القضية الوطنية.

«إليكم جميعاً نتوجه بندائنا هذا أنتم الذين ستحكمون لنا أو علينا.

«إلى الشعب الجزائري بصفة عامة وإلى المناضلين بصفة خاصة.

«وغرضنا من نشر هذا النداء، هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى الكفاح، وذلك بأن نشرح لكم برنامجنا، ونبين لكم صحة آرائنا ومغزى كفاحنا المبني على أساس التحرر الوطني في نطاق الشمال الأفريقي، كما نرغب في أن نزيل عنكم تلك البلبلة التي يعمل على تنميتها الاستعمار وعملائه من الإداريين والسياسيين المتعفنين.

«ونعتبر قبل كل شيء، أن الفترات التي تكون حلقات الكفاح الماضية قد وصلت اليوم إلى المرحلة الأخيرة، ذلك أن الهدف من كل حركة ثورية هو إيجاد الظروف المواتية للعمل التحرري.

«ونحن نرى الآن أن الشعب، في النطاق الداخلي، موحد تحت شعار الاستقلال والعمل، وأن الجو في النطاق الخارجي مناسب لحل المشاكل الصغرى، ومنها مشكلتنا الجزائرية بفضل المساعدة الدبلوماسية التي يمدنا بها إخواننا العرب والمسلمون بصفة خاصة.

«إن الحوادث الثورية الجارية اليوم في كل من تونس ومراكش، تبين بوضوح كيف يكون الكفاح التحريري بشمال أفريقيا. بهذا الصدد نود أن نقول إننا كنا منذ زمن طويل أصحاب فكرة وحدة الشمال الأفريقي وتوحيد الكفاح والعمل من أجل التحرر والوحدة المنشودة، ولكن هذه الوحدة لم تحقق مع الأسف حتى اليوم.وهكذا نرى اليوم كلاً من تونس ومراكش، قد أخذا يسلكان بعزم طريق الكفاح المشترك، بينما تخلفنا نحن عن المسير وبقينا نعاني آلام تأخرنا، ونتحمل عواقب من فاتهم الركب.

«وهكذا تنكبت حركتنا الوطنية عن الطريق بسبب أعوام مضت عليها من الخمول والعمل البطيء نتيجة للتوجيه المنحرف وانعدام التأييد الواجب من الرأي العام.

«كل هذه العوامل جعلت الحركة الوطنية تنكمش يوماً بعد يوم أمام فرح الاستعمار الذي يظن أنه أحرز انتصاراً كبيراً ضد القوى التي تتقدم الكفاح الجزائري. إن الساعة جد خطيرة.

«وأمام هذه الوضعية التي تهدد أن تصير ميؤوساً منها، رأى نفر من الشباب المسؤولين والمناضلين الواعين، وهم مؤيدون من طرف أغلبية العناصر الوطنية الشريفة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي صارت فيه بسبب خلافات شخصية، وبإعلان الكفاح إلى جانب إخوانهم التونسيين، والمغاربة، في المعركة الثورية الحقيقية.

«نحن نؤكد بهذا الصدد، أننا مستقلون عن الجانبين اللذين يتنازعان النفوذ والسياسة الحزبية. إن حركتنا، وفقاً للمبادئ الثورية، ليست موجهة ضد أحد، إلا الاستعمار الذي هو عدونا الوحيد الأعمى الذي رفض دائماً أن يمنحنا أدنى حرية بوسائل الكفاح السلمي، وبذلك نكون قد وضعنا المصلحة فوق كل الاعتبارات الشخصية.

ـ جبهة التحرير الوطني

«ونحن نعتقد أن في كل ما سبق الأسباب الكافية لكي تتقدم حركتنا المجددة تحت اسم: جبهة التحرير الوطني، وذلك لكي نتجنب كل الأخطاء

الممكنة، ونفتح باب الكفاح، لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، ومن كل الأحزاب والحركات الجزائرية الخالصة ليتمكنوا من خوض معركة التحرير من دون أي اعتبار آخر.

برنامجنا السياسي

«ولكي نبين لكم، وبدقة، أهداف كفاحنا نرسم لكم في ما يلي الخطوط الرئيسة لبرنامجنا السياسي:

- **الهدف**: هو الاستقلال الوطني وذلك بواسطة:

1 - إقامة حكومة جزائرية ذات سيادة ديمقراطية اجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية.

2 - احترام جميع الحريات الأساسية من دون تمييز بين الأجناس والعقائد.

- **المرامي الداخلية هي**:

1 - إجراء عمليات تطهير سياسية، وذلك بإعادة الحركة الوطنية الثورية إلى طريقها الحقيقي، ومحو بقايا الفساد الذي تسبب في تدهورها الحالي.

2 - تعبئة وتنظيم جميع القوى الصالحة في الشعب الجزائري للقضاء على النظام الاستعماري.

- **المرامي الخارجية، هي**:

1 - تدويل القضية الجزائرية.

2 - تحقيق وحدة شمال أفريقيا في داخل إطارها الطبيعي، وهو العروبة والإسلام.

3 - تأكيد تعاطفنا في إطار ميثاق هيئة الأمم مع جميع الشعوب التي تؤيد حركتنا التحريرية.

- **أساليب الكفاح**:

1 - استمرار الكفاح بكل الوسائل إلى أن تتحقق أهدافنا، وذلك طبقاً للمبادئ الثورية ومراعاة الظروف الداخلية والخارجية.

2 ـ ولكي نتوصل إلى هذه الأهداف سيكون لجبهة التحرير الوطني عملان رئيسيان يسيران جنباً إلى جنب:

أولاً: عمل داخلي في الميدانين السياسي والعسكري.

ثانياً: عمل خارجي يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام دول العالم وشعوبه، وبتأييد حلفائنا الطبيعيين، وهذا عمل شاق يتطلب تعبئة جميع القوى والموارد الوطنية.

«حقاً أن الكفاح سيكون طويلاً، وشاقاً، ولكن النتيجة محققة.

«وأخيراً، كي نتجنب التأويلات الزائفة التي قد يحلو للمفسدين أن يتهموا بها حركتنا، ولكي نبرهن على صدق رغبتنا في السلام، ولكي نقلل من الخسارة في الأرواح وإراقة الدماء.

«نقدم للمناقشة عرضاً مشرفاً إلى السلطات الفرنسية، إن كانت لديها نوايا حسنة، بأن تبادر إلى الاعتراف لكل الشعوب التي تستعمرها، بحق تقرير المصير وذلك:

1 ـ الاعتراف بالقومية الجزائرية في إعلان رسمي ينسخ كل قانون أو قرار يجعل من الجزائر أرضاً فرنسية، بالرغم من التاريخ، والجغرافيا، واللغة، والمعتقد، والأخلاق، وعادات الشعب الجزائري.

2 ـ فتح مفاوضات مع الذين لهم حق التحدث باسم الشعب الجزائري على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية التي هي جزء لا يتجزأ.

3 ـ إيجاد جو من الثقة، وذلك بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين ورفع جميع الإجراءات الاستثنائية، ووقف كل تتبع ضد القوى المكافحة».

«**وفي مقابل هذا**:

1 ـ نضمن احترام المصالح الفرنسية، الثقافية والاقتصادية، التي اكتسبت بطرق مشروعة، وكذلك احترام الأشخاص والعائلات.

2 ـ جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر لهم الحق في أن يختاروا بين:

أ ـ البقاء على جنستهم الأصلية الفرنسية، وفي هذه الحالة، يعتبرون أجانب تجاه القوانين الجارية.

ب ـ اختيار الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحالة يعتبرون مواطنين جزائريين لهم ما لكل جزائري من حقوق وواجبات.

3 ـ تحدد العلاقات بين الجزائر وفرنسا بموجب اتفاقية تعقد بين الدولتين عل قاعدة الاحترام المتبادل:

«أيها الجزائري:

«أيها الجزائري: أننا ندعوك أن تفكر في مضمون ميثاقنا السابق، إن واجبك هو أن تساهم في تحقيقه حتى تنقذ وطننا ونرجع إليه الحرية».

«إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وإن انتصارها هو انتصارك».

«أما نحن فقد صممنا على السير بالكفاح حتى النهاية واثقين من حقيقة مشاعرك المعادية للاستعمار، وأقوياء بتأييدك».

«وسوف نعطي أغلى ما عندنا في سبيل الوطن».

الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني أول تشرين الثاني/نوفمبر 1954.

الملحق (الرقم ٧)
ملخص المنهج السياسي لجبهة التحرير الوطني الذي أقره مؤتمر الصومام(*)

مهام جبهة التحرير الوطني بعد المؤتمر:

الأهداف الجديدة لجيش التحرير الوطني بعد هذا المؤتمر تتلخص في الأمور التالية:

1 ـ إضعاف الهيكل العسكري والشرطة والإدارة السياسية للاستعمار.

2 ـ العمل على توفير كل ما تحتاج إليه معركة التحرير من أسلحة وعتاد ومال، وإيصاله بقدر الإمكان إلى حيث تدعو الحاجة إليه، وذلك بصفة مستمرة.

3 ـ تدعيم تناسق العمل السياسي والعسكري وترقيته.

4 ـ تدعيم وتمتين الاتحاد الوطني المناهض للاستعمار.

5 ـ إقناع المتأخرين عن ركب الثورة بصبر وأناة وتشجيع المترددين والضعفاء والمعتدلين، وتنبيه الغافلين.

6 ـ عزل المتطرفين الاستعماريين، وذلك بالسعي إلى الحصول على

(*) أنظر: النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1954 ـ 1962.، قسم الإعلام، (عدة طبعات).

المزيد من تأييد الأحرار من الأوروبيين واليهود ولو كان عملهم ما يزال فاتراً متردداً.

7 ـ السعي الحثيث، في الميدان الخارجي، إلى الحصول على المزيد من التأييد المادي والمعنوي.

8 ـ توسيع نطاق العمل الدبلوماسي في الخارج من أجل جذب واستمالة الحكومات التي جعلتها فرنسا تقف على الحياد، أو التي لم تطلع اطلاعاً كافياً على الصفة الوطنية لحرب الجزائر، وحمل هذه الحكومات على تأييد القضية الجزائرية.

وسائل العمل والدعاية:

تتفرع وسائل العمل والدعاية للثورة الجزائرية إلى الميادين الأربعة التالية:

ميدان الجزائر، ميدان الشمال الأفريقي، الميدان الفرنسي، والميدان العالمي.

أولاً: في الميدان الجزائري

يتم تنظيم ملايين الرجال وتوجيههم إلى الكفاح الثوري بالوسائل التالية:

1 ـ تنظيم خلايا لجبهة التحرير الوطني في جميع أنحاء الجزائر، في كل قرية ومشتى وحارة، وفي كل معمل ومزرعة ومدرسة وحي.

2 ـ بث الروح السياسية بين المواطنين في جميع مراكز الثورة، ونشر الوعي السياسي بين كل المناضلين.

3 ـ الاعتماد في العمل على إطارات مدربة ومحنكة سياسياً، تستطيع أن تحافظ على هيكل الجبهة، وأن تبتكر الطرق والوسائل الصالحة في ميدان الكفاح.

4 ـ الرد بسرعة ووضوح على جميع الأكاذيب، واستنكار أعمال الاستفزاز، والتعريف بأوامر جبهة التحرير الوطني عن طريق توزيع منشورات ومطبوعات كثيرة ومتنوعة في جميع الدوائر والقرى المحاصرة من طرف الاستعمار.

5 ـ تصفية الجو السياسي، وذلك بالقضاء على الحواجز والعراقيل التي وضعتها في طريق الثورة، كل العناصر الفاسدة سواء كانت شاعرة بذلك أم لا؟

6 ـ تحويل السيل الشعبي إلى طاقة إنشائية في مختلف الميادين، وذلك بتنظيم فروع جديدة للنشاط البشري، كثيرة ومتنوعة.

ـ **ففي ميدان الفلاحين**، توصي جبهة التحرير الوطني:

1 ـ ببث الحقد ضد الاستعمار الفرنسي وإدارته، وشرطته، والخونة المساعدين له.

2 ـ تكوين قوات احتياطية لجيش التحرير الوطني وللمقاومة.

3 ـ نشر عوامل الخطر في البوادي وذلك بواسطة إتلاف وإحراق المزارع وتحطيم محلات الجمعيات التعاونية للتبغ والخمور التي هي رمز وجود الاستعمار.

4 ـ إحداث الأجواء الصالحة، وخلق الأوضاع المناسبة لتوطيد نفوذ الثورة في المناطق المحررة الجديدة وتنظيمها.

ـ **وفي ميدان العمال**: تحيي جبهة التحرير الوطني، ميلاد وتأسيس «الاتحاد العام للعمال الجزائريين»، كرد فعل سليم يقوم به العمال ضد التأثير الذي كانت تستعمله جامعة الشغل العامة (س ج ت)، والقوة العمالية (ف أ و)، والجامعة الفرنسية للعمال المسيحيين (س ف ت س)، لشل حركة العمال الجزائريين وعرقلتها. في الوقت نفسه تدعو جبهة لتحرير العمال أن يساهموا مساهمة فعالة في تطوير الثورة السريع، وتدعيم قوتها، وذلك:

1 ـ بتقوية روح الكفاح وتنظيم حركة المطالب من دون تأخير في شكل مرن مع تنويعه طبقاً للظروف الطارئة، مثل وقف العمل لفترة محدودة، وتنظيم اضطرابات محلية للتضامن.

2 ـ وإشراك الأوروبيين في الحركة.

3 ـ وتحقيق المزيد من العطف على جيش التحرير، وذلك بتحويل المقاومة إلى تأييد عملي عن طريق الاكتتاب، وتجهيز المجاهدين، والقيام بأعمال التلف والإضرابات التضامنية والسياسية.

4 ـ وتكوين ظروف وأحوال ملائمة لإظهار وإبراز أخوة العمال في ما بينهم وتضامنهم بعيداً عن الروح العنصرية البغيضة.

5 ـ ودفع العمال وحثهم على تخطي نطاق المطالب الاقتصادية والاجتماعية إلى ميدان النشاط العام من أجل تحقيق الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية.

6 ـ وسعيهم إلى القيام بدور رئيسي في ميدان التعاون الزاهر المثمر مع الحركة العمالية في شمالي أفريقيا وفي العالم، بعد أن كان نشاطها مقصوراً داخل الحركة الاجتماعية في النطاق الفرنسي.

7 ـ وبكل ما سبق، سينفتح المجال للاتحاد العام للعمال الجزائريين باعتباره نقابة قوية، ليلتف حوله جميع العمال الجزائريين من دون تفرقة أو تحيز.

ـ وفي **ميدان الشباب**: ترى جبهة التحرير أن الشباب الجزائري يشكل الجانب الأعظم من قوتها، وركناً مكيناً من أركان مقاومتها الجبارة، لأنه مطبوع فطرياً على النشاط والحيوية والإخلاص والبطولة والنضج الفكري. وبفضل البؤس والشقاء واضطهاد العنصري الاستعماري، ينتقل من طور الطفولة إلى طور الرجولة بسرعة مختصراً مرحلة المراهقة اختصاراً عجيباً. ويجد في الثورة الجزائرية، ومآثر جيش التحرير الوطني، والنشاط الذي تقوم به جبهة التحرير الوطني، ما يستجيب لشجاعته التي يغذيها شعور وطني شريف ونبيل.

ـ وفي **ميدان الثقافة والمهن الحرة**: تؤكد جبهة التحرير الوطني سلامة توجيهها السياسي، وصحته، وذلك بعودة المثقفين وأصحاب المهن الحرة الجديرة إلى الواقع الوطني الجزائري، وإفلاس، محاولات فرنستهم، ونجاح

محاولات إقلاعهم عن المواقف المثالية والفردية أو القابلة للإصلاحات.
وتدعو جبهة التحرير الوطني في هذا إلى:

1 ـ تكوين لجان نشاط من بين المثقفين للقيام بالدعاية لاستقلال الجزائر، والاتصال بالديمقراطيين الفرنسيين الأحرار، وفتح اكتتابات لمساعدة الثورة.

2 ـ يجب على جبهة التحرير الوطني أن تسند إلى هؤلاء المثقفين بطريقة حكيمة، مهمات معينة في الميادين التي يمكنهم أن يقوموا فيها بعمل نافع مفيد كالأعمال السياسية والإدارية والثقافية والصحية وغيرها.

3 ـ تنظيم مصالح صحية تتألف من جراحين وأطباء وصيادلة كانوا على اتصال دائم بعمال المستشفيات وأطبائها، وذلك لتنظيم العلاج والحصول على الأدوية والضمادات، ولتنظيم عيادات في الأرياف للإشراف على معالجة المرضى ومن يكونون في طور النقاهة.

ـ وفي **ميدان التجارة والصناعة**: تحيي جبهة التحرير الوطني ميلاد الاتحاد العام للتجار الجزائريين، إلى جانب الاتحاد العام للعمال الجزائريين، ومن واجب جبهة التحرير أن تساعد هذه المنظمة النقابية على التطور والتوسع بخلق ظروف سياسية ملائمة مثل مكافحة الضرائب، ومقاطعة كبار التجار الاستعماريين الذي يمولون الحرب الاستعمارية.

ـ وفي **مجال الحركة النسائية**: تحيي جبهة التحرير الوطني بإعجاب وتقدير، ذلك المثل الباهر الذي تضربه في الشجاعة الثورية، الفتيات والنساء، والزوجات والأمهات، وجميع الأخوات المجاهدات اللاتي شاركن ويشاركن بنشاط كبير بالسلاح أحياناً، وبغيره في الكفاح المقدس من أجل التحرير الوطني. وما ذلك إلا لأن المرأة الجزائرية موقنة أن الثورة الحاضرة ستنتهي لا محالة بالحصول على الاستقلال. وأن المثل الذي ضربته تلك الفتاة القبائلية التي رفضت التزوج من الفتى الذي تقدم لخطبتها لأنه ليس من المجاهدين، لدليل عظيم على ما تمتاز به الجزائريات من الإحساس النبيل والمعنويات السامية، وعلى هذا، فإنه من الممكن في هذا الميدان

النسائي تنظيم وسيلة من أخطر وسائل الكفاح أجداها بطرق خاصة مناسبة لعادات البلاد وتقاليدها وذلك:

1 ـ بمؤازرة المحاربين والمقاومين مؤازرة أدبية.

2 ـ تقديم الأخبار والمشاركة في الاتصالات والتموين وتهيئة الملاجئ.

3 ـ احتقار الجبناء ومقت الوشاة.

4 ـ وبذل الإعانات لعائلات وأبناء المجاهدين والأسرى والمعتقلين.

ـ وفي **ميدان كسب الحلفاء والأصدقاء**: فإن الجزائريين يعولون على أنفسهم في تحرير بلادهم، ولكن هذا لا يعني إهمال العوامل الأخرى حتى ولو كانت تافهة أو قليلة الأهمية. ومن أجل ذلك شرعت جبهة التحرير الوطني، وكانت موفقة، في تعبئة جميع العزائم الوطنية، ولن تدع العدو الاستعماري يستند إلى عامة الأقلية الأوروبية بالجزائر ليؤلب علينا الرأي العام الفرنسي ويحرمنا من تضامن الدول معنا.

ـ وفي **ميدان الأقلية الأوروبية**: فإن الجبهة ترى أنه من الخطأ الفادح النظر إلى جميع الأوروبيين واليهود بالجزائر نظرة واحدة، كما إنه من الخطأ الفادح التوهم بإمكان كسبهم جميعاً لصالح القضية الوطنية، لأنهم في الواقع ينقسمون إلى فئات ثلاث ذات ميول مختلفة هي:

أ ـ الفئة الأولى، هي الجماعة التي أخذت بفكرة الحياد، وتأمل في أن يترك غلاة الاستعمار يدافعون عن امتيازاتهم التي يهددها الوطنيون «المتطرفون».

ب ـ الفئة الثانية، هي جماعة أنصار الحل الوسط، أي التفاوض لإنشاء جماعة جزائرية تكون وسطاً بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار العربي، وذلك بإحداث جنسية مزدوجة.

ج ـ الجماعة الثالثة، هي التي قبلت بجرأة، استقلال الجزائر والجنسية الجزائرية. ومن أجل ذلك فإن جبهة التحرير الوطني ترى وجوب عزل العدو الاستعماري، والعمل على تعزيز وتطور هذه القضية، وذلك بالقضاء على نشاط جزء كبير من السكان الأوروبيين الغلاة. وليست غاية الثورة الجزائرية أن

تلقى في البحر بالسكان الأوروبيين، كما يشيع ذلك الاستعمار. بل الغاية هو تحطيم نير الاستعمار الوحشي. وليست الثورة الجزائرية حرباً أهلية أو حرباً دينية، وإنما هي ثورة شعبية أصيلة تهدف إلى استرداد الاستقلال الوطني وإقامة جمهورية ديمقراطية اجتماعية تضمن المساواة الحقة لجميع السكان من دون تفريق أو تمييز.

ثانياً: في الميدان الفرنسي (نشاط جبهة التحرير في فرنسا)

إن جبهة التحرير تعلق نوعاً من الأهمية على المساعدة التي يمكن أن تقدمها لقضية الجزائر وللمقاومة الجزائرية، الطبقة العاملة المتنورة من الشعب الفرنسي الذي لم تطلع إطلاعاً كافياً على ما يرتكب باسمها من الفظائع التي لا يأتي على وصفها بيان.

ومن أجل ذلك توصي جبهة التحرير:

1 ـ باتصالات سياسية مع المنظمات والحركات واللجان القائمة ضد الحرب، مثل الصحافة والاجتماعات الشعبية والإضرابات التي تنظم ضد ترحيل الجنود وشحن الآلات والذخائر الحربية.

2 ـ بتقديم مساعدة مالية عن طريق التضامن مع المقاومين والمجاهدين في سبيل الحرية.

3 ـ بتنظيم الهجرة الجزائرية في فرنسا، وتعبئة العمال الجزائريين حتى يواجهوا ويستأصلوا النزعة المصالية.

4 ـ بإنارة الرأي العام الفرنسي والأجنبي عن طريق نشر المقالات والأخبار في الصحف والمجلات.

5 ـ الدأب والاستمرار، وبدون كلل ولا ملل، على تبيان إخفاق النزعة المصالية كتيار سياسي، وتورطها مع الدوائر القريبة من الحكومة الفرنسية، الأمر الذي يفسر ويؤكد أن هذه النزعة ليست موجهة ضد الاستعمار ولكنها موجهة ضد جبهة التحرير الوطني.

ثالثاً: في ميدان الشمال الأفريقي

تركيز جبهة التحرير الوطني على تحقيق الأمور التالية:

1 ـ تنسيق السعي بين حكومة تونس وحكومة المغرب الأقصى، البلدين الشقيقين للضغط على الحكومة الفرنسية في الميدان الدبلوماسي.

2 ـ توحيد النشاط معها، وذلك بإنشاء لجنة للتنسيق بين الأحزاب الوطنية الشقيقة، وبين جبهة التحرير الوطني.

3 ـ إنشاء لجان شعبية لتأييد الثورة الجزائرية في البلدين.

4 ـ التدخل بمختلف الوجوه والوسائل لصالح الثورة في جميع المناطق.

5 ـ الاتصال الدائم بالجزائريين المقيمين في المغرب وتونس للقيام بعمل إيجابي ملموس لدى الرأي العام والحكومة.

6 ـ التضامن بين الهيئات النقابية المركزية للبلدان الثلاثة: الاتحاد العام التونسي للشغل، والاتحاد المغربي للشغل، والاتحاد العام للعمال الجزائريين.

7 ـ التعاون بين الاتحادات الطلابية الثلاثة.

8 ـ تنسيق نشاط الهيئات الاقتصادية المركزية الثلاثة.

9 ـ وكل هذه الأمور ستساعد ولاشك على تحقيق وحدة الشمال الأفريقي

وستعنى الجزائر المستقلة من جانبها بتحطيم الحواجز العنصرية التي أقيمت على الحلف الاستعماري، وبتزكية الوحدة والإخاء على أسس جديدة في الأمة الجزائرية التي ستقيم نهضتها على إشعاع شخصيتها المزدهرة. غير أن الجزائريين سوف لا يتركون حبهم للوطن، وهي تلك العاطفة النبيلة الكريمة، يستحيل إلى قومية متعصبة ضيقة عمياء، فهم أفريقيون شماليون مخلصون يتعلقون تعلقاً شديداً ومتبصراً بالتضامن الطبيعي الضروري، بين بلدان المغرب الثلاثة.

أن أفريقيا الشمالية تؤلف مجموعة واحدة متكاملة، توجد بينها الجغرافيا

والتاريخ، واللغة والحضارة والمصير، ومن ثم يجب أن يسفر هذا التضامن بالطبع عن تأسيس اتحاد لدول شمالي أفريقيا الثلاث، ومن مصلحة الشعوب الشقيقة لهذه البلدان أن تبدأ بتنظيم دفاع مشترك، ونشاط دبلوماسي، وحرية المبادلات، وخطة مشتركة ومفيدة في التجهيز والتصنيع، وسياسة تقدمية مشتركة، وتبادل الإطارات الفنية المتخصصة والمبادلات الثقافية، واستثمار ثروات باطن الأرض والمناطق الصحراوية التابعة لكل بلد.

رابعاً: في الميدان العالمي

إن الكفاح الجبار الذي يقوم به جيش التحرير الوطني، وانتصاراته الباهرة التي أثبتت للعالم أجمع أنه جيش لا يقهر بفضل إجماع الأمة الجزائرية. ويرجع الفضل في هدم أسطورة «الجزائر الفرنسية» إلى جهود جيش وجبهة التحرير، وإلى مؤتمر باندونغ، والدورة العاشرة للأمم المتحدة.

إن الثورة الجزائرية، على الرغم من كل الدسائس والتحريضات التي تقوم بها الدعاية الاستعمارية، في كفاح وطني أصيل يعتمد على أسس قومية وسياسية واجتماعية، وليست الثورة الجزائرية تابعة للقاهرة أو لندن أو موسكو أو واشنطن، وهو الأمر الذي جعل استقلال الجزائر قضية عالمية، ومشكلاً ومعضلة تتحكم في جميع مشاكل الشمال الأفريقي. وأن تدويل القضية الجزائرية في طورها الحاضر قد قوى الشعور باستعجال تسوية هذا النزاع الحربي الذي قد يمتد إلى عامة البحر المتوسط وأفريقيا والشرق الأوسط، بل قد يعم العالم أجمع.

وفي هذا الميدان، يجب الحرص بانتظام على المحافظة على استقلال الثورة الجزائرية استقلالاً تاماً، كما ينبغي القضاء على البهتان الذي تشيعه الحكومة الفرنسية ودبلوماسيتها وصحافتها، لإظهار الثورة في مظهر ثورة مصطنعة زائفة مدبرة من الخارج، وليست لها جذور في الأمة الجزائرية الأسيرة، وفي هذا المجال يجب توسيع اتصالات الثورة إلى غير البلدان العربية وذلك:

1 ـ لحمل دول مؤتمر باندونغ على استعمال ضغط سياسي ودبلوماسي واقتصادي مباشر ضد فرنسا وضد مساعيها في هيئة الأمم المتحدة.

2 ـ بالسعي الحثيث إلى الحصول على تأييد الدول والشعوب الأوروبية بما ذلك البلاد الشمالية والديمقراطيات الشعبية، وكذلك بلدان أمريكا اللاتينية.

3 ـ بالاعتماد على المهاجرين العرب في أمريكا اللاتينية.

4 ـ ولهذا الغرض عززت جبهة التحرير وفودها القائمة بالمأموريات الخارجية وأصبح لها مكتب دائم لدى هيئة الأمم المتحدة، ووفود ومكاتب عديدة في البلاد الآسيوية، ووفود متنقلة في مختلف الدول والعواصم العالمية للدعاية للثورة وللمشاركة في المؤتمرات والتجمعات العالمية الثقافية والسياسية والنقابية والطلابية وغيرها، وإلى جانب هذا، فإن جبهة التحرير تقوم بدعاية مكتوبة معتمدة على الوسائل الخاصة مثل تنظيم مكاتب وندوات صحافية ونشر التقارير عن الثورة، وعرض الوثائق بالصور والأفلام.

الملحق (الرقم ٨)
نص بلاغ المؤتمر الرابع للمجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في طرابلس (ليبيا) من ٩ ـــ ٢٧ آب/أغسطس ١٩٦١

«اجتمع المجلس الوطني الجزائري من 9 ـ 27 آب/أغسطس، وقد مجد مجلس الثورة، الشعب وكل ضحايا القضية الوطنية، كما حيا جيش التحرير الوطني البطل. كما إن المجلس الوطني للثورة الجزائرية حدد مشاريع المستقبل بالنسبة إلى حرب الجزائر التي يقودها الشعب الجزائري، وصادق على النصوص التي تضبط اتجاه أهداف الثورة الجزائرية.

«وفي الميدان الخارجي، اتخذ عدة مقررات تهدف إلى تمديد عمل الثورة الجزائرية الذي يدخل في نطاق سياسة عدم الانحياز، وهو عمل يهدف إلى تجنيد أقصى ما يمكن من وسائل الإعانة المادية والسياسية والدبلوماسية، وإلى إضعاف الموقف الدولي الاستعماري الفرنسي.

«وقد ضبط المجلس الوطني للثورة الجزائرية المحتوى الديمقراطي والاجتماعي لكفاح الشعب الجزائري الذي تعبر جهة التحرير عن مطمحه بوصفها قائدة الأمة، وهذه المطامح ترمي إلى تشييد أمة عصرية، وبناء اقتصاد في خدمة الشعب وتحقيق البعث الثقافي.

«وقد أكد المجلس الوطني للثورة الجزائرية من جديد مواقف الثورة الجزائرية في ميدان المغرب العربي والميدان العربي والأفريقي، وفي النطاق

الأفريقي ـ الآسيوي، وهي مواقف تندرج في حركات التحرير التي تقودها الشعوب للتخلص من الاستعمار مباشرة، ومن مخلفاته التي تتمثل في الاستعمار الحديث، كما إن الثورة الجزائرية تدرج كفاحها في حركة الوحدة المغربية والعربية والأفريقية..

«إن المجلس الوطني للثورة الجزائرية سجل أهمية المساندة المادية والسياسية والدبلوماسية التي منحتها البلدان الاشتراكية وأقطار أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للثورة الجزائرية.

«وقد أكد المجلس موافقة الثورة الجزائرية من مسألة الحل التفاوضي على أساس حق الشعب في الاستقلال وفي تقرير المصير، ويؤكد المجلس من جديد أن هذا الحل ممكن في نطاق المبادئ الأساسية التي تحافظ على سلامة التراب الجزائري بأكمله بما فيه الصحراء، وعلى وحدة الشعب الجزائري، والتعاون على قدم المساواة القائمة على احترام سيادة الشعب.

«إن المجلس الوطني للثورة الجزائرية قد سجل بارتياح الإعانة التي قدمتها معظم البلدان الأفريقية إلى الشعب الجزائري من أجل الدفاع عن سلامة ووحدة ترابه بما فيه الصحراء، ومن أجل إحباط المطامح الأجنبية.

«ودرس المجلس أيضاً مشاكل تنظيم أجهزة الثورة الجزائرية على ضوء التجارب التي مرت بها منذ 1 تشرين الثاني/نوفمبر 1954، وقرر تركيز وتنسيق الأجهزة المسيرة، وقد عين المجلس الوطني الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وكلفها بتطبيق هذه القرارات».

الملحق (الرقم ٩)
اتفاقيات إفيان (١٨ آذار/مارس ١٩٦٢)
التصريحات الحكومية الخاصة بالجزائر(*)

التصريح العام:

اعترف الشعب الفرنسي في استفتاء 8 كانون الثاني/يناير 1961، بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم السياسي تجاه الجمهورية الفرنسية وذلك عن طريق استفتاء مباشر عام، وقد انتهت المباحثات التي جرت في إفيان من 7 آذار/مارس حتى 18 آذار/مارس 1962، بين حكومة الجمهورية وجبهة التحرير الوطني، إلى النتيجة التالية:

تم الاتفاق على وقف إطلاق النار، وبوضع حد للعمليات العسكرية والقتال المسلح يوم 19 آذار/مارس في القطر الجزائري كافة.

وقد حدد اتفاق مشترك الضمانات الخاصة بالعمل بحق تقرير المصير وبتنظيم السلطات العامة في الجزائر في خلال الفترة الانتقالية.

وبما أن تكوين دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة، مطابق للواقع الجزائري، وبما أن تعاون فرنسا مع الجزائر فيه استجابة لمصالح البلدين،

(*) انظر النص الكامل، بالفرنسية لهذه الاتفاقيات في كتاب بن يوسف بن خدة. *(Les Accords d'Evian,OPU,1986.)*، والترجمة العربية لها بنفس الديوان، 1986.

فقد رأت الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني، أن استقلال الجزائر بالتعاون مع فرنسا هو الحل الذي يناسب هذا الوضع.

وقد حددت الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني في اتفاق مشترك هذا الحل في اتفاقيات تطرح أمام الناخبين وقت استفتاء تقرير المصير[*].

(*) يؤكد السيد عبد الرحمان فارس، رئيس الجهاز التنفيذي المؤقت (L'exécutif provisoire) الذي تولى مهمة إدارة شؤون الجزائر في الفترة الممتدة ما بين وقف إطلاق النار 19 آذار/ مارس 1962، وإعلان الاستقلال، إن هذا الإعلان قد تم يوم 3 تموز/ يوليو عام 1962، وليس يوم 5 تموز/ يوليو عام 1962، كما تقرر ذلك رسمياً في ما بعد، وأنه هو الذي قام في اليوم نفسه (3 تموز/ يوليو 1962) وفي الساعة الثانية عشر ظهراً برفع العلم الجزائري، الذي قامت بخياطته زوجته أثناء الليل رسمياً، معلناً بذلك استعادة الجزائر لاستقلالها.

CF.A Farès: *la cruelle vérité*, paris, plon 1962.

أهم المراجع الواردة في الرسالة:

1 ـ الكتب

2 ـ المراجع العربية:

ـ القرآن الكريم.

ـ التوراة.

ـ الإنجيل: (العهد القديم والجديد).

ـ ابن خلدون: **المقدمة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

ـ كتاب **العبر**، طبعة بولاق، مصر، 1967

ـ ا بن نبي، مالك: **بين الرشاد والتيه**، طرابلس (ليبيا)، 1977.

ـ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1982

ـ ابن منظور: **لسان العرب** (عدة طبعات).

ـ سعد الدين إبراهيم: «مصر وثورة تموز/يوليو»، مركز دراسات الوحدة العربية (ندوة)، بيروت، 1984.

ـ طيب تيزيني: **من التراث إلى الثورة**، دار دمشق، 1987.

ـ محمد عابد الجابري: **التراث والحداثة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط1، 1991.

- غريغوريان (أ. ب): **الفلسفة وتاريخ الفلسفة**، الترجمة العربية، دار الفارابي، بيروت، 1986.

- جمال حمدان، **شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان**، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1960.

- جمال عبد الناصر: **فلسفة الثورة**، دار الأنيس، الجزائر، 1988.

- جوردون إيست: **الجغرافيا تصنع الجزائر**، دار الحداثة، بيروت، 1982 (الترجمة العربية).

- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء 1 و2، س. و. ت. ن. الجزائر، 1981.

- آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار المستقبل، بيروت 1984.

فتحي الذيب: **عبد الناصر والثورة الجزائرية**، دار المستقبل، بيروت 1984.

فهمي جدعان: **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، ط 2 بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

محمود قاسم: **الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية**، دار المعارف، القاهرة 1968.

- كارل ماركس: 18 برومير، **لويس نابليون**، دار التقدم، طشقد، 1976

- عبد اللطيف سلطاني: **أحفاد محمد**، دار البعث، قسنطينة 1982.

- المزدكية هي أصل الاشتراكية، المغرب الأقصى.

- عبد اللطيف عبادة: **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، دار الشباب للطباعة والنشر، الجزائر د.ت.

- علي أومليل: **الإصلاحية والدولة والوطنية**، دار التنوير، 1985.

- ماركيوز: **هيغل ونشأة النظرية الاجتماعية**، ترجمة، فؤاد زكريا، الهيئة العامة للتأليف والنشر والطبع، القاهرة، 1970.

- محمد باشا المخزومي: **خاطرات جمال الدين الأفغاني**، بيروت، 1931.

- مدني عباسي: **أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي**، مطبعة رحاب، الجزائر، 1990.

- مطاع صفدي: **إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية**، دار الإنماء العربي، بيروت، 1986.

- يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ط1.

- وزارة الثقافة، الجزائر: **كيف تحررت الجزائر**، 1982.

2 ـ الصحف والدوريات:

- **الوقت** ـ الجزائر.
- **الشعب** ـ الجزائر.
- **البصائر** ـ الجزائر.
- **الشهاب** ـ الجزائر.
- **الإقدام** ـ باريس.
- **المنقذ** ـ الجزائر.
- **المجاهد** (الأسبوعي) ـ الجزائر.
- **مجلة ـ حوار**، بيروت، لبنان.
- **التاريخ** ـ الجزائر.
- **الباحث** ـ الجزائر.
- **المستقبل العربي** ـ بيروت ـ لبنان.

3 ـ بعض الجرائد والمجلات الواردة في البحث باللغة العربية:

أ ـ الصحف

- **الوقت** ـ الجزائر.
- **الشعب** ـ الجزائر.

- البصائر - الجزائر.
- الشهاب - الجزائر.
- الإقدام - باريس.
- المنقذ - الجزائر.
- المجاهد (الأسبوعي) الجزائر.

ب - المجلات:

- مجلة - حوار، بيروت - لبنان.
- مجلة التاريخ - الجزائر.
- الباحث - الجزائر.
- المستقبل العربي - بيروت - لبنان.

Bibliographie - Sommaire

Ouvrages:

- Ageron (ch.R): Les Algériens musulmans et la France, paris, PUF, 1968.
- L'Histoire de l'Algérie contemporaine, Q.S.J? 1964.
- L'Algérie algérienne de Napoléon III, à DeGaulle, paris, sindbad, 1980.
- Ainad (T.R) - le Mouvement du 8 Mai 1945 en Algérie OPU. Alger. 1977, 2é édition.
- Al - Afghani (D.E): Conférence, calcutta, Albert Hall, 1872.
- Althusser (L): Pour Marx, paris, Maspéro, 1968.
- Augustin (St): La cité de Dieu (Diverses éditions).
- Aron (R): Introduction à la philosophie de l'histoire, paris gallimard, 1981.
- La tragédie Algérienne, plon, 1968.
- Démocratie et totalitarisme, Gallimard, 1965.
- Ayoun et (B) Cohen: les Juifs d'Algérie, édit, Rahma, Alger, 1994.
- Bachelard (G): le Nouvel esprit Scientifique, paris, PUF, 1934.

- La Philosophie du non, PUF, paris, 1934.
- La Psychanalyse du feu, Gallimard, 1940.
- Barreau (H): L'épistémologie: Q.S.J? 1990.
- Belhadj (Ahmed. ch): Un seul but: l'Action armée, in Histoire sociale de l'Algérie, CDSH, Oran, 1978.
- Benedetto (Crooce): Théorie et Histoire de l'Historiographie, édit, Droz, 1968.
- La logique comme science du concept, trad. française, paris, 1975.
- Benjamin (Stora): Farhat Abbas, ou une utopie algérienne. Denoël, paris, 1995.
- Benkhadda (B): Historique du FLN, Alger, 1964.
- Les origines du 1er Novembre 1954, édit, Dahlab, Alger, 1989.
- Berdaiev (N.A): The Meaning of History, london, Bles, 1954.
- Bergson (H): La pensée et le Mouvant, paris, PUF, 1969.
- Berr (H): La synthèse en histoire, paris, A. Michel, 1953.
- Blanché (R): L'Axiomatique, Q.S.J? 1955.
- Bloom (A): De la Tyrannie, Trad. Franc, paris, Gallimard, 1954.
- Boukhobza: Octobre 88, laphomie, Alger, 1989.
- Bréhier (E): Histoire de la Philosophie, paris, PUF, 1989, V. II - III.
- Brisson (J.P): Autonomie et christianisme dans l'Afrique romaine, édit de Boccard, paris, 1958.
- Brun (J): Hérachite, édit séghers, paris, 1962.
- Brunier (M.A): Les existentialistes et la politique, Gallimard, 1960.
- Camus (A): L'Homme révolté, paris, Gallimard, 1951, Centre National des études historiques Alger, le Retentissement de la Rev Algérienne, ENAL - GAM, 1984.
- Chronique algériennes, Gallimard, 1958.
- Cazenave (J): Les rites et la condition humaine, PUF, 1957.
- Claude collot et J.R. Henry: Le mouvement national algérien par les textes (1912 -Alger, 1977. 1954) OPU.
- Collette et Jeanson: L'Algérie hors- la loi, paris, Seuil, 1953.
- Collingwood (R.G): Idea of history, édit, T.M. Knox, OUP, Oxford, N.P, New-York, 1947.
- Combe (M):l'insurrection du 8 mai 1945, dans le constantinois, Conférence, Centre des hautes études administratives musulmanes, 1946.

- Courrière (Y): Les Fils de la Toussaint, édit, Fayard, paris, 1968.
- Churchill (ch. A): La Vie d'Abdelkader, ENAL, Alger, 1981, trad. Franc.
- Descartes (R): Principes, (diverses éditions).
- Cuvillier (A): Cours de philosophie, 2T, A. Colin, paris, 1954.
- Demontes (V): Renseignements sur l'Algérie économique, paris, 1922.
- Delay (J): Les maladies de la mémoire, paris, PUF, 1942.
- Dilthey (W): L'Esprit et le Monde, trad. Frac. 1947.
- Dumont (W): L'évolution de l'esprit européen, flammarion, 1945.
- Egreteau (M): Réalité de la nation Algérienne, édit, sociales, paris, 1957.
- Esquier (G): Histoire de l'Algérie, PUF, 1960.
- Even et (J) Planchais: La Guerre d'Algérie, la phomic, Alger, 1980.
- Fanon (F): Les Damnés de la terre pref. J.P. Sartre, 1961.
- Farod (ch): La Révolution Algérienne, paris, Plon, 1959.
- Foulquié (P): Cours de Philosophie, 2, V, A. Colin, paris, 1954.
- Fukuyama (F): The End of History and the last Man, Avon, Books, New-York, 1992.
- Gallisot (R) et Badia: Marxisme et Algérie, col/10/18, paris, 1969.
- Gauthier (L): La Philosophie musulmane, paris, 1900.
- Introduction à l'étude de la philosophie musulmane, l'esprit sémitique et l'esprit aryen, paris, 1923.
- Gaxotte (P): La Révolution française, paris, Fayard, 1947.
- Gillaume (P): la Psychologie de la forme, paris, Flammarion, 1937.
- Girardet (R): L'idée coloniale en France de 1887 à 1962, édit, pluriel, paris, 1972.
- Gouhier (H): La Philosophie et son histoire, paris, vrin, 1948.
- Gor (A): Réforme et Révolution, paris, Seuil, 1959.
- Gresson (A): Aristote, col, philosophie, PUF, 1963.
- Guilbert (G): La Colonisation de l'Afrique du nord, paris, 1890.
- Gusurdof (G): Introduction aux Sciences humaines, édit, Belles-Lettres, paris, 1960.
- Harbi (M): Le FLN, mirage et réalité, édit, Naqd, Enal, Alger, 1993.
- La Guerre commence en Algérie, édit. Complexe, Bruxelles, 1984.
- Archives de la Révolution Algérienne, édit, jeune-Afrique, paris, 1980.

- L'Algérie et son destin, édit, Médias-associés, paris, 1994.
- Haroun (A): La 7è Wilaya, paris, Seuil, 1989.
- Hegel (F): La Phénoménologie de l'esprit traduction française, vrin, 1969.
- Principes de la philosophie du droit, vrin, paris, 1975.
- La raison dans l'histoire, col, 10/18, paris 1975.
- Heidegger (M): Essais et conférences, trad. Franc. 1958.
- L'Etre et temps: trad. H, corbin, Gallimard, 1949.
- Acheminement vers la parole, paris, Gallimard, 1968.
- Heymam (A): Les libertés publiques et la guerre d'Algérie (GJJ) paris, 1972.
- Herder (J. G): Idées sur la philosophie de l'histoire de l'humanité, trad. Franc. (S.D) 1971.
- Horkheimer (M): The social function of philosophy, winter, 1974.
- Jobert (A): D: Comme Drogue, édit. Alain Moreau, paris, 1973.
- Julien (ch.A): Histoire de l'Afrique du Nord, SNED, 1978, 2.V.
- Jurquet (J): La Révolution Algérienne et le parti Communiste français, édit du centenaire, I, II, paris, 1972.
- L'Afrique du Nord en marche, paris, Juliard, 1952.
- Kaddache (M): Histoire du nationalisme algérien, question nationale et politique Algérienne, ENAL, Alger, 1980. 2,V.
- Kalladi (A): Les Islamistes Algériens face au pouvoir, édit, Alfa, Alger, 1992.
- Khaled (émir): La situation des musulmans d'Algérie, OPU, Alger, 1987.
- Kant (E): Critique de la raison pure, PUF, 1968.
- Critique de la raison pratique, PUF, 1968.
- Kojève (A): Introduction à la lecture de Hegel, paris, Gallimard, 1947.
- Koestler (A): Le Zéro et l'Infini, claman, 1939, Trad. Franc. 1945.
- Lachraf (M): L'Algérie, nation et société, SNED, Alger, 1978.
- Algérie et Tiers monde: agressions, résistances et solidarités internationales, édit, Bouchène, Alger, 1990.
- Langlois et Seignobos: Introduction aux études historiques, paris, Hachette, 1898.
- Le Bon (G): La vie de vérités, paris, Flammarion, 1914.
- Leca (J.C): Le système politique en Algérie, FNSP, CNRS, paris, 1975.
- Lénine (V.I.O): Œuvres, Moscou, 1962.
- Lorenz (A): Marx et la répétition historique, PUF, 1975.

- Lottman (R): Albert Camus, trad. franc; Seuil, 1978.
- Mahsas (A): Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie, l'Harmattan, paris, 1970.
- Malek (R): Tradition et révolution, édit, Bouchéne, Algérie, 1991.
- Mao- tsé - toung: Les problèmes stratégiques de la guerre de libération, Pékin, 1961.
- Marçais (G): Histoire d'Alger, paris, 1929.
- Marx (K): Le 18 Brumaire, Napoléon III, édition française.
- Merad (A): Le Réformisme en Algérie, essai d'histoire religieuse et sociale, paris, la Haye, 1967.
- Mercier (G): Le Centenaire de l'Algérie, 2 tomes, Alger, Soubrion.
- Merle (P): Ahmed Ben Bella, Gallimard, paris, 1965.
- Messali (H): Mémoires, édit. Lattès 1982.
- Meyrson (E): Identité et réalité, Paris, Alcan, 1903.
- Michelet (J): Scènes de la révolution française, paris, col. 10/18, 1972.
- Mimouni (A): Le Manifeste dans la presse française, édit. Mimouni, Alger, 1991.
- Mittérand (F): Présence française et Abandon, Paris, Plon, 1957.
- Montesquieu (ch. de, s): L'esprit des lois, diverses éditions.
- Naquet (P.V): Les crimes de l'Armée française, paris, Maspéro, 1959.
- Mounier (E): Les Personnalisme, Q.S.J? paris, PUF, 1950.
- Naquet (P.V): Les crimes de l'Armée française, paris, Maspéro, 1959.
- Naroun (A): F. Abbas ou le chemin de la liberté, édit Denol, paris, 1960.
- Pervillé (G): Les étudiants algériens dans l'Université française (1880 - 1962) CRNS, paris, 1984.
- Platon: Timée. Phèdre. La République (édition H. Etienne, œuvre de platon).
- Ponty (M.M): Eloge de la philosophie, Paris, RRF, 1913.
- Humanisme et terreur, édit Galimmard, 1947.
- Popper (K): The Open Society and its ennemy, plato, Roubledge london, 1961.
- Rankee (L.V): Des époques de l'histoire moderne, trad. Française (S.D).
- Renan (E): Histoire générale et systèmes comparés des langues sémitiques, paris, 5é édition, T, 1.
- Ricoeur (P): Histoire et vérité, paris, seuil, 1955.
- Romilly (J.D): Histoire et raison chez Thucydide, paris 1950.

- Rouadjia (): Les Frères et la mosquée,edit, Bouchène,Alger,1991.
- Rousseau (J.J): Contrat social, lib. Garnier, paris, (S.d).
- Sahli (R): L'Emir Abdelkhader, mythes française et réalités algériennes, E.A.P, Alger, 1988.
- Sartre (J.P): L'Etre et le Néant, paris, Gallimard, 1943.
- Critique de la raison dialectique, paris, Gallimard, 1960.
- Esquisse d'une théorie des émotions, édit. Herman, paris, 1939.
- Simon (R): Gramisci's political thought, 1982.
- Soboul (A): La Révolution française, Q.S.J?, Paris, 1975.
- La Révolution française, paris, Gallimard, 1962. (2.V).
- Spenlé (J): La philosophie Allemande, paris, Cousin, 1942.
- Thery.Pentz et Pierre.Branda:Napoléon, l'esclavage et les colonies,Paris,Fayard,2006.
- Touraine (A): Pour la sociologie, paris, seuil, 1974.
- Turin (Y): Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, paris, Maspéro, 1971.
- Vovelle (M): Idéologies et Mentalités, la découverte, paris, 1985.
- Wahl (J): Traité de Metaphysique, Paris, Payot, 1951.
- Weber (M): Le savant et le politique, paris, plon, 1965.
- Essai sur la théorie de la science, paris, plon, 1965.

- *Dictionnaires*

-Vocabulaire technique et critique de la philosophie. A. Lalande, PUF, 1951, 6é édit.
- Dictionnaire de la langue philosophique, P, Foulquié et st-Jean, PUF, 1978.
- Encyclopédia universalis, vol, 14 édit, 1972.
- Encyclopédie du monde actuel.
- Le Marxisme, col, livre de poche, paris, France, 1976.
- Dictionnaire de la psychologie, larousse, paris, 1967.
-Drever (J).The penguin dictionary of psychology, pinguin Books, london - new-york. 1982.

- *Revues*

- Le Débat. Paris.Mai-Août 1990, No. 60.
- Revue française de l'armée, paris.
- Journal of démocraty, U.S.A.

-The Historian, U.S.A.
- Le temps Modernes, paris.
- La pensée, paris.
- Revue Naqd, Alger.
- Dialogue, U.S.A.
- The New lefet Review, U.S.A.
- France - Observateur, paris
- Revue de métaphysique et de morale, paris. -
- Cahiers libres, paris
-Journaux
- *Al- Jarida*, paris.
- *Le sémaphore*, Marseille.
- *Le patriote*, Alger.
- *Egalité*, Alger.
- *Alger républicain* - Alger
- *La république algérienne*, Alger
- *L'entente franco-musulmane.*
- *L'Humanité.*
- *Liberté.*
- *Le Libertaire.*
- *L'aurore.*
- *Le Figaro.*
- *El- Moudjahid* (organe du FLN).
- *Le populaire*, paris.
- *Résistance algérienne* (organe du FLN).
- *Stutgart Zeitung*, Allemagne.
- *The New-York Times*, U.S.A.
- *Le Monde*, paris.
- *La Tribune*, Alger.
- *El- Watan*, Alger.

أسمـاء الأعـلام